

(تراجم الأسماء البارزة منذ عصر النبوة إلى اليوم)

أنور الجندي

دار الاعتصام

بسم الله الرحمن الرحيم

مدخل إلى البحث

يزخر تاريخ الإسلام بأحداث البطولة وهى تمتد عبر مراحله المختلفة دون توقف وهى فى صورها القريبة لا تنفصل عن صورها الأولى، وكلها تستمد وجودها من مفهوم أساسى واضح: هو القيام بدور خلاق فى سبيل دفع الأمة الإسلامية إلى الإمام نحو أقامة المجتمع الربانى فى الأرض، وتتسم البطولة الإسلامية بطابع عملى إيجابى، وحيث يكرم البطل إنما يكرم عمله أساساً وليس شخصه أو ذاته، تقديراً للخطوة التى حققها والدور الذى قام به، ومن هنا كان «البطل» دائماً خادماً لمجتمعه وفكرته وأمته، يؤمن حق الإيمان بأن عمله مقدور فى ميزان العمل الصالح على تعاقب الأجيال ومن هنا فهو لا يتطلع إلى الجزاء المـــادى أو المغنم أو الشهرة وقد عرف تاريخ الإسلام أبطالا قاموا بأدوار على قدر عظيم من الأهمية دون أن يكشفوا عن شخصياتهم أو يبوحوا بأسمائهم، وقد سجل التاريخ هذه المواقف تحت أسماء مجهولة، ومن هؤلاء «صاحب النقب»: هذا البطل الذى استطاع أن يفتح ثغرة فى سور دمشق، بعد أن حاصرها المسلمون طويلا، وحاولوا مرات متعددة أن يثلموا الجدار دون أن يتمكن واحد من أبطالهم إتمام هذا العمل ومعنى هذا إن مفهوم البطولة فى الإسلام لم يكن الأعلان والشهرة والتطلع إلى الحظ العاجل والأجر السريع، ولكنه كان إيماناً صادقاً من أعماق النفس بأن الله وحده هو الذى يجزى على العمل. ويذخر تاريخ الإسلام ببطولات كثيرة مجهولة، لم يكشف أصحابها عن هويتهم، ويجمع الإسلام فى معنى البطولة قطاعات عدة:

بطولة المفكر والمصلح، وبطولة القائد المحارب، وبطولة بنـــاء الدول

ومؤسسى الحضارة والبطل فى الإسلام خادم لقضية وهدف ، ولا يقل عمـــل المصلح الذى يصحح المفاهيم عن المحارب الذى يرد العدو فى ميدان القتال فهو أيضا يرده فى مجال الفكر ويتساوى مداد العلماء بدماء الشهداء .

ولقد رسم القرآن الكريم صورة البطولة جماعها دائماً فى مواجهة المسلمين لتكون العبرة قريبة إلى نفوسهم والاسوة الحسنة واضحة والقدوة الصادقة بارزة وكل الأبطال الذين عرضهم (القرآن الكريم) أبطال مقاومة لا يستسلمون أمام الظلم ولا يحنون رءوسهم للعدوان ، ولا يخافون بل يقفون دائما موقف الصمود والمقاومة مرفوعى الرءوس ، فقد كانت رسالتهم دائما هى رسالة التقدم والبناء على طريق الله تبارك وتعالى ومن هنا عجزت دائما قوى العدوان عن أن تلحهم أو تنتصر عليهم وكانت المقاومة عندهم إيماناً فى أعماق النفس وسلاحاً فى اليد ، وكانوا يعملون دائما فى اقتناع كامل على أنهم أصحاب رسالة ، وقد كان البطل دوما فى مفهوم الإسلام « استجابة » لحاجة الأمة والمجتمع يظهره الله فى وقت الأزمة ثم هو بعد ذلك يصنع الأحداث ويقود اتباعه إلى مرحلة جديدة من مراحل العمل على وجه ،وجه من موجات التقدم .

المثل الكامل والاسوة الحسنة

محمد صلى الله عليه وسلم

ولقد كان رسول الله ﷺ : هو النموذج الإسلامى الأعلى للبطل وكانت صورته دائماً وتجربته وعمله موضع القدوة والتمثل على مدى مراحل التاريخ الإسلامى وما زال حتى اليوم موضع القدوة لكل بطل وقائد ومجاهد فهو الذى إذا اشتد اليأس اتقى الناس به فما يكون أقرب إلى العدو منه وهو الذى وجده الناس عائداً من مصدر الصوت على فرس عرى عندما خرجوا يلتمسون الخبر ، وهو الذى وقف فى معركة حنين كالطود بعدان تفرق أنصاره على أثر هجمة مفاجئة من العدو ينادى الناس « إلىّ إلىّ » وهو الذى كان يفرق دائماً بين موقفه فى الغار ولا قوة معه يلتمس نصر الله وموقفه فى بدر ومعه القوة : وحيث توجد القوة ، فهو وجل من أن يكله الله إلى القوة فهو يلتمس نصر الله مجرداً وهو البطل الذى لم تذهله الأحداث والقائد الذى لم يهزم قط ، وقد علم خلال السنوات الثلاثة عشر فى مكة جيلا من القادة المغاوير ورباهم على البطولة والتضحية والإيمان ، فكتبوا صفحات بارعة من المجد وظل ذلك الرعيل موضع أعجاب الأجيال المتصلة المتواليه ، وهؤلاء هم الصحابة وجاء بعدهم التابعون وتابع التابعين ممن نرى صورهم فى هذا الكتاب ، ثم جاءت أجيال على طريق الرسول وصحابة فى العصور المختلفة ، بل أن الأبطال الذين قادوا بلادهم فى سبيل تحرير الأوطان كانوا يضمرون فى نفوسهم الإيمان بأن الإسلام هو مصدر النصر وإن الجهاد فى سبيل الوطن هو جهاد فى سبيل الله وفى سبيل الإسلام ..

ومن ثم اتصلت فى تاريخ الإسلام روح البطولة والتضحية والموت من أجل الحياة ، وكانت مقاومة الظلم هى أبرز صفحات الكفاح فى مواجهة كل باغ وظالم ومعتد ، على أرض الإسلام وقد استمد المجاهدون الأبطال من الرسول أبرز مفاهيم البطولة ، ولعل السر فى تقدير الفرنجة لصلاح الدين قربه من مفهوم النبى ﷺ وإسلوبه ، بل لعل هذا هو مصدر النصر الذى كسبه صلاح الدين ونور الدين وبيبرس وقطز

وقد تمثلت البطولة الإسلامية فى الشجاعة والمروءة والاريحية والكرامة والاباء مع قوة الارادة ورجاحة الرأى فى ميادين الحرب والعلم والحضارة على السواء وقد جمع المسلمون بين بطولة الفكر وبطولة الحرب ، فقد كان العلماء كلهم قادة معارك يحملون السلاح فى مواقف الجهاد : ابن تيمية والعز بن عبد السلام حتى المتصوفة تركوا زواياهم واندفعوا يحملون السيوف ويقاتلون ومن أمثالهم الحسن البصرى الذى شارك فى معارك الغزو كما شارك القاضى أسد بن الفرات .

(٢)

وقد كان محمد ﷺ جماع البطولات فى جميع الميادين قاضيا ، وحاكما ، ومحاربا ومصلحا ، ومشرعا ، وفوق ذلك كله وقبل ذلك كله نبيا مرسلا موحى إليه من رب العالمين وهذه هى الصفة الأساسية « النبوة » وليست البطولة أو العبقرية على النحو الذى جرى عليه بعض الكتاب فى العصر الحديث ، ويجب أن يكون واضحا أن الرسول ﷺ متفرد عن البطولات وسمات الاعلام بتلك الميزة الضخمة : ميزة النبوة فهى مصدر كل أنواع التفرق والعظمة والكمال فى خصيته « قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى الى » .

كذلك فنحن يجب أن نتحرر من تلك الشبهات الكثيرة المثارة حول حياة الرسول الكريم وأعماله وأزواجه مما يطارحها أولئك الاعلام من خصوم الإسلام وإن كانت قد تضاءلت فى السنوات الأخيرة هذه الخصومة الحاقدة وحل محلها وعلى ألسنة الكثير من شىء من الانصاف والتقدير على النحو الذى كتبه الدكتور مايكل هارت فى كتابه الاعلام المائة وفى رأسهم محمد ﷺ حيث قال : إن اختيارى محمداً ليكون الاول فى قائمة أهم رجال التاريخ قد يدهش القراء ولكنه الرجل الوحيد فى التاريخ كله الذى نجح أعلى نجاح على المستويين الدينى والدنيوى ، فهناك رسل وأنبياء وحكماء بدوا رسالات عظيمة ولكنهم ماتوا دون إتمامها ، كالمسيح فى المسيحية أو شاركهم فيها غيرهم أو سبقهم إليها سواهم كموسى فى اليهودية ، ولكن محمداً هو الوحيد الذى أتم رسالته الدينية كاملة وتحددت كل احكامها وآمنت بها شعوب بأسرها فى حياته ولأنه

أقام إلى جانب الدين دولة جديدة فانه فى هذا المجال الدينوى أيضا وحد القبائل فى شعب والشعوب فى أمة ووضع لها كل أسس حياتها ورسم أمور دنياهـــا ووضعها فى موضع الانطلاق إلى العالم أيضا فى حياته فهو الذى بدأ الرسالة الدينية والدنيوية وأتمها ، أن معظم الذين غيروا التاريخ ظهروا فى قلب أحد المراكز الحضارية فى العالم فى بيئة متقدمة تبرر ظهور العظماء فيها ولكن محمداً هو الوحيد الذى نشأ فى بقعة من الصحراء الجرداء المجردة تماما من كل مقومات الحضارة والتقدم ، ولكنه جعل من البدو البسطاء المتحاربين قوة معنوية هائلة فهزت بعد ذلك أمبراطوريات فارس وبيزنطة وود مما لا يقاس وفى تاريخ الغزو فى كل زمان ومكان يكون الغزو عسكريا ولكن فى حالة الرسالة المحمدية فان معظم البلاد التى فتحها خلفاؤه استعربت تماما وتغيرت لغة ودنيا وفتوحه من العراق وسوريا إلى آخر الشاطىء الافريقى غربا إلى السودان جنوبا وبقيت أمة واحدة تتكلم لسانا واحداً إلى الآن ، كذلك لا يوجد نص فى تاريخ الرسالات نقل عن رجل واحد وبقى بحروفه كاملا دون تحوير كل هذا الزمن سوى القرآن الذى نقله محمد ، الأمر الذى لا ينطبق على التوراة مثلا ولا على الإنجيل . وهكذا نجد أن فتوحات العرب التى بدأت فى القرن السابع الميلادى قد بقيت تلعب دوراً هاماً فى التاريخ الإنسانى حتى يومنا هذا ومن أجل هذا النفوذ الدينى والدنيوى فأننى وجدت أن محمداً هو صاحب الحق الوحيد الذى اعتبره صاحب أعظم تأثير على الاطلاق فى التاريخ الإنسانى » هذا أخر ما كتب فى مطالع القرن الخامس عشر الهجرى عن الرسول فاذا ذهبنا نستعرض ما قبل ذلك وجدنا لونا من الفهم ، يقول دسكان بلاك ماكدونان سنة ١٩٦٦ : أن الشخصية المحمدية لاتزال بعد أربعة عشر قرنا مصدر المدد المتصل فى تقوية المسلم وأن أطوار المسلمين تختلف أختلاف لابد منه بين أناس ينتمون الى كل جنس وكل أصـــل من الأصول البشرية ولكن الإسلام قد أوجد فيهم أخوة عامة كل أن توجد لها نظير من اتباع الكنيسة الواحدة » .

ويقول ستارز أند سترابيز : المحلل السياسى المعروف :

عندما نستعرض التاريخ الطويل لأفريقيا نجد أن الشخصية الرئيسية التى تلعب

الدور الرئيسي في معادلة النهج السياسي ليست هي فلان أو فلان وإنما هي شخصية محمد : الذي كان يعيش في مكة منذ ١٤٠٠ سنة . فالإسلام هو الجبل الاشم الوحيد الذي تحطم عند سفوحه موجات الاطماع الاستعمارية في أفريقيا ، في معظم الدول الافريقية الناشئة حيث تقوم بعثات التبشير المسيحية بدورها خلال أكثر من قرن من الزمان نجد أن الإسلام يكسب خمسة من الاتباع مقابل واحد ينضم إلى الدين الآخر ، أن الخطر الحقيقي ضد السيطرة الاستعمارية إنما يكمن في الإسلام ولهذا يقف الإسلام وهو كتحد حقيقي . إن الافريقيين يميلون إلى النظر إلى المسيحية بصفتها بضاعة من تصدير الرجل الابيض وهم يرتبطون بينهما بين الحكم الاستعماري الذي يحاولون التخلص منه بالقوة وعلى هذا ، فالإسلام يمكنه أن يقدم نفسه كدين مناسب لأفريقيا في تاريخه الطويل لا توجد شائبة من ناحية التفرقة العنصرية . وكتبت مجلة التاريخ الجاري الأمريكية ١٩٣٩ تحت عنوان « محمد يتهيأ للعودة قالت : أن المسلمين رقدوا خمسمائة سنة ، وهم يتحركون الآن ويتوثبون إلى السلطان لقد تيقظت قوة الإسلام واتخذت لها شكلا سويا في عالم السياسه ولا تزال التعاليم المحمدية سارية منتشرة في الشعوب الملونة التي تجد في المقارنة بين إدراكها بين هذا النوع من التوحيد ما ليست تجده في المسيحية أو اليهودية .

ويصور الرسول محمد ﷺ باحث غربي مصنف هو بورند باسوت سميث فتقول : كان محمد في وقت واحد مؤسسا لأمة ومقيما لامبراطورية وبانيا لدين وهو وأن كان أميا فقد أتى بكتاب يحوى أدبا وقانونا واخلاقا عامة في وقت واحد وهو كتاب يقدسه إلى يومنا هذا سدس مجموع النوع البشرى ، لأنه معجزة في دقة الاسلوب وسمو الحكمة وجلالة الحق وكان يقول عنه محمد أنه معجزته الخالدة ، ولم يحرص محمد إلى آخر حياته على شيء إلا على ذلك اللقب الذي لقب به في أول أمره — هو أنه رسول ، رسول الله حقا ، وقد لانعلم من سير الأنبياء إلا شذرات أما الإسلام فأمره واضح ، ليس فيه سر مكتوم عن أحد ، ولا غمة ينبهم أمرها على التاريخ ، فقد أبدى التاريخ تاريخه الصحيح ، وأنك لا تجد

فيما كتبه المؤرخون الاولون أساطير ولا أوهاما ولا مستحيلات وإذا عرض لك طرف من ذلك أمكنك ان تميزه عن الحقائق التاريخية الراهنة كأنه شمس الضحى يبين تحت نورها كل شيء .

٣

فإذا ذهبنا نستقصى الخصائص التى تميز بها محمد ﷺ بين سائر الأنبياء وجـــدنا :

أولا : أنه هو خاتم الأنبياء وقد ارتبط دينه بكل ما انزل الله من أديان وما أرسل من رسل وما نزل من كتب وعلى يده بعث الله من جديد دين الإسلام الذى نادى به جميع من قبله من الأنبياء .

ثانيا : أخذ الله العهد على كل الأنبياء أن يؤمنوا به إذا جاءهم وأعلنت بشارته فى جميع الكتب السابقة وأعلن سيدنا عيسى فى رسالته أنه مبشر بنبى يأتى من بعده اسمه أحمد .

ثالثا : حفظ الله كتابه القرآن الكريم ، من أن يصيبه التحريف . فهو الآن وبعد أربع عشر قرنا ذلك النص الموثق الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

رابعا : حفظ الله من سيرة وعمل وسنة وحياة الرسول ﷺ دقائق تفاصيل تلك الحياة وتلك السنة موثقة على أسلوب لم يصل إليه العصر الحديث إلا عن طريق تحقيق السنة النبوية بينما لم يحدث ذلك للأنبياء من قبل .

خامساً : رفض ﷺ السحر والكهانة وتقديم الغرائب وأعلن أنه ليست من مهمة النبى أن يعلم الغيب ، إنما الغيب لله (ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء) .

سادسا : لما انكسفت الشمس يوم وفاة ابنه إبراهيم ، أعلن أن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا تنكسف لموت أحد .

سابعا : استمد ﷺ عظمته من مصادر ثلاث :

يتمه ، وفقره ، وأميته ، وبذلك دحض المناهج المادية التى تقول أن العظماء يستمدون عظمتهم من الجاه والتعلم والغنى .

ثامنا : بولادة محمد ﷺ أودع الله تعالى فى الإنسانية سر كمالها وطبعها بطابع التفوق الأخلاق الخالد .

وكانت الإنسانية دهرها بين آدمين اثنين أحدهما فتح لها طريق المجىء من الجنة والثانى وهو محمد ﷺ فتح لها طريق العودة إليها .

تاسعا : أعلن الرسول ﷺ عقيدة (إسلام الوجه لله) وأن السلطة العليا المطلقة ليست إلا لله سبحانه وتعالى ، وإن الملك لله والحكم له أيضا وكل الأنبياء ذهبوا ولم يحققوا رسالتهم ولكن محمداً (ﷺ) حقق قيام دولته وبنى المجتمع الإسلامى فى حياته وهو أول من يبعث يوم القيامة وهو صاحب الشفاعة العظمى

لم يستعمل سلاح فى الدعوة على قومه ، واستبقى دعوته المستجابة (ولكل نبى دعوة مستجابة) إلى يوم القيامة وكل أمة جاءتها الآيات أما أمة محمد فقد جاءها القرآن معجزة باقية إلى يوم القيامة .

٤

تحدث الرسول ﷺ عن نفسه ودعوته : فقال :

أنى دعوة أبى إبراهيم وبشرى أخى عيسى ورأت أمى حين حملت بى كأنه قد خرج منها نور أضاءت له قصور بصرى من أرض الشام (وإذ قال عيسى بن مريم يابنى إسرائيل أنى رسول الله إليكم مصدق لما بين يدى من التوراة ومبشراً برسول من بعدى اسمه أحمد) أنى أعبد الله خاتم النبين وأن آدم لمجندل فى طينته وسأنبئكم بأول ذلك :

دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى لي ورؤيا أمي التي رأت وكذلك أمهات الأنبياء يرين ، أن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فزينه إلا موضع لبنة في زاوية منه فكان الناس يطوفون به ويقولون : لولا تلك اللبنة فأنا اللبنة وأنا خاتم الأنبياء ، قال تعالى :

(الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل) .

ويقول الرسول ﷺ : والذي نفسي بيده لا يسمع بي رجل من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار .

٥

ولقد حفظ التاريخ لهذه الأمة صورة لشخصية الرسول الكريمة غاية في الروعة : ممثلة في أحاديثه وكلماته .

١ — لا تكتبوا عني شيئاً سوى القرآن فمن كتب غير القرآن فليمسحه

٢ — أن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا تنخسف لموت أحد .

٣ — يا فاطمة بنت محمد أعملي فإني لن اغني عنك من الله شيئا .

٤ — والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها

٥ — نحن معاشر الأنبياء لا نورث وما تركناه صدقه .

٦ — إنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد بمكة .

٧ — شيبتني هود وأخواتها .

٨ — كل ربا الجاهلين موضوع وأول ربا اضعه ربا العباس بن عبد المطلب

٩ — أنا أفصح العرب بيد أني من قريش .

١٠ — أوتيت هذا القرآن وأوتيت مثله معه .

٦

أن سيرة الرسول ﷺ بوقائعها الحقيقية (بعيداً عن مبالغات أصحاب

المدائح وبعيداً عن شبهات الاستشراق) قادرة على تقديم صورة هذا النبي الكريم على أعلى مدى وأعظم عطاء دون تهاويل أو إضافات أو مفتريات ، ونحن نعلم أن الاستشراق يهدف إلى انتقاص قدر هذا النبي فى نظر المسلمين من ناحية وحتى يحول بهذه الصورة المضطربة دون وصول الصورة الحقيقية إلى عوالم الغرب المتطلع الآن إلى منقذ ومخرج بعد أن سقطت كل الايدلوجيات وظهر فسادها وعجزت عن أن تعطى للانسان فى الغرب أشواق الروح مع رغبات المادة . ومن ومن هنا فقد ظهرت هذه الصيحات التى أقرت فضل الاسلام (درابر وجوستاف لوبون وكارليل وبرناردشو وغيرهم) ثم جاء إسلام الدكتور بوكاى والدكتور جارودى فى مطالع القرن الخامس عشر علامة على أنه الإسلام قادر على العطاء وأن شخصية محمد ﷺ ما زالت قادرة على إدخال الضوء فى قلوب الغربيين والماركسيين وما زالت شعلة الإسلام توقد مصابيحها فى مختلف مدائن الغرب وفى أمريكا لا تشرق الشمس كل يوم الا على مسلم جديد .

عن ثوبان رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ :

أن الله زوى لى الارض فرأيت مشارقها ومغاربها وأن أمتى سيبلغ ملكها ما زوى لى منها وأعطيت الكبيرتين الأحمر والأبيض .

ولقد كان النبى ﷺ قد كون الجيل المسلم والجماعة المسلمة فى مكة خلال ثلاثة عشر عاما حيث انصهروا فى بوتقة الإضطهاد والخطر فأصبحوا قادرين بعد على بناء الدولة الإسلامية ولم تكن الهجرة هربا ولا ضعفا ولكنها كانت فتحا واهتماما وانتصاراً والتماسا لطريق جديد للدعوة الإسلامية عن طريق مقدمة آمنوا بالله وعاهدوا النبى أن ينصروه .

وفى سيرة الرسول ووقائعها تكذيب واضح لنظرية البطولة الفكر الغربى والماركسى فقد استطاع النبى وهو اليتيم الفقير الأمى الذى لم ينشأ فى بيئة مترفه أو يتعلم فى جامعة أن يقدم للبشرية ذلك المنهج القويم وكانت أمية النبى هى الآية الحاسمة ازاء أكاذيب دعاواهم فى أنه يعرف الشرائع القديمة فقد شاء

الله تبارك وتعالى أن يجعله أمياً حتى تنتفي شبهة النقل من تراث الاقدمين أو أساطير الأولين .

وقد جاء الإسلام على هذه الصورة ليكشف زيف النظريات المادية فقد وقع في الهجرة ما يضاد هذه المقولة فقد ترك المهاجرون أموالهم ودورهم وتجاراتهم وسعوا إلى رضوان الله وطاعته فقد خير المشركون صهيباً رضي الله عنه بين المال وبين التحاقه بالرسول فزهد في المال وآثر الله ورسوله وكذلك فعل المهاجرون .

وفي الهجرة حدث الاخاء الوثيق الكريم بين المهاجرين والانصار ليس على أساس طبقي وإنما في ذات الله تعالى ، أخاء تجاوز مرحلة الواجبات إلى أفق التطوع والايثار .

(للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون والذين تبوؤا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا إغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا أنك رؤوف رحيم » .

وإذا كانت الماركسية تفسر الدوافع الإنسانية بالاقتصاد والفرويدية تفسره بالجنس فان الهجرة أبطلت هذه الدعاوى الكاذبة حيث صفى الرسول ﷺ قلوب ونفوس المهاجرين وجردها من دوافع الاقتصاد والجنس حيث قال :

« إنما الاعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه » .

٧

من أحاديث الرسول ما يصور ذلك المنطق الذى رسمه الإسلام لبناء شخصية المسلم :

من سلك طريقا يطلب فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة ، وأن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع ، إن العلماء ورثة الأنبياء ،فمن أخذه أخذ بحظ وافر ، تعلموا العلم فان تعلمه لله خشية وطلبه عبادة ومذاكرته تسبيح ، والبحث عنه جهاد . الناس معادن كمعادن الذهب والفضة ، صاحبوا من تذكركم الله رؤيته ، ويزيد فى عملكم منطقه ، لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له، رحم الله امرءاً قال خيراً فغنم أو سكت فسلم . الزهادة فى الدنيا ليست بتحريم الحلال ولا إضاعة المال ولكن الزهادة فى الدنيا أن تكون بما فى يد الله أوثق بما فى يدك . من رضى الذلة من نفسه طائعا غير مكره فليس منا ، من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة . ما من شىء أثقل فى ميزان المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق وإن الله يبغض الفاحش البذىء . أفضل الأعمال إدخال السرور على المؤمن ، قيل ما إدخال السرور على المؤمن :

قال : سد جوعته وفك كربته وقضاء دينه . إلا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة : أصلاح ذات البين ،ما أعطى أحدعطاء خيراً واوسع من الصبر ، النظرة سهم مسموم من سهام ابليس لعنه الله من تركها خوفا من الله اتاه الله إيمانا يجد حلاوته فى قلبه ، إن الله يحب الرفق فى الأمر كله ، إلا أخبركم بمن تحرم عليه النار : تحرم على كل قريب هين لين سهل ، إنما العلم بالتعلم والحكم بالتحكم ، دب إليكم داء الأمم قبلكم : الحسد والبغضاء ، والبغضاء هى الحالقة : أما إنى لا أقول يحلق الشعر ولكن تحلق الدين ، قد أفلح من أخلص قلبه للإيمان وجعل قلبه سليما ولسانه صادقا ، استوصوا بالنساء خيراً ، ما خففت عن خادمك من عمله كان لك أجراً فى موازينك،أعطوا الأجير

أجره قبل أن يجف عرقه ، اتقوا الله في البهائم المعجمة ، يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا ، من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ، أني أنا قاسم والله عز وجل يعطي ، ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله ، رب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة ، مازال جبريـــل يوصيني بالجار حتى ظننت أنـــه سيورثه ، من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذين جاره ، إن الله يحب الرفق في الأمر كله . لا يحقرن أحدكم نفسه قالوا : يارسول الله وكيف يحقر أحدنا نفسه قال : يرى أن عليه مقالا ثم لا يقول فيه ، يقول الله عز وجل يوم القيامة : ما منعك أن تقول في كذا وكذا فيقول : خشية الناس فتقول : فاياي كنت أحق أن تخشى . قال عبادة بن الصامت . بايعنا رسول الله أن نقول الحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم .

صلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم

أعلام الإسلام

فى هذه المرحلة من حياة أمتنا الإسلاميه وحيث تتطلع الأجيال من شبابنا المسلم فى هذه الصحوة إلى نماذج البطولة فى تاريخه كان لا بد أن نضع هذه المجالة فى أيدى شبابنا لتكون نبراسا يدفعهم إلى البحث والتقصى حول تفاصيل هذه التراجم الزاخرة بالفضل والأثر والحافزة إلى تجديدها فى العصر الحديث من نهضة الإسلام وخاصه فى مجال الجهاد بالكلمة وبالعمل فى سبيل استعادة مجد الإسلام وتحرير أرضه من كل النفوذ والتخلص من التبعية الغربية التى تحاصر أمتنا لتفرض عليها منهاجا مخالفاً وأسلوبا مباينا لأسلوب الإسلام الأصيل فى العمل والكفاح . ولقد كانت العناية بأبطال الإسلام فى مقدمة الأعمال التى بدأناها منذ ربع قرن وفى مقدمتها دراسات مفصله واسعة كاملة عن رجال من أمثال حسن البنا وفريد وجدى وعبد العزيز جاويش ودراسات جامعة على النحو الذى صدرت به (الموسوعة) الخاصة بأعلام القرن الخامس عشر ، ومنها كتابنا (أعلام وأصحاب أقلام) و (تراجم الأعلام المعاصرين فى العالم الإسلامى) وكنا قد أصدرنا دراسة عن مجموعة من أعلام الإسلام فى مجال الفتح وبناء الدول تحت هذا العنوان وسنعيد أصدارها مع توسع تحت عنوان أبطال الإسلام ، هذا ونعد الآن دراسة عن مواقف خالده فى تاريخ الإسلام كان لها أثرها فى الفتح والحضارة .

ومما يذكر أننا كنا أصدرنا موسوعة (الأعلام الألف) فى ٧٥٠ ترجمة من التاريخ القديم والحديث والمعاصر وعن العالم الإسلامى والغرب وهى التى أخترنا منها هذه المجموعة الإسلامية التى انتزعناها فى هذه الدراسة بغير تعديل كبير وقد كتبت أعوام ١٩٥٦ ، ١٩٦٠ هذا وبالله التوفيق .

الكتاب القادم : نوابغ الإسلام

(حرف الألف)

إبراهيم بن أدهم

مثل من أمثلة التجرد لله ونموذج من نماذج الشباب للتطلع إلى المثل العليا ، فى فترة غلبت فيها النزعة الصوفية فصرفت الأثرياء الذين يرفلون فى النعمة والترف عن متاع الحياة ودفعتهم يهيمون فى الارض فى ثياب خلقة ، يكادون لايتبلغون بما يسد الرمق ، يطوفون فى متاهات الصحراء . كان « إبراهيم بن أدهم » من أبناء الملوك والمياسير فى « بلخ » مترفاً يحيط به مظاهر النعمة واليسر ، والخدم والاتباع ، يخرج للصيد فى كوكبة من الاصدقاء والعبيد ، يتمتع بالحياة والرحلة ويضرب فى الارض فى غرور وخيلاء أما فى ذلك اليوم فقد خرج وحده ، كانت نفسه تتطلع إلى آفاق جديدة فقد زهد فى الترف وأنكر البذخ ، وتاقت نفسه إلى ملامح عالم مجهول ، هنالك سمع هاتفاً يدعوه ، فلبى نداءه ولم يعد مرة أخرى إلى أهله وقصره « عندما هتف بى نزلت عن فرسى ، فصادفت راعياً لابى يرعى الغنم فأخذت جبته الصوف فلبستها ودفعت إليه فرسى وقصدت إلى مكة ، فبينما أنا فى البادية ، إذا رجل يسير ازائى ، ومعه إناء ولازاد فيه ، فلما امسى وصلى المغرب حرك شفتيه بكلام ، فإذا باناء فيه طعام ، وإناء فيه شراب ، وعلمنى فى تلك الليلة اسم الله الاعظم . ثم غاب عنى وبقيت وحدى ، وكان هذا أول الطريق فى رحلة طويلة فى عالم المجهول ، عالم الروحانيات والإتصال بالله ، هنالك جرت الحكمة على لسانه : « إن العبد لايتم رجاؤه لثواب الله حتى يحمل نفسه على الصبر ، وأدنى منازل الصبر أن يروض الإنسان نفسه على احتمال مكاره الانفس ، ومن احتمل المكاره أورث الله قلبه نوراً » ومما كتبه إلى سفيان الثورى . من عرف ما يطلب هان عليه ما يبذل . ومن أطلق بصره طال أسفه : ومن أطلق لسانه قتل نفسه » قال الاحوص . رأيت خمسة مارأيت مثلهم . منهم إبراهيم بن أدهم وقلت لابراهيم « أوصنى » . قال : اتخذ الله صاحبا وذر الناس جانباً ...

توفى سنة ١٦١ هـ ٧٧٨ م ودفن فى سوفين من بلاد الروم .

إبراهيم هنانو

« إن الحلفاء يتآمرون على سوريا والوطن العربي وهذه المؤتمرات السياسية لن تجدى فتيلا وعلينا أن نفتش عن طريق آخر نحرر بواسطته البلاد ونجنبها طريق المعاهدات » . كانت هذه صيحة إبراهيم هنانو أحد رجال الرعيل الأول فى ثورة سوريا من أجل قيام الدولة العربية سنة ١٩٢٠ بعد أن عاون العرب بريطانيا فى الحرب العالمية وبعد أن خان الإنجليز وعودهم للعرب وخدعوهم. وكانت صيحته هذه مقدمة للجهاد الذى حمل لواءه ، فإنه لم يلبث أن انتقل من دمشق إلى حارم وأذن بالجهاد وجمع من حوله الشباب والمناضلين ومضى يدك معاقل الجيش الفرنسى الغاصب . وقد احتل بجحافل الثوار التى بلغت أكثر من ٣٠ ألفا مدينة أدلب وسيطر على فضاء المعره وجسر الشاغور ودامت ثورته عشرين شهراً . وعندما تغلبت عليه الجيوش الفرنسية سافر إلى عمان ثم إلى القدس حيث قبض عليه وقدم للمحاكمة فى حلب وبلغ من شجاعته أنه قال أمام المحكمة إنه خصم عدو للاستعمار وأنه سيثور عليه كلما سنحت الفرصة . ولد عام ١٨٩٦ فى كفر حارم بحلب ونشأ بها وتلقى العلم فى المدرسة الملكية فى استانبول وتقلب فى عدة مناصب وكان عضوا عاملا فى جمعية العرب الفتاة . وكان خطيباً مجيداً وشجاعا مقداما . أطلقوا عليه أيام الجهاد « المتوكل على الله » فقد أحرق مزرعته وبيته بما فيه من أثاث قبل المعركة ليقطع كل وشائجه بالحياة العادية ويتفرغ للجهاد . بلغ عدد المعارك التى خاضها ١١٧ معركة انتصر فيها أهمها موقعة أريحا واستمرت معركته عشرون شهراً ولما تغلبت عليه الجيوش الفرنسية سافر إلى عمان ثم إلى القدس قبل أن يقبض عليه ويقدم للمحاكمة ، وكانت له صلة بثورة الشيخ صالح العلى فى جبال العلويين يرسمان الخطط معاً . ومرافعته فى محاكمته قطعة من الأدب العربى — وقد اهتز الشعب العربى لهذه المحاكمة وظل يتابعها معلنا أنه إذا مست شعرة من هنانو فإن البلاد ستلتهب . وقد برأته المحكمة بعد أن كبد الفرنسيين أكثر من ألف قتيل وبضعة ألوف من الجرحى . وقد عاش مشاركا فى حركات المقاومة حتى توفى فى نوفمبر سنة ١٩٣٥ .

أحمد تيمور

عندما عرض عليه الإشتراك فى الجمعية الطورانية قال : أنا عربى اللسان ، وقد عاش حياته محافظا على العادات فى كتابة التاريخ العربى على رسائله ومؤلفاته. وقد شجع كل دعوة للذب عن العربية والإسلام وقاوم التيار الحداثى الذى واجهته لغة الضاد وقد أنفق ماله فى العمل النافع للثقافة الإسلامية فاستنسخ عدداً كبيراً من الكتب فى خزائن مكاتب أوربا والقسطنطينية بالتصوير الشمسى . كما حارب جمود العلماء وعجزهم عن فتح باب الاجتهاد واستقال من الرابطة الشرقية بعد ظهور كتاب الإسلام وأصول الحكم ومؤلفه من أعضائها، وقد صحب فى مطلع شبابه العلامة حسن الطويل وقرأ عليه طرفا من الفلسفة القديمة وصحب الشيخ الشنقيطى فقرأ عليه المعلقات السبع ودواوين العروض وبعض الرسائل اللغوية وأجرى تحقيقاً علمياً فى التاريخ الإسلامى والخطط المصرية والمدنية والعمران عند العرب وله مؤلف عن أعيان القرن الثالث عشر والرابع عشر كما صحح لسان العرب والقاموس المحيط وعنى بفن التصوير عند العرب ولعب العرب وأعد معجم اللغة العامية والأمثال العامية وتراجم المهندسين العرب وأعد ثلاثة عشر فهرسا لخزانة الأدب التى ألفها البغدادى وقد حرص على اقتناء نوادر الكتب وخاصة المخطوط منها حتى بلغت مكتبته ثمانية آلاف مجلد منها ٢٥٠٠ مخطوط وقيل كان ينفق كل مايصل إلى يده من المال فى شراء هذه النوادر من مختلف مكتبات العالم . وكانت حلقته فى درب سعادة ، وعين شمس ، والحلمية ، وذهبيته فى النيل ومنزله فى قويسنا تضم البارودى وإسماعيل صبرى ومحمد عبده وطاهر الجزائرى ومحمد كرد على وعبد المحسن الكاظمى وقد حرص أحمد تيمور على الوحدة والإنفراد بمؤلفاته ودراساته ومسامرة كتبه وإعادة النظر فى علوم العربية نعلم الفرنسية والتركية والفارسية . وقد توفى عام ابريل ١٩٣٠ .

أحمد باشا الجزار

لا تذكر هزيمة نابليون أمام حصن عكا ، الا ويذكر أحمد باشا الجزار الذى كانت مقاومة حصن طوبار لنابليون فى بحيرة المنزلة بمصر تؤخر معركته فى الشام هى فرصته لتأمين حصن عكا مما حطم آمال نابليون فى فضه وأدى إلى هزيمته فى الاستيلاء عليه وبذلك قضى على أمله فى إقامة امبراطورية فرنسية فى الشرق ، ومن ثم قفل راجعا إلى فرنسا .

وقد حاصر نابليون عكا فى مارس ١٧٩٩ واستمر حصاره شهرين كاملين ، مما اضطره إلى الإرتداد عنها بعد أن تكبد خسائر فادحة. وكسب الجزار شهرة ذائعة فى أنه أحسن الدفاع عن مدينته وهزم نابليون .

والجزار أصلا من بلاد أبو شناق (البوسنه) عمل عند على باشا حكيم الذى قدم واليا على مصر ١١٧١ هـ ثم أتيح له أن يسافر إلى الحج فلما عاد وجد أن سيده قد انفصل عن ولاية مصر فقر رأيه على أن يبقى بها وتزى بزى المصريين وخدم عبد الله تابع الأمير على بك الكبير وتعلم الفروسية على طريقة المماليك. وحدث أن أرسل على بك أحد رجاله (عبد الله بك) بتجريدة إلى عرب البحيرة فقتله أهلها وكان من بينهم فوكل إليه على بك — بعد أن عينه « كشوفيه » البحيرة — أن يثأر لسيدة فقتل منهم سبعين رجلا خدعة وغيلة ومن ذلك لقب الجزار .

وذكر الجبرتى أن على بك الكبير طلب منه أن يعاونه بعد الغدر بصالح بك القاسمى (فلم تطاوعه نفسه) وخرج من مصر هاربا، ثم عاد إلى البحيرة وأقام مع عرب الهنادى وتزوج هناك ثم سار إلى بلاد الشام واشتهر أمره فى تلك النواحى وقلد الوزارة وأقام حصن عكا وعمر أسوارها وقلاعها واستكثر من شراء المماليك واشتهر بالقسوة والظلم .

وقد كانت له مع محمد على بعد ولايته مصر مواقف خصومة (توفى ١٨٠٤ م)

أحمد زكى باشا

المرحوم العلامة أحمد زكى أطلق عليه أصدقاؤه لقب شيخ العروبة فعرف به لأنه عاش حياته يحمل هموم الثقافة العربية فقدكان جواب آفاق زار أسبانيا وآسيا وأفريقية وأوروبا وبلغ تخوم القطب الشمالى وزار القوقاز . وقدعاش حياته يبحث عن الكتب النادرة القديمة والمخطوطة خاصة كتب التاريخ . وقد درس فى خلال هذه الرحلات الكثير من الآثار التاريخية وعندما ذهب إلى اليمن عاد بنقوش على الحجر من اللغة الحميرية : كما عاد بتماثيل وسيوف وكتب مخطوطة .

وكان بيته فى الجيزة ملتقى العلماء من جميع أقطار العالم العربى والإسلامى .

بدأ حياته مترجما حيث عرف بالبراعة فى اللغتين الفرنسية والعربية إلى حد أنه يقرأ الكتابة العربية باللغة الفرنسية وبالعكس كذلك وفى خلال حياته العلمية اشترك فى كثير من المؤلفات . وحرر الوقائع .

وما أن اعتزل الحياة العلمية عام ١٩١٨ حتى عاش الفكر العربى إلى أن توفى عام ١٩٣٤ فأخذ يصحح الكثير من النظريات والكتب ويكشف الحقائق العلمية فيما يتعلق بتاريخ العرب وفى خلال هذه الفترة كان يغرق الصحف بانتاجه وكلماته . وقد تمكن من نسخ عدد كبير من الكتب العربية خلال أسفاره إلى استانبول وعواصم أوربا حيث نقلها بالفوتغرافية . وقد جمع فى مكتبته أكثر من ٢٠ ألف كتاب فى كل علم وفن وله مؤلفات منها موسوعات العلوم العربية والدنيا فى باريس والسفر إلى المؤتمر . كما نقل بعض الكتب عن الفرنسية منها تاريخ الشرق والرق فى الإسلام مات عام ١٩٣٤ .

أحمد عبد العزيز

استشهد فى ٢٢ أغسطس ١٩٤٨ على ثرى الأرض المقدسة كأشرف بطل ..

كان جادا منذ طفولته وعرف بالرزانة والاتئاد فى شبابه وكان نابغة فى الفروسية والرياضة . ويحلم بمثل أعلى للجيش وعندما أعلن الإنجليز جلاءهم عن فلسطين سافر إلى هناك يخوض الحرب ضد اليهود تاركا وظيفته مختاراً مستهينا بالغد ومايأتى به .

وهاجم دير البلح وغزه وكفار عصيون ورامات راحيل ثم واصل زحفه إلى بير سبع فالخليل ثم إلى بيت لحم . وكان إيمانه مضرب الأمثال وشعاره « قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا » وكان بارعا فى إدارة المعارك . فحطم وسحق وأتى الإلغام . ومن مواقفه بين عين كارم والملحه حين تقدم بسيارته « الجيب » نحو الخطوط الامامية وهو لا يكترث بالرصاص والقنابل المتطايرة حوله . فكان يتحسس بيسراه مكان القرآن الكريم فوق قلبه وبيمناه مكان مدفعه الرشاش ويمضى إلى الأمام فى قوة وإيمان .

وذات يوم تلقى من الأنباء مايفيد أن العدو قد وضع الالغام فى طريق جماعة من الفدائيين كان قد بعث بهم ليهاجموا إحدى المستعمرات اليهودية . وما أن سمع ذلك حتى أنطلق كالسهم الخاطف يحمل معه مفجر الألغام من طريق آخر وبذلك طهر طريق الفدائيين قبل أن يصلوا . وفى مساء يوم ٢٢ أغسطس كان عليه أن يعرض الهام من الامور على القائد العام ورفض أن يرجىء إلى الصباح ما كان معه مهام .

وعندما وصلت سيارته قرب عراق المنشية كان الليل الحالك يلف المنطقة بستار كثيف من الظلام . وكان القائد المحلى قد أمر بضرب كل سيارة تمر فى ظلام الليل ولم يكن هناك من يعلم سلفا بمقدم أحمد عبد العزيز فإن طلقة من الحارس اليقظ قد أصابت البطل فى القلب .

أحمد كمال

أحمد كمال: الأثرى الذى أكد أن الفراعنة من أصل عربى وأن اللغات المصرية والافريقية من أصل عربى وهو أول مصرى عربى عمل فى هذا الحقل الذى كان الإستعمار يريد أن يقصره على الأجانب. وقد هداه بحثه إلى وجود روابط بين اللغات السامية والهيلوغرافية والقبطية. انفق جهده فى البحث عن أصول الاشتقاق والمعارضات بينها وبين اللغة العربية بالذات وكان على الرأى القائل بأن اللغة العربية أصل للمصرية لما بينهما من الموافقة فى كثير من الصور، وقد كتب فى ذلك بحوثا مطولة وجمع ألوفا من الالفاظ ورتبها فى معجمه الكبير وقد قرأ أحمد كمال كثيراً من الآراء بشأن الآثار المكتشفة مثل اسم الريان بن الوليد فرعون مصر الذى كان أيام يوسف الصديق. وقد استشهد بالمقريزى فى أن اسم الريان فى لفظ القبط هو «نرواس». ولد فى القاهرة ١٨٥٠ م تلقى دروسا فى الآثار المصرية على الاستاذ بروكش (باشا) الالمانى الأثرى الشهير كما درس اللغات العربية والفرنسية والالمانية والقبطية والحبشية وقد حيل بينه وبين الإلتحاق بالمتحف المصرى فترة طويلة، غير أنه لم يلبث أن عين مترجماً فى المعارف ثم أستاذاً للألمانية فى المدارس الأميرية ولكنه كان يعمل دائماً بأبحاث الآثار حتى أتيح له أخيراً أن يلتحق بالمتحف مترجماً فأستاذاً للغات القديمة فأمينا مساعداً فرأسا لمدرسة مصرية عربية فى الآثار كان من أعلامها سليم حسن ورمسيس شافعى وأحمد عبد الوهاب وابنه الدكتور حسن كمال، وقد نشر نتائج أبحاثه العلمية وحفر حفائر كثيرة فى الوجه القبلى والبحرى وله مؤلفات بالفرنسية عن العصر اليونانى والرومانى والملابس المصرية والاشارات الهيلوغريفية وبالعربية: العقد الثمين فى تاريخ قدماء المصريين وقاموس النباتات المصرية ومدينة منفيس والموائد القديمة وكتابه المشهور «بغية الطالبين فى علوم وعوائد وصنائع وأحوال قدماء المصريين) وله قاموس مخطوط فى ٢٢ مجلد بالمصرية القديمة والعربية والفرنسية كتب فى الأهرام والمقتطف (توفى ٥ أغسطس عام ١٩٢٣).

أحمد محرم

هذا شاعر عاش فى ظل الحياة الفكرية المصرية قادراً على أن يشق الطريق إلى الجاه والمال وإلى الملوك والأمراء والوزراء كافعل زملاؤه وأبناء جيله ولكن حفاظه على الكرامة وإيمانه بالوطنية وصدق عاطفته ونقاء سريرته حمله على العيش فى ظل الفقر والعفاف مترفعا عن الحسد متعاليا عن الوصولية مع السمو عن الدنايا. وقد عرف بشعره الوطنى الصادق الذى اندفع إليه بإيمانه الخالص، وليس بطلب طالب ولا بغرض أو هوى فهو رجل قد أخلص نفسه للحق فلم تكن له أطماع. ولد عام ١٨٧١، لم يذهب إلى الأزهر وإنما تعلم فى بيته ونال شهادة الامتياز بين الشعراء عام ١٩١٥ ودعى لتولى وظيفة التحرير فى الصحف فأبى أن يضع قلمه تحت مشيئة أى صحفى مهما كان مذهبه السياسى ومستواه الأدبى وقد شهد له عدد من الشعراء والنقاد بأن شعره يمتاز عن شعر حافظ إبراهيم فى الرنين العذب غير أن اتجاهه الوطنى النقى الخالص، وبعده عن الملق وعزوفه عن أهواء المجتمع والسير فى ركب الزعماء والأمراء، قد حال بينه وبين المركز المرموق، وقد تأثر بمذهبه الشعرى: راى وعلى محمود طه وعزيز أباظه أصدر ديوانه الأول: ١٩٠٧ وأهداه إلى النيل، يقول «انصرفت بهمرى عن تلك المواقف — مواقف النفاق — وبرئت إلى نفسى أن آخذ بهذه الأسباب على ما أعلم من وعورة مسلكى وضيق مضطربى — وما كنت فى ذلك إلا جاريا على سنتى فى سياسة نفسى وتصريف ما آتى وادع من أمور الحياة فيما استظهرت بغير أخ حفى أو صديق صفى ولا آثرت أن أهدى ديوانى إلى غير النيل، وقد ندد أحمد محرم فى شعره بالملكية غير أن أعظم أعماله التى كرس لها حياته هو «الالياذة الإسلامية» التى تقع فى خمسة آلاف بيت من الشعر الرائع صور فيها مراحل التاريخ الإسلامى فى مواقعه، عاش أحمد محرم حياته من سن قلمه ولم يخلف إلا بيته المتواضع فى دمنهور (توفى فى يونية ١٩٤٥).

ابن الأثير

مؤرخ نسابة أديب . ولد فى إحدى قرى الموصل ، هو واحد من ثلاثة يطلق عليهم « ابن الأثير » . إنه عز الدين أبو الحسن على بن أبى الكرم بن محمد ابن الأثير : المؤرخ . أما أخواه فأحدهما محدث مشهور والثانى كاتب أديب .

ذاع صيته فى الموصل ، وصاحب أميرها . بعث به إلى بغداد حيث اشترك فى شئون العلم والسياسة فقرأ على أشياخها ، ثم رحل إلى الشام والقدس وعاد إلى الموصل فلزم بيته وانقطع للتحصيل .

وقد بويع بالإمامة فى حفظ الحديث والتاريخ والإلمام بأنساب العرب ، ويبدو أثره العظيم فى مصنفه المعروف « الكامل » الذى بلغ عدد أجزاءه اثنى عشر جزءاً وهو من أشهر كتب التاريخ حيث استعرض منذ الخليقة إلى ما قبل وفاته بعامين (٦٢٨) وعرف بسهولة اللغة وخلوها من التعقيد والسجع وقد اعتمد ابن الأثير على تاريخ الطبرى الجامع ، وعرف بجدة طريقته فى التأليف . وقد راجع الروايات المختلفة وقابل بينها وأخذ بأكثرها قبولا على نهج قريب من نهج المحدثين ، وهو أول من ترك طريقة تقسيم الحوادث إلى سنين وأشهر ؛ ولأول مرة ظهرت الحادثة فى وحدة واحدة .

ولم يقتصر ابن الأثير على تسجيل أحداث البلاد التى عاش بها بل سجل تاريخ الأمم البعيدة والدولة الإسلامية فى الأندلس وأعد فصولا بالوفيات وتولية الامراء والولاة .

وأبرز كتبه الكامل (اثنى عشر جزءاً) وأسد الغابة فى معرفة الصحابة (خمس مجلدات) واللباب — وقد اختصر به أنساب السمعانى وزاد فيه . وتاريخ الدولة الأتابكية والجامع الكبير فى البلاغة وتاريخ الموصل .

عاش بين ١١٦٠ — ١٢٣٣ م

ابن الاثير : عز الدين أبو الحسن على بن محمد الشيبانى الجرزى ولد فى إحدى قرى الموصل وتوفى بها (٥٥٥ – ٦٣٠ ﻫ) ١١٦٠ / ١٢٣٣ م

الأحنف بن قيس

. ثلاث خصال : ما أقولهن إلى ليعتبر معتبر : مادخلت بين اثنين قط حتى يدخلانى بينهما ، ولا أتيت باب أحد من هؤلاء مالم أدع إليه (يعنى الملوك) ولا حللت حبوتى إلى مايقوم الناس إليه ». ذلك هو الاحنف بن قيس سيد تميم وحكيمها أسلم فى الرعيل الأول وبرز فى خلافه عمر، وقدمته مواهبه إلى مركز القيادة حارب فى معركة الفرس ، حول عمر عن رأيه فى الوقوف بالفتح عند البصرة والأهواز ودعا إلى اقتحام أرض فارس حتى يقطع على يزدجر آخر أمل له ، دفع إليه عمر عام ١٨ هـ لواء خراسان فافتتح هراه ومرو وخراسان حتى أمره عمر أن لايجوز النهر . وعاد فى عهد عثمان إلى استئناف جهاده فكان الفتح الثانى لخراسان حيث واصل فتوحه إلى بلخ ولما نقضت خراسان العهد مرة ثانية عام ٣٢ هـ ذهب الاحنف إليهم فى أربعة آلاف مجاهد فقاتلهم قتالا شديداً حتى استسلموا . ولما وقع الخلاف فى خلافة على اعتزل ومعه ستة آلاف من تميم ، فى صفين كان مع على . توفى فى البصرة فى زمن ولاية مصعب بن الزبير عام ٦٧ هـ : هو أبو بحر الضحاك بن قيس ؛ رحل مع جماعة من بنى تميم ونجد إلى البصرة والكوفة ليشاركوا فى جهاد فارس وفتوحها . ولما وفد على عمر وكان فى السابعة عشرة وتحدث أحسن الحديث : قال عمر : هذا والله السيد : فلما أهداه عمر الهدية . قال : والله ما قطعنا الفلوات للجوائز ، ما حاجتى إلا حاجة من خلفت . قال عمر : هذا الغلام سيد أهل البصرة . وصدقت عمر فراسته . فقد حمل لواء الجهاد وغير من رأى عمر الذى كان يقول « وددت أن بيننا وبين فارس جبلا من نار لايصلون إلينا ولا نصل إليهم ،فاستطاع الأحنف أن يقنعه بالاندفاع فى أرض فارس إلا بانبعاث أهلها وأنهم لايتركونا إذا نحن تركناهم فالتقدم فيما وراء العراق إلى الشرق ضرورة لامناص منها ، وهو القائل : الحلم هو الذل مع الصبر وإنما تعلمت الحلم من قيس بن عدى المنقرى .

اسامة بن منقذ

الفارس الذى حمل علم الجهاد فى الحروب الصليبية فكان المعلم المغوار يقف مع عماد الدين زنكى ونور الدين محمود وصلاح الدين .

ولم يكن أسامة فارسا مجاهداً بل كان إلى ذلك سياسياً له درايه بأمور الملك وكان إديباً وشاعراً بليغ العبارة له ديوان شعر معروف وقد دون وقائع عصره فى كتابه الاعتبار .

وقد ولد أسامة فى معترك الأحداث كما يقولون فبلدته شيزر الواقعة غربى حماه كانت من مواقع الغزو وقد شهد القتال فى الإستيلاء عليها عام ١١١٠م ولعل هذا كان من العوامل الضخمة فى ثورة نفسه وفى اتجاهه إلى الفروسية والحرب ليكون من المجاهدين البارزين فى مقاومة الفرنجة ودحرهم .

وقد عرف منذ صباه بالجرأة حتى قيل أنه صارع الأسود وقتل عدداً منها فلما بلغ أشده شارك فى الحروب الصليبية وعمل مع العاملين فى توحيد جهود العرب وجمع شمل العالم الإسلامى وتوحيد صفوفه لرد عادية الأعداء . وكان فى القاهرة ودمشق وديار بكر السياسى النابه الذى يعرف كيف يرسم الخطط ويوجه الضربات فى دهاء وحكمه وقد ظل أسامة بن منقذ مرجعا لعماد الدين ونور الدين وكان موضع الشورى من صلاح الدين وإن كان قد بلغ به العمر غير أنه ظل القوى الحصيف

وقد حفظ له التاريخ أنه كان عاملا من عوامل الدعوة إلى توحيد الجهود فى سبيل مقاومة الفرنجة .

وضاق أسامة بطول عمره فقد بلغ نيفا وتسعين عاما وأحس فى ختام أيامه أن الكبر داء يعدى كل من أغفله الموت .

• نوفمبر ١١٨٨ — ٥٨٤ هـ

ابن منقذ : مؤيد الدولة أبو المظفر أسامه بن منقذ الكنانى له تصانيف فى الأدب منها لباب الآداب والبديع .

اسد ابن الفرات

القاضى الذى قاد أساطيل الفتح. والفقيه العالم الذى تحول إلى أمير من أمراء البحر بعد سن الستين . ولد فى حران ثم ذهب مع أبيه إلى أفريقيه ثم عاد إلى الشرق يتلقى العلم على مالك بن أنس فى المدينة ومحمد بن الحسن فى بغداد وأشهب ابن عبد العزيز فى مصر .

خرج عام ٢١٢ على رأس أسطول متجها صوب جزيرة صقلية فى تسعمائة فارس وعشرة آلاف رجل من المجاهدين . ورست السفن فى ثغرة (مارز) فى طرف الجزيرة الغربى . ومنها نفذ على رأس جنده إلى شرق الجزيرة فهزم الروم بعد معركة كبرى وغنم أسلابهم واستولى على عدة حصون داخل الجزيرة ثم حاصر سرقوسه من البر والبحر . ويروى المؤرخون أن أسد هو الذى عرض نفسه ليخرج مع الجيوش المحاربة فلما وثق الامير من صدق عزيمته أذن له بالخروج على أن يكون أمير الجيش فى هذه الغزوة فأصبح قاضيا أميراً ولم تجتمع الامارة لاحد فى أفريقيا دونه، شأنه فى ذلك شأن يحى بن اكثم حين كان يخرج بالصائفة إلى أرض الروم ومنذر بن سعيد قاضى الأمويين بالاندلس .

غير أن القدر لم يمهل هذا القاضى الفاتح ليتم رسالته فقد استشهد على أثر ذلك وقد رآه بعض مغامريه وفى يده اللواء فلما حـــل الناس معه رؤى والدم قد سال مع قناة اللواء على ذراعه حتى صار تحت أبطه . وروى أنه لما اشتد به الجوع اضطر هو وجنوده إلى أكل لحوم الخيل . هنالك سعى إليه بعض من طلب منه العودة إلى أفريقيا فغضب وقال: ما كنت لاكسر غزوة المسلمين وفى المسلمين خير كثير ومضى فى عزمته ففتح أكثر البلاد حتى استشهد فى سرقسطة على أثر إصابته بالطاعون عام ٢١٣ هجرية بعد أن كتب صفحة رائعة فى تاريخ البطولة .

أسماء

عندما أعدت الطعام وهمت أن تذهب به إلى رسول الله وأبوها فى الغار لم تجد فيما حضر بين يديها ماتربطه به فعمدت إلى نطاقها فشقته نصفين وجعلت من شقه نطاقا ومن شقه الآخــــر صرة للطعام . فلما علم النبى قال لها : سيعوضك الله عنه نطاقين فى الجنة . تزوجها الزبير بن العوام فولدت له « عبد الله بن الزبير» أول مولود فى الإسلام بعد الهجرة وقالت لابنها حين دهمته الأحداث : إن كنت تعلم أنك على حق وإليه تدعو فامض له . وقد قتل عليه أصحابك : ولا تمكن من رقبتك تلعب بها غلمان بنى أمية وإن كنت انما أردت الدنيا فبئس العبد أنت : أهلكت نفسك ومن معك . ولما علمت أنه قد أوشك على نهايته : قالت : انى لأرجو أن يكون عزائى فيك جميلا ، أن تقدمتنى احتسبتك وإن ظفرت سررت بظفرك كانت فى حياتها الزوجية تعلف فرس زوجها وجمله . وتدق له النوى . وتستقى الماء . وتملأ الدلو للعجين وتنقل النوى على رأسها من مسافة بعيدة ، وفى أيام الفتنة زمن سعيد بن العاص اتخذت خنجراً كانت تضعه تحت وسادتها فقيل لها ماتصنعين به قالت : أن دخل على لص بعجت بطنه به . ولما أحست بدنو الموت خرجت عن أمائها ففكت رقهن واعتقتهن صدقة وبرا ولما قتل عبد الله ابنها بعد أن ضرب الحجاج مكة بالمنجنيق ، اقامه مصلوبا على جذع نخلة . فمرت به . وهى شيخة مكفوفة . طويلة كسعف النخل وقالت : أما آن لهذا الفارس أن يترجل . واحتسبت أسماء ابنها الشهيد راضية بقضاء الله وثوابه : وقد هدتها المصيبة فذهبت بها بعد أيام . ولم ينس التاريخ لها موقف أبو جهل منها حين هاجم بيت أبى بكر بعد خروجه مع النبى فى الهجرة فقد طرق بابهم وقد ملأ الحقد قلبه وهم أن يعنفها بالكلام . وظن أنه يستطيع أن يعرف أخبار محمد وأبيها ولما لم يجد عليه العنف امتدت يده بلطمة طيرت قرطها . ثم تولى عنها دون أن يشتفى منها . ولما زارهم أبو قحافة جدها بعد هجرة النبى أظهرت له أن أباها ترك لهم ثروة كبرى .

أسماء بنت أبى بكر الصديق وأخت عائشة لأبيها وأم عبد الله بن الزبير توفيت بمكة (٦٣ هـ ت ٦٩٢ م)

اسماعيل غصبر نسكى

« إذا فقدت أمه من الامم استقلالها تحت حكم الاجنبى فإنها تخسر خسرانا مبينا ، بيد أن هذا الخسران لايقام له وزن فى جانب الخسارة التى تخسرها الامة التى تقاعدت وتواكلت ثم سقطت من مكانتها فى ميدان العمل والاقتصاد » .

تلك هى عبارة إسماعيل غصبر نسكى المصلح التركى الإسلامى الذى حاول أن يطبق مادعا إليه الكواكبى . فقد عنى بتوحيد اللغة وتكوين الرأى العام ، إذ كان يرى أن إصلاح حال المسلمين يتطلب عقد مؤتمر عام للمسلمين يجتمع فيه المسلمون فى جميع الاقطار الإسلامية لبحث الادواء التى أدت إلى تأخرهم وانحطاطهم والعلاج لذلك الداء .

وكان يرى أن داء المسلمين هو الجهل والتمسك به تمسكا شبيها بالتعصب له .

ولد عام ١٨٥١ فى شبه جزيرة القرم ودرس فى باريس ، وألف كتابه « أشرقت الشمس » ضمنه نظرة موازنة إلى مدنية أوربا سنة ١٨٧٤ وقد عاونته زوجته على إنشاء جريدة « الترجمان » ١٨٨٣ — ١٩١٤ وكان يقرأها مسلمو القوقاز وقازان وسيبيريا وتركستان ومسلمى الصين وإيران ومصر .

وقد أصلح خمسة آلاف مدرسة بالاموال التى جاد بها المتعطشون إلى الثقافة والحياة الدينية . وقدم إ القاهرة عام ١٩٠٧ فاستقبله كبار الكتاب وأرباب الفكر والنفوذ فى ذلك العهد وقد مهد الشيخ على يوسف لتحقيق أمنيته فى عقد مؤتمر إسلامى يكون مركزه «القاهرة» ، حيث جمع نحواً من ستة آلاف من عظماء المصريين ونزلاء مصـــر من الاجانب للإجتماع به فى فندق الكونتنتال (نوفمبر ١٩٩٧) حيث ألقى خطبة دعا فيها إلى عقد مؤتمر اسلامى عام .

الأشعرى

يعد «الاشعرى» فى نظر مؤرخى الفقه والفلسفة والكلام واحداً من الأعلام الذين وقفوا على رأس مدرسة جديدة. فقد بدأ حياته تلميذاً متحمساللجبائى الفقيه المعتزلى. ثم انفصل عن أستاذه وسالك طريقه الخاص بعد أن اختلف وإياه فى مسألة « الصلاح والأصلح » ولما عكف الاشعرى على دراسة الحديث وضح له مابين رأى « المعتزلة » وروح الإسلام من تناقض ، ولم يلبث الأشعرى أن أصبح منذ الوقت نصيراً لرأى أهل السنة مناهضا لرأى المعتزلة .

وتعد هذه نقطة التحول فى حياته وأعظم حادث أثر فى مجرى تفكيره

وقد صنف كثيرا من الكتب فى هذا الاتجاه الجديد أيد فيها رأى أهل السنة وهاجم آراء المعتزلة . وقيل أن مؤلفاته بلغت الثلاثمائة ولم يصل إلينا منها إلا عدد قليل ، إنه هو الأشعرى أبو الحسن على بن إسماعيل البصرى ولد بالبصرة عام ٢٦٠هـ ٨٧٤م يرجع نسبة إلى أبى موسى الأشعرى مؤسس علم الكلام فقد كان رجال السنة القلائل الذين سبقوه يجدون معاناة لأمر الجـــدل نظراً لضعف حظهم من المادة ، أما هو فقد ابتدع أساليب النقاش والرد وصادف رأيه قبولا عند الشافعية والتف حوله التلاميذ ونبغ منهم الباقلانى وابن مدرك والقشيرى والجوينى ، والغزالى . وقد زاد مذهب الأشاعرة انتشاراً وقوة بعد عهد طغرل بك ، وكان أهم العوامل فى ذلك مصنفات الغزالى على وجه خاص ، وكان ابن تومرت مؤسس دولة الموحدين عضدا قويا لمذهب الأشاعرة فى بلاد المغرب .

وقد نصر الأشعرى الدين ورد على أهل الزيغ والضلال والمبتدعين والمعروف أنه أمضى سنواته الأخيرة فى بغداد وتوفى ٩٣٥ م .

الاشعرى : على بن إسماعيل بن اسحق من نسل الصحابى أبى موسى الأشعرى ولد فى البصرة من أهم أعماله : مقالات المسلمين ومقالات الملحدين والرد على ابن الراوندى توفى ٣٢٤ هـ ٩٣٦ م

إسماعيل صبرى

يا دواة اجعلى مدادك وردا ... لوفود الأقلام حيناً فحينا
وإذا الظلم والظلام استمانا ... يوم نحسن بأجهل الجاهلينا
واستمدا من الشرور مدادا ... فاجعليه فى قسمة الظالمينا
وإذا كان فيك نقطة سوء ... كونت من خيانة تكوينا
فاجعليها قسط الذين استباحوا ... فى السياسات حرمة الأضعفينا

.. مازلت أحفظ هذا الشعر لإسماعيل صبرى منذ كنت يافعا . بل لعله أول شعر وطنى ملأ على نفسى.. وهو يعطى تلك الصورة الباهرة التى تعيش فى أعماق لهذا الرجل . . الرجل الذى كان محافظاً للاسكندرية عام ١٨٩٨ عندما أراد مصطفى كامل أن يلقى بها خطبة من خطبه الوطنية فأوعزت إليه الحكومة أن يصادر الاجتماع الذى أعد لإلقاء الخطبة فرفض وأذن بالاجتماع وتحمل مسئوليته وأثار ضجة الانجليز . ولإسماعيل شعره الوطنى فى كل المناسبات : مطالبته بالدستور وتنديده بحادث دنشواى والدعوة للوحدة بين عنصرى الأمة . ومهاجمته صنائع الاحتلال وفى مقدمتهم مصطفى فهمى . وكان عزوفا عف النفس أبى الخلق عاش حياته لايلين ولا يرضى الضيم ولاينظم شعره إلا للجليل من الأمر ، وقد عرف عنه الاعتزاز بالكرامة . عاش سبعة عقود وتوفى فى ٢٠ مارس ١٩٢٣ وعاصر الاحتلال . فكان قوى العارضة فى مقاومته وقد لقب « بشيخ الشعراء » وهو الشاعر الثانى بعد البارودى فى دفعه النهضة الشعرية التى عرفت فى أواخر القرن التاسع عشر وقد ولد شوقى بعده بخمسة عشر عاماً ، وكانا على ود صادق وحب أكيد . وقد عاش إسماعيل صبرى مؤمناً بعظمة مصر . وسجل عاطفته هذه فى قصيدة « لا القوم قومى » التى قال فيها :

لاتقربوا النيل إن لم تعملوا عملا ... فماؤه العذب لم يخلق لكسلان

إقبـــال

« انى لا أرهب الموت . أنا مسلم استقبل الجنة راضيا مسروراً . أريد أن أقول لكم : ما علامة المؤمن . أنها بسمة على شفته عند الأجل المحتوم » . تلك هو روح فلسفة اقبال التى صورها فى قوله . إنها فلسفة القوة والقائمة على نمو الفرد الفكرى والخلق والروحى ، آمن بحرية الفكر والعقل والروح وقال إن الحياة بدون حرية لاتستحق أن تحيا . كما آمن بأن تجديد الإسلام لا يمكن أن يتم مالم يعزز المسلمون قواهم الفكرية والخلقية ويرتفعوا بنفوسهم إلى مستوى أسمى .

ولد إقبال بسيالكوت بالبنجاب عام ١٨٧٣ . وبدأ تعليمه فى أحد المكاتب ثم فى مدرسة البعثه الاسكتلندية . تعلم الفارسية والعربية والتحق بكلية الحكومة بلاهور . واتصل بالمستشرق توماس وأرنولد أحد أساتذتها ومنها حصل على شهادته النهائية . التحق بكلية الشرقية كمحاضر ، ثم بكلية الحكومة بلاهور .

وكان يشكو من ضعف بصره ، مما حال بينه وبين وظائف الحكومة . ومما دفعه إلى مجال العمل فى حقل الفكر الإسلامى وأبدع ذلك التراث الرائع .

ورحل إلى أوربا عام ١٩٠٥ حيث التحق بجامعة كمبرج ثم جامعة هايدلبرج بالمانيا . ثم جامعة ميونخ حيث حصل على الدكتوراه بعد أن قدم رسالته القيمة « تطور الفكرة العقلية فى إيران » . وقد أحب الأدب منذ صغره حبا طاغيا ملك عليه حياته . وكان شاعراً فيلسوفا وعضواً فى المجلس التشريعى بالبنجاب لمدة ثلاث سنوات ورئيسا لحزب العصبيه الإسلامية لجميع الهند . والعضو العامل فى مؤتمر الله أباد التاريخى حيث نادى لأول مرة بانفصال المسلمين عن الهندوكيين ووجوب تأسيس دولة خاصة بهم . توفى فى ٢١ نيسان ١٩٣٨ .

أمين الحسينى

« إن سبب الكارثة التى حلت بفلسطين هى غفلة العرب والمسلمين وتخاذلهم أمام مؤامرة الدولة الاستعمارية اليهودية المبنية على فلسطين . ولاشك أن بعض المسئولين الخائنين من حكام الاردن والعراق كان بجهودهم وتعاونهم مع المستعمرين أسوأ الأثر » ذلك هو رأى مفتى فلسطين وقائد معركتها مع الصهيونية خلال أربعين عاما . أمين الحسينى : ولد فى محلة الواد أحد أحياء القدس القديمة فى ١٤ ابريل ١٨٩٦ وحفظ القرآن وتعلم اللغات التركية والفارسية والفرنسية وأكمل دراسته فى صحن الأزهر مع على القاياتى والمطيعى . وعندما أعلنت الحرب العظمى ١٩١٤ عاد إلى القدس حيث التحق بالمدرسة الحربية باستانبول فتخرج ضابطا احتياطيا فاشترك فى معارك شناق قلعة بالدردنيل . ثم نقل إلى أزمير على البحر الأبيض فالبلقان . ثم دخل الانجليز القدس فى خريف ١٩١٧ وأعلن وعد بلفور فاشتعلت الثورة فى فلسطين . ثم قبض عليه عام ١٩٢٠ وحوكم حيث صدر الحكم عليه بالأشغال الشاقة عشر سنوات فتسلل إلى سوريا وعاد إلى فلسطين عام ١٩٢١ حين عين فى منصب مفتى فلسطين رئيسا للمجلس الإسلامى الأعلى . ومضى يعمل من أجل فلسطين فاشترك فى ثورة العراق ١٩٢٩ وسافر إلى لندن والعراق والهند وأفغانستان وبلوخستان وإيران يدعو لفلسطين ويشرح حقها . كما اشترك فى ثورة ١٩٣٦ الجبارة التى هزت الإنجليز واليهود . وفى كسروان بلبنان كان يدير الثورة من مكمنه إلى عام ١٩٣٩ حيث خرج إلى العراق فشارك فى ثورة رشيد الكيلانى ضد الإنجليز فلما فشلت الثورة اضطر إلى الهرب متخفيا إلى إيران وبقى فيها إلى عام ١٩٤١ فظل أربع سنوات وشهد انكسار المحور ، ونقل إلى فرنسا وفى ١٩٤٦ عاد إلى مصر ثم غادرها إلى بيروت حيث أقام بها مجاهدا حتى توفى ١٩٧٦ .

أمين الرافعي

عندما تمر ذكرى « أمين الرافعي » فى مثل هذا اليوم (٢٩ ديسمبر ١٩٢٧) من كل عام تحتفل الصحافة المصرية بعيد الشرف والكرامة . فأمين الرافعي من مفاخر صحافتنا الوطنية : هذا الرجل المؤمن بقلمه الذى ضحى كل شىء فى سبيل رأيه وكرامته .

ولعل أبلغ مواقفه أنه كسر قلمه وعطل صحيفته حتى لاينشر قرار إعلان الحماية على مصر الذى كان محتما على الصحف أن تنشره عند صدوره . فأعلن أمين الرافعي رئيس تحرير جريدة الشعب فى عدد ٢٧ نوفمبر ١٩١٤ أنه سيحتجب من ذلك اليوم حتى لا ينشر إعلان الحماية المشئوم والبلاغات التى تستتبع إعلان الحماية. وكان هذا الاحتجاب هو أول احتجاج من مصر على الحماية البريطانية . ولم يلبث أن اعتقلته السلطات البريطانية فامضى مدة الاعتقال راضيا فلما خرج من الاسر أعد مذكرة ضافية بسط فيها المسألة المصرية وقدمها لمعتمدى الدول وتعد هذه المذكرة مرجعاً هاما فى دراسة القضية المصرية . وموقفه من سعد زغلول يعطى صورة أخرى لشخصية هذا الصحفى المصرى النبيل . فهو صديق سعد وصفية . ولكنه مستقل الشخصية لايقبل أن ينافقه أو يمالئه وإذا هو يختلف فى مبدأ « المفاوضة » ويظل الخصم الشريف الذى يرى المصلحة الوطنية الكبرى فوق الأشخاص فما أن اعتقل سعد حتى كان أول المطالبين بالافراج عنه . وهو أول من نبه إلى أن قرار حل مجلس النواب سنة ١٩٢٥ يعتبر باطلاً مما أدى إلى انعقاد البرلمان فى فندق الكونتنتال فى ٢١ نوفمبر ١٩٢٥ . عاش حياته فى سبيل مبادئه وهز الرأى العام فى منبره كل يوم، ورفض كل العروض التى قدمت له، وتعرض للأخطار صابراً متجلدا . . وعرضت عليه كبرى الوظائف فرفضها وكان جوابه لاتفسدوا على إيمانى ، أنا لم أخلق لهذه الوظائف . . تحية عاطرة لذكراه . .

أنس بن مالك

قال : قدم النبي المدينة وأنا ابن عشر سنين ، واختار الرفيق الأعلى وأنا ابن عشرين ، أخذت أمي أم سليم بنت ملحان بن خالد الأنصارية الخزرجية بيدي فأتت بي رسول الله فقالت : هذا ابني وهو غلام كاتب . قال فخدمته تسع سنين فما قال لي لشيء قط صنعته لم صنعت وما قال أسأت أو بئس ما صنعت .

هو أنس بن مالك خادم رسول الله : أمه أم سليم كانت تغزو مع رسول الله وهي التي جعلت الإسلام صدقاً تجهز به الزوجة فلما توفى عنها مالك ابن النضر والد أنس ، تقدم إلى خطبتها طلحة الأنصاري وكان مشركا . فقالت له : أما أني فيك لرغبة وما مثلك يرد ، ولكنك كافر وأنا امرأة مسلمة فإن تسلم فذلك مهري ولا أسألك غيره ، فأسلم فقالت : يا أنس زوج طلحة فتزوجها . وعمه أنس بن النضر قال : غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر فقال : يارسول الله غبت عن أول قتال قاتلت فيه المشركين ، والله لأن أشهدني الله قتال المشركين ليرين الله ما أصنع فلما كان يوم أحد قاتل حتى قتل فوجدنا به بضعاً وثمانين ما بين ضربة بسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم ووجد قد قتل ومثل المشركون به فما عرفته أخته الربيع إلا ببنانه وقد عاش أنس حتى توفى عام ٩٠ ومات وله من ولده وولد ولده مائة وعشرون ولداً وكان له بستان يحمل الفاكهة في السنة مرتين وقصر بالطائف . وحببت إليه لعبة الرمي فكان أحد الرماة المصيبين لما استخلف أبو بكر بعث إليه ليوجهه إلى البحرين وقال إنه لبيب كاتب . ومد الله في عمره حتى أدركه أبو حنيفة النعمان ـ لم يحضر واقعة بدر لأنه لم يكن في سن المقاتلين ، وكانت إقامته بعد النبي بالمدينة ثم شهد الفتـــوح . ولم يلبث أن قطن البصرة ومات بها .

أنس بن مالك بن النضر ابن ضمضم البخاري الأنصاري صاحب رسول الله وخادمه . روى عنه البخاري ومسلم ٢٢٨٦ حديثا ولد بالمدينة ورحل إلى دمشق ومنها إلى البصرة متوفى بها (١٠ — ٩٢ هـ) (٦١٢ — ٧١٢ م) .

أنـــــور باشا

يعد « أنور » قطعة من تاريخ تركيا والعالم الإسلامى فى مطلع القرن العشرين فهو رجل جهاد وحرب . كان صادق الإيمان بالجامعة الإسلامية ومن كبار الدعاة لها لولا أن الأمور سارت على غير مايريد .

طاف العالم الإسلامى كله وشارك فى كفاح ليبيا فى مقاومة الايطاليين . وكان صراعه الأخير ضد الإنجليز الذين كانوا يقفون ضد أمال الجامعه الاسلاميه فلما تحقق من انهم يريدون الفتك به سافر مع زملائه إلى القرم ١٨٨١ . وفى الطريق تركهم وأخذ قطاراً إلى الشرق مصمما على المقاومة . وكان يطمع فى أن يثير المسلمين فى أزربيجان . ولـكنه اختلف مع الروس وأثار التركستان عليهم وكانت بينه وبين مصطفى كال وحشة وخلاف . فـكان أن أقصى مصطفى القواد المعروفين بالولاء لانور وذهب أنور إلى تركستان موطنا النفس على الموت بعد أن انتصر مصطفى كال . ودخل بخارى وبطش بدعاة البلشفيه . وأثار ثورة كبرى وجه الروس قوى كبرى لإخمادها ولما هاجمه الروس فى معركة فاصلة خرج بنفسه ومازال يقاتل حتى قتل ولم يتجاوز الاربعين من عمره وكان على وضاءه جمال ورونق شباب وقد عرف بالحملات الباهرة برءوس الحراب فى المعارك وقد أدهش الإيطاليين فى الجبل الأخضر بطرابلس وقد لمع اسمه فى مصر عندما ذهب الاشتراك فى حرب طرابلس ضد الايطاليين فى غراصة .

وكان فذاً فى الحرب ولـكنه لم يكن سياسياً . وكان له قدرة على ضبط النفس بالغة فلم يكن يستطيره الغضب أو ينطق لسانه بطعن . وكان كتوما يستطيع أن يخفى مافى نفسه .

وقد كانت حياته سلسلة من الأعمال المتلاحقة التى كان يرمى بها إلى مقاومة بريطانيا من ناحية والحفاظ على الجامعة الإسلامية فى صورة الامبراطورية العثمانية من ناحية أخرى ولـكنه كان يحارب الزمن نفسه ويجرى ضد نواميس التطور .

توفى اغسطس ١٩٢٣ .

الأوزاعى

كتب إلى الخليفة (أبو جعفر المنصور) يستوصيه بالمجاهدين : أما بعد فان الله استرعاك أمر هذه الأمة لتكون فيها بالقسط قائما . وبنبيه صلى الله عليه وسلم فى خفض الجناح والرأفة متشبها . وأسأل الله أن يسكن على أمير المؤمنين دهماء هذه الأمة ويرزقه رحمتها . فليتق الله أمير المؤمنين وليتبع بالمفادات بهم من الله سبيلا . أنت راع الله والله تعالى فوقك ومستوف منك يوم توضع الموازين »

قال عنه الحافظ بن نعيم فى حلية الأولياء :كان واحد زمانه، وإمام عصره وأوانه وكان ممن لايخاف فى الله لومه لائم . مقوالا بالحق لايخاف سطوة المظالم .

أرسل إليه أبو جعفر فلما قدم قال : أريد الاخذ عنكم والاقتباس منكم قال : يا أمـــير المؤمنين ، انظر ولا تجهل شيئاً مما أقول لك ، قال : كيف أجهله وأنا أسألك عنه . قال: أن تسمعه ولاتعمل به .

« هو أبو عمرو عبد الرحمن الاوزاعى ، إمام أهل الشام. ولم يكن بالشام أعلم منه . قيل أنه أجاب فى سبعين ألف مسألة . وكان يسكن بيروت . روى أن سفيان الثورى بلغه مقدم الأوزاعى فخرج حتى لقيه بذى طوى فحل سفيان رأس بعيره من القطار ووضعه على رقبته فكان إذا مر بجماعة قال : الطريق للشيخ .

سمع من الزهرى وعطاء ، وروى عنه الثورى وأخذ عنه عبد الله المبارك . ولد ببعلبك ٨٨ للهجرة ونشأ بالبقاع . وتوفى ١٥٨ فى بيروت بقرية حنتوس ، قيل دخل الحمام وكان لصاحبه شغل فأغلقه عليه ثم ذهب فلما جاء وجده ميتا . وقد وضع يده اليمنى تحت خده وهو مستقبل القبلة . والاوزاعى نسبة إلى أوزاع وهى بطن من ذى الكلاع فى اليمن وله كتاب السنن فى الفقه والمسائل .

الأوزاعى : عبد الرحمن بن عمرو أمام الديار الشامية فى الفقه والورع ولد فى بعلبك ونشأ فى البقاع وسكن بيروت إلى أن توفى (٨٨ — ١٥٨ هـ) ٧٠٧ — ٧٧٣ م .

أبو أيوب الأنصارى

عاد أبو أيوب الأنصارى إلى يثرب فقد كان واحداً من السبعين الذين بايعوا النبي على قتال الأسود والأحمر من الناس فى بيعة العقبة الكبرى . وظل ينتظر هجرة النبي يوما فيوما ، وقد كان بيته أقرب إلى المربد ، فلما بركت ناقة النبي به ، لم يلبث أبو أيوب أن دعاه إلى بيته فلبى النبى دعوته ، وأعد له حجرة خاصة فى أعلى المنزل ولكن رسول الله أحب أن يكون فى الدور الأول . فقال له أبو أيوب بأبى أنت وأمى يارسول الله . آبى أن أكون فوقك وتكون تحتى فاظهر أنت فى العلو : وننزل نحن فنكون فى السفل . قال: يا أبا أيوب أرفق بنا وبمن يغشانا

فكان حريصاً على أن لايقع منه مايزعج النبى ، حتى لقد انكسرت جرة كانت مملوءة بالماء فأسرع أبو أيوب وزوجه بلحافهما الوحيد ليجففا الماء خشية أن يقطر على رسول الله . وقد آخى النبى بينه وبين مصعب بن أبى عمير . وأقام عنده شهراً حتى تم بناء منزله .

وقد ظل أبو أيوب مدة الفتنة من مقتل عثمان إلى أن ظهر الخوارج معتكفا فى بيته يعبد الله ، وأن اشترك فى قتال الخوارج يوم النهروان .

وعندما صمم معاوية على غزو القسطنطينية وكان فى الثمانين استبق إلى ميدان القتال . واشترك فى الجيش الذى كان على رأسه يزيد بن معاوية . وسار المسلمون حتى القسطنطينية حيث دارت معارك طاحنة استشهد فيها كثير من المسلمين . وقد ظل أبى أيوب يقاتل يوما من مطلع النهار إلى أن غربت الشمس ، حتى تعب وأجهد نفسه فسقط على الأرض فأحاطوا به يمرضونه ، فقال لهم كلمات الوداع «إذا أنا مت فادخلوا بى أرض العدو فأدفنونى تحت أقدامكم حيث تلقون العدو »

وقد حمل المسلمون أبو أيوب إلى سور القسطنطينية وبنى عليه أهلها بناءاً ضخما - استشهد ٦٧٢ م

بدر الجمالى

وصفة مؤرخوه بأنه كان « عزوف النفس شديد البطش عالى الهمة عظيم الهيئة مخوف السطوة » أول وزير نقل سلطه الحكم من الخليفة إلى الوزير . ولى مناصب أمير الجيوش وقاضى القضاه وداعى الدعاة فى وقت واحد هو المملوك الارمنى الذى اشتراه الامير جمال الدولة ابن عمار من بلاد الشام وهو غلام فنسب إليه (الجمالى) وهو أبو النجم بدر بن عبدالله ، ظل يرقى فى الاعمال فى حكم الفاطميين حتى تولى إمارة دمشق ٤٤٥ هـ ثم ولى الشام كله ٤٥٨ وقد أمضى أيامه فى حروب مع الامراء الترك الذين كانوا يغيرون على أطراف الارض العربية التى كانت فى حوزة الفاطميين حتى استدعاه الخليفة المستنصر بالله الفاطمى إلى مصر ٤٦٦ . وكان قدومه إليها ذروة مجده فقد أمضى بها أكثر من عشرين عاماً وترك بها أثاراً تخلدا اسمه وتشهد بمقدرته الفائقة على الانشاء والحكم . كان فى الستين من عمره عندما قدم إلى مصر ومعه جنده الموالون له وكانت البلاد تقاسى فتنة الخارجين من الترك على الخلافة الفاطمية فقبض على القائد التركى وزعماء الاتراك وأقر الامن فاعطى لقب أمير الجيوش وأصبح قاضى القضاه ، وأخضع عرب قيس وسليم وفزارة واستولى على الاسكندرية وأرسل إلى بلاد الشام حملات متوالية بقيادة نصير الدولة . وانفق كل جباية مصر فى الاصلاح الداخلى فأنشأ حصن القاهرة وجدد بناء أبوابه الكبرى زويله والفتوح والنصر . وبنى مسجد العطارين بالاسكندرية وأنشأ حى الجمالية ومشهدا فوق تل المقطم . وبذل جهودا ضخمة لاستعادة ما استولى عليه السلاجقه من بلاد الشام واعادته إلى حظيرة الدولة الفاطمية . وصف (بدر الجمالى) بأنه شعله من النشاط والذكاء وكان مغامراً شجاعاً : أنقذ مصر من حالة الفوضى التى فرضها الجند التركى وحقق لها : يئاً من الامن ورغد العيش بعد سبع سنوات متتاليات من الفتنة والاضطراب وتوفى بدر الجمالى ٤٨٧ هـ (٢٠٩٤ م) .

بابر شاه

عرف بالشجاعة والفروسية والبلاغة وكتب صفحات من المغامرة الجريئة حين تسور مدينة سمرقند بمائتين وأربعين رجلا . وحين قاوم أربعة جيوش فى وقت واحد ، وحين اجتاز بجيشه جبـــال (هندوكش) فى قلب الشتاء وقد تراكمت الثلوج . وحين أقام الأخوة والتوحيد وأذاع ثقافة العرب وتراث الإسلام . كما عرف بالإحسان والعدل والسماحة بين الأديان والنحلات والمذاهب . وقد حكم ثلاثين عاما فكان ثالث ثلاثة عرفتهم الهند الإسلامية : محمد بن القاسم الثقفى فى عهد الأمويين . ومحمود بن سبكتكين الغزنوى فاتح البنجاب وكشمير فى القرن الرابع . وإنه محمد ظهير الدين بابر ، المسلم الذى يرجع نسبه من أبيه إلى تيمورلنك . ومن أمه إلى جنكيزخان . وهو الشاعر الأديب الذى ملك الهند ، وأسس دولة إسلامية فى (أكرا) دامت مائتى سنة . وكان والده قد ترك له إمارة صغيرة فى فرغانه وسمرقند عام ١٤٩٤ فائتمر خصومه مع أعمامه على إخراجه منها فأخرج بعد سبع سنين من الجهاد ، مما ألجأه إلى خاله فى طشقند يترقب ويستمد ، ثم لم يلبث أن اجتاز هندوكش وحاصر مدينـــة بابل واستولى عليها عام ١٥٠٤ وكان طموحه قد دفعه لأن يفتتح الهنـــد ، ثم استولى على لاهور ، ودارت المعارك بينه وبين خصومه فاستولى على عرش دهلى . وكان أمراء الهند قد خافوه على ملكهم فتجمعوا لمحاربته فلقى خصومه فى جيش ضخم وخاض معركة ظافرة مزقت جنود خصومه وأفيالهم وانتهت باجتياح أرضهم ، فاستولى على جيتور والبنغال ورجبوت . وأقام دولة هندية موحدة عرف أهلها بالكرامة والعدل والحرية . وظلت الدولة قائمة حتى عام ١٨٥٠ تولاها ستة من أسرته فى مائتى عام وتوفى بابر وهو فى التاسعة والأربعين من عمره بعد أن عاش حياة حافلة ضخمة عريضة وترك من بعده جلال الدين أكبر الذى كان عصره امتداداً لعصر الهند الذهبى . توفى ١٥٣٠ م . — ٩٣٧ هـ ولد بفرغانه عام ٨٨٨ هـ (١٤٨٣)م

السيد البدوى

عندما بلغ الثلاثين من عمره، حدث له ماغير مجرى حياته، ذلك أنه قرأ القرآن بالأحرف السبعة، ودرس قليلا جداً من الفقه مذهب الإمام الشافعى، ثم عكف على العبادة، واعتزل الناس، وعاش فى صمت وامتنع عن الزواج، حتى لقد رفض أن يتزوج من امرأة فاتنة، قصد إلى العراق، ثم عاد منها إلى مصر، حيث استقر فى مدينة طنطا وبقى بهذه المدينة نحو ٤١ عاما إلى أن مات فى ٦٧٥ هـ

***

كان يصعد إلى سطح بيته كل يوم، ويتجه ببصره إلى الشمس، ويظل على هذه الحال مدة طويلة حتى تحمر عيناه وتصبح كل واحدة منها كالجمرة المشتعلة وقد سمى أصحابه بالسطوحية لهذا السبب، ويمسك عن الطعام والشراب أربعين يوما متوالية، وكان يلبس ثوبا من الصوف الأحمر، وعمامة حمراء فوق رأسه.. أنه أحمد بن على بن ابراهيم: ينتهى نسبة إلى الإمام على ابن أبى طالب، وقد انحدر من أسرة مغربية أيضاً، نزحت قديماً إلى مدينة فاس وقد ولد عام ٥٩٦ هـ وسمى « البدوى » لأنه كان يتلثم على عادة البدو فى شمال أفريقيا. وصف بأنه طويل القامة غليظ الساقين، عبل الذراعين، ضخم الوجه، لونه من البياض والسمرة.. وقد مرن فى شبابه على أعمال الفروسية وركوب الخيل، وعرف بالصراحة وحدة الطبع وإيثار العزلة. وفى العراق زار ضريح الحلاج الصوفى، والرفاعى، والجيلانى وأعد نفسه ليكون داعية العلويين. وقد استطاع عندما اختار طنطا بعيداً عن القاهرة والإسكندرية، أن يأخذ طريق السلامة والأناة فى دعوته، ونزل دار ابن شحيط حيث جمع فى سبعة أشهر حوله ٤٠ شيخاً من المريدين والاتباع. وزعمهم على المدن يتحدثون عنه ويذيعون تعاليمه، وقد كان السلطان بيبرس يزوره، ويجيب رجاءه. ولم يتزوج الشيخ البدوى مجاهدة للطبيعة فقد آثر نظام الزهد. وقد امتد سلطانه حتى شمل البلاد المصرية وأحبه الناس وافتتنوا به.

باحثة البادية

هى « ملك حفنى ناصف » ابنة الشاعر العظيم ، التى انتقلت من حياة القاهرة إلى حياة البادية، فاضطربت نفسها لهذا التحول، وانتابها القلق، وحاولت أن تربط بين مطالب الروح وواقع الحياة فلم توفق كثيراً ..

وكانت مقالاتها « النسائيات » التى كانت تنفث فيها آلامها وترسلها عبر الصحراء إلى « الجريدة » هى النافذة الوحيـــدة التى تطل منها على العالم ... وكانت تتناول فيها صور الحياة بالنقد والتوجيه وإن ظلت مؤمنة بالحجاب فخاصمت قاسم أمين واختلفت معه فى الرأى ... وقد صورت فى مقالاتها الصراع بين الحياة الجديدة والبيئة البدوية وكانت أشبه بصرخات روح ظامئة .

ولـكن باحثة البادية لم تعش طويلا ، فقد قضت فى سن الثالثة والثلاثين ١٧ اكتوبر من عام ١٩١٨ بعد أن أجهدتها حياة البادية والصراع بينها وبين زوجة أخرى لزوجها .

وتعد فى حياة الأدب النسوى الحديث رائدة من رواده ومقدمة من مقدمات النهضة التى جاءت من بعد على يد « مى » وغـــيرها من الـكاتبات المعاصرات .

وكتب لطفى السيد فى الجريدة عام ١٩١١ يقول أن نبوغها ليس عاملا من عوامل الصدفة بل هو قضية عالمية مقررة لأن هذه الـكاتبة نشأت فى بيت علم وأدب وهى أكتب سيدة فى عصرنا الحاضر بل هى تعطينا صورة الـكاتبات الغربيات .

سلام على روحها .

البارودى

فى ١٢ ديسمبر من عام ١٩٠٤ توفى هذا الشاعر المجاهد الذى كتب صفحتين لامعتين أحداهما فى مجال الأدب حيث عده الناقدون والباحثون القنطرة الضخمة بين نزعتى الشعر القديم والشعر الحديث. والثانية فى مجال الكفاح الوطنى والحرب حيث شارك فى ثورة عرابى وكان علما من أعلامها وكانت له جولات فى حروب الروس مع الترك أبدى فيها من البسالة مابهر المراقبين والمؤرخين . وكان ذلك عام ١٨٧٧ .

وكان البارودى قد أكب منذ شبابه الباكر على تراث الأقدمين من الشعراء فاستوعب هذه الآثار التى أمدته بقدرة ضخمة على بلاغة شعره وعمق بيانه. فقد استطاع أن يخرج بالشعر إلى الحياة فصور العاطفه ونبا عن التقليد وأن أخذ عليه أنه لم يكن متمكنا من فن العروض أو قواعد النحو وهما عيبان لم يستطيعا أن يحولا بين شعر البارودى وبين المكانة الرفيعة التى قدر له أن يصل إليها .

ولم يمنع الشعر البارودى من أن يكون من رجال السيف وأن يؤدى واجبه الوطنى كاملا فقد شارك مع العرابيين فى الكفاح لتحرير مصر وتولى رئاسة الوزارة فى أحرج الأوقات . واعتقل ونفى إلى جزيرة سرانديب حيث لبث فى منفاه سبعة عشر عاما ذاق فيها مرارة الأسى والألم والحرمان حتى كف بصره ولكنه لم يضعف ولم يهن . بل أن المنفى كشف عن أصالة فى طبيعته وخلقه فقد عرف خلال هذه الفترة القاسية بالشمم والآباء وعلو النفس والقدرة على الاحتمال فى صبر وعزة حتى عاد إلى مصر عام ١٩٠٠ وكان الشعر سلواه والمخفف عن آلامه بعد أن تخطف الموت ابنته وزوجته وأصحابه وهو فى منفاه. وإذا كان المؤرخون قد أخذوا عليه شيئاً أو آخر فإن نفيه وصموده للبأساء يغفر له كل الذنوب.

البخـــارى

عندما قدم إلى بغداد تآمر أصحاب الحديث عليه واجتمعوا له وعمدوا إلى مائة حديث فقلبوا متونها وأسانيدها وجعلوا متن هذا الإسناد لإسناد آخر . ودفعوها إلى عشرة رجال كل رجل عشرة أحاديث . وأمروهم إذا حضروا المجلس أن يلقوها على « البخارى » ، وأخذوا منه موعد المجلس فحضر . فلما اطمأن المجلس بأهله انتدب إليه رجل من العشرة فسأله عن حديث من تلك الاحاديث فقال البخارى لا أعرفه . فسأله عن آخر فقال لا أعرفه فمازال يلقى عليه واحداً بعد واحد . حتى فرغ من العشرة والبخارى يقول لا أعرفه فكان العلماء ممن حضروا المجلس يلتفت بعضهم إلى بعض ويقولون من كان منهم غير ذلك يقضى على البخارى بالعجز والنقص وقلة الفهم .

ثم انتدب الرجل الثانى ففعل مافعل الاول . وانتدب الثالث والرابع إلى تمام العشرة حتى فرغوا كلهم من الاحاديث المقلوبة . والبخارى لا يزيد على قوله « لا أعرف » ، فلما علم البخارى أنهم فرغوا التفت إلى الاول منهم وقال : أما حديثك الاول فهو كذا وحديثك الثانى فهو كذا والثالث والرابع حتى أتم العشرة . فرد كل متن إلى اسناده . وكل اسناد إلى متنه وفعل بالآخرين مثل ذلك فدهش الجميع ووجموا . . وتغلب إيمان البخارى وذكاؤه على محاولة التآمر عليه . وبعد فقد كان البخارى بارعاً فى اختيار الاحاديث وتمحيصها . وقد طاف بالعالم الإسلامى كله باحثا عن الحديث فزار بغداد . ومكة . والقاهرة ودمشق ونيسابور ومرو وغيرها واستغرقت رحلته ستة عشر عاما كتب فيها عن ألف وثمانين من الانفس وجمع فى رحلته ستمائة ألف حديث أخذ يغربلها ويحققها حتى اصطفى منها أربعة آلاف حديث ضمنها كتابه الجامع الصحيح .

ولد فى بخارى ١٩٤ هـ (٨٠٩ م توفى بالقرب سمرقند عام ٢٥٦ هـ (٨٧٠م)

أشهر أعماله « الجامع الصحيح » أخرجه فى ١٦ سنة من بين ٦٠٠ ألف حديث.

ابن بطوطة

ملأت نفسه منذ شبابه الباكر الرغبة فى المغامرة بركوب البحر وخوض معركة المجهول بالرحلة فى آفاق الارض . كان ذلك فى القرن الرابع عشر الميلادى حيث كانت الأقطار والممالك توغل فى أعماق الظلام ولا يتيسر السفر بينها إلا عن طريق المراكب الصغيرة التى تتقاذفها أمواج المحيطات والقوافل التى تقطع قلب الصحراء .

كان محمد بن بطوطة فى سن الثلاثة والعشرين عندما بدأ رحلته حيث أمضى عشرين عاما منطلقا من طنجة إلى المشرق فزار مصر والحجاز والعراق واليمن والهند ، ورأى من العجائب والممالك والشعوب الكثير مما ضمنه كتابه .

ولا شك أن هذه المعركة الضخمة التى قادها (ابن بطوطة) فى سبيل المعرفة والعلم والكشف عن المجهول والمتاعب التى احتملها وهو على ظهور الجمال فى القوافل التى تقطع الصحراء بين الزوابع والأعاصير وفى قلب المراكب بين الأمواج العاتية والعواصف العاتية . هذه المعركة تعطى صورة لشخصية هذا الرجل القوى الأعصاب المؤمن بفكرته . السمح النفس الجذاب الروح الذى استطاع أن يصادق الناس ويكسب المعارف . ويحَب ويحِب . ويتزوج أكثر من مرة فى خلال رحلاته . ويحمل لنا فى عودته معارف وصور وخصائص هذه الشعوب مع ملاحظات حية تدل على دقة النظر وحسن الفهم ويقظة الفكر فى الإلمام بكل ما يراه . لقد ذكر أن بطوطة مصر فى رحلاته بالإعجاب ورسم لها صورة حلوة رائعة تدل على أنها كانت عروس البلاد منذ ذلك العهد البعيد . فله تحية خالصة

امتدت رحلات ابن بطوطة من ٧٢٥ هـ إلى ٧٥٠ هـ فى خمس رحلات كبرى بلغت إلى الصين والهند والملايو وعاد إلى المغـــرب حيث توفى عام ٧٧٩ هـ ١٣٧٧ م

حرف البـاء

الباقلانی

اشتهر القاضی أبو بكر محمد بن الطيب الباقلانی بكتابه العظيم(إعجاز القرآن) وقال السيوطی :أن كتاب الباقلانی هو أحسن ما كتب فی موضوعه - وقد وصف بأنه جيد الاستنباط سريع الجواب كثير التطويل فی المناظرة ،كان علی مذهب أبی الحسن الأشعری ومؤيدا اعتقاده سكن بغداد وصنف فی علم الكلام وغيره وعنده انتهت الرئاسة فی مذهب الأشاعرة، وميزته أنه مزج علم الكلام بآراء جديدة أخذها عن الفلسفة اليونانية ومن كلامه قوله : أن العرض لايقوم إلا بعرض وإن العرض لا يبقی وحدتين من الزمن . وللباقلانی تآليف متعددة فی الرد علی الرافضة والمعتزلة والجهمية والخوارج وقد صنف كتابا هاما اخره(الاستبصار فی القرآن) وله مؤلفات مشهورة.(الملل والنحل ، دقائق الكلام ،مناقب الائمة البيان عن الفـــرق بين المعجزة والكرامة ، وكشف أسرار الباطنية) وإن لم يصل إلينا لا كتابه (إعجاز القرآن) الذی طبع بمصر ١٨٩٧ . وقد عاش الباقلانی لعلمه ومساجلاته التی كان أظهرها مساجلاته مع أبی سعيد الهارونی غير أن ، عضد الدولة ، وجهه سفيرا عنه إلی ملك الروم فجرت له فی القسطنطينية مناظرات مع علماء النصرانية علی يد ملكها ، قيل كانت له ليلة إذا صلی العشاء وقضی ورده وضع الدواة بين يديه وكتب خمسة وثلاثين ورقة تصنيف من حفظه ويقول الدكتور زكی مبارك:إن الباقلانی عنی ببحث إعجاز القرآن إذ كان الناس فی عصره يرتابون فی الاعجاز وكان فی ارتيابهم مايسوقه إلی درس الإعجاز من جميع إطرافه ودفـــع الشبه التی يذيعها الملحدون فی الحواضر الاسلامية ويصور الباقلانی هدفه فيقول، إن من أهم ما يجب علی أهل دين الله كشفه وأولی ما يلزم بحثه ما كان لأصل دينهم قواما ولقاعدة توحيدهم عمادا ونظاما وعلی صدق نبيهم برهانا ولمعجزته ثبتا وحجة ، : ولد الباقلانی فی البصرة وسكن بغداد وبها كانت وفاته ٤٠٣ هـ والباقلانی نسبة إلی الباقلی بتشديد اللام وقصر الألف .

أبو بكر الصديق

صاحب رسول الله في الهجرة ورفيقه في الغار. وهو أول مسلم. اعتق سبعة من الموالى والعبيد. اشتراهم بماله منهم بلال وعامر بن فهيرة. وأحضر للرسول ماله كله فلما سأله ماذا أبقى لعياله. قال: أبقيت لهم الله ورسوله.

وعندما أذاع النبي نبأ رحلته إلى السماء « الإسراء والمعراج » ذهب إليه من يسأله فأجاب: « إن كان قال لقد صدق » وفي طريق الهجرة بين مكة والمدينة لقيهما من سأل أبا بكر عن النبي فقال: هذا هاد يهدينا السبيل!

عن أبي هريرة أن الرسول قال: ما لأحد عندنا يد إلا وقد كافأناه ما خلا أبا بكر، فإن له عندنا يداً كافئه الله عز وجل بها يوم القيامة. وما نفعني مال أحد قط ما نفعني مال أبي بكر ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا. وإن صاحبكم خليل الله. ولما غلب الوجع رسول الله بعد حجة الوداع قال: انظروا هذه الأبواب اللافظة في المسجد فسدوها إلا باب أبي بكر. فأني لا أعلم أحداً كان أفضل في الصحبة عندي يداً منه، فلما اشتد عليه المرض قال النبي لبلال: مروا أبا بكر فليصل بالناس. فقام عمر فلما كبر سمع رسول الله صوته فقال أين أبو بكر، ورفع الصديق الحجاب عن وجه النبي وهو مسجى. وقبله قبلة الوداع وقال: بأبي أنت وأمي يارسول الله، ما أطيبك حيا وما أطيبك ميتا. كان أبو بكر أنسب قريش لقريش اشتغل بتجارة الثياب وقد بلغ رأس ماله أربعين ألف درهم وقد كان لشخصيته الرائعة أبعد الأثر في دخول عدد كبير من الصحابة في الإسلام

اختاره المسلمون بعد أن الحق الرسول بالرفيق الأعلى خليفة وفرضوا له ثلاثمائة دينار وشاه وقد وضع دستور الحكم فقال: لقد وليت عليكم ولست بخيركم. فإن أحسنت فاعينوني ولو أسأت فقوموني. الضعيف فيكم قوى حتى آخذ الحق له والقوى فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه». وجمع القرآن و — عمر بن الخطاب بوثيقة وعهد. توفى عام ١٣ هجرية.

كانت مواقفه الثلاث الكبرى من دعائم الإسلام: موقفه يوم السقيفة وموقفه من المرتدين وانقاذه بعث أسامة في أزمة الردة.

أبو بكر الطرطوشي

« أعلم أنك إن تخطئ في العفو في ألف قضية خير من أن تخطئ في العقوبة في قضية واحدة » قال أبو بكر الطرطوشي هذا النص قبل أن يقوله رجال القانون في أوربا بنصف قرن على الأقل . وقبل أن يكتبه مونتسيكو في كتابه روح الشرائع . وبذلك كان أستاذاً له في القانون ، ولميكافيلي في سياسة الملك وأخلاق الأمراء: ولد في طرطوشة إحدى مدن الأندلس ٤٥٠ هـ وتعلم في سرقسطة ، رحل الى المشرق للاستزادة من العلم وزار مكة والمدينة ودرس في بغداد والقدس وأصبح من أعلام الاسكندرية بعد أن أقام بها ثلاثين عاما . وتوفى عام ٥٢٠ فى سن السبعين وله عشرات المؤلفات في التفسير والفقه ومسائل الخلاف وعلوم السياسة والحكم والمجتمع وأدواته واعترف له ابن خلدون بالسبق في التأليف في علم الاجتماع والعمران وأبرز آثاره هو كتابه (سراج الملوك) الذى رسم فيه أصول السياسة والحكم عما سبق به ميكافيلي ومونتسيكو ، حفل بالقصص الممتعة والأخبار الطريفة وقد ضمنه خلاصة تجاربه ونظرياته وله شعر قليل وأغلبه في الزهد . وقوام فلسفته السعي للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . عاش متقشفا عابدا زاهدا منقبضا عن الناس ، حجب نفسه عن الملوك ومجالس السلطان . وعرف بالصراحة والتزام الحق وقد عرف باعتداده بنفسه واعتزازه بعلمه ، يكره الملق والنفاق . يقول « ريشي رياشي وطعامي في حوصلتي » . سعى إليه الحكام وانصرف هو عنهم واشتد في نقدهم وفي مصر زار الملك الأفضل حيث نصحه ووعظه ، وطلب منه الرفق بالرعية ، وتجمع حوله طلاب علمه فكان يصطحبهم ويخرج بهم إلى رحلات خارج المدينة وقد تزايد عددهم حتى بلغ ٤٠٠ طالب . وصفه مؤرخوه بأنه « كان يكره أن يكون حواشي للرجال ، أبي النفس ، قوالا للحق » وقد جمعت إليه جرأته وكرامته وتعاليه حقد الحاقدين الذين سعوا ضده وأوقعوا به .

أبو بكر بن العربى

« سبق فى علم الله أن يعظم علينا البحر بزوله (عجبه) ويغرقنا فى هوله ، فخرجنا من البحر خروج الميت من القبر ، وانتهينا بعد خطب طويل إلى بيوت كعب بن سليم ونحن من الشعب فى عطب . ومن الغرق فى أقبح زى . تمجنا الأبصار وتخذلنا الأنصار » . هكذا وصف البحر أبو بكر محمد عبد الله العربى قاضى الأندلس وعالمها الذى كان واحداً ممن رحلوا إلى الشرق فأنفق عشرين عاما حيث ساح فى الاسكندرية ودمشق وبغداد ومكة ، والتقى فى رحلته هذه أبا حامد الغزالى وصحب الخطيب التبريزى وقرأ عليهما الأصول والكلام والتقى فى الاسكندرية على أبى بكر الطرطوشى . وعاد إلى الأندلس بعلم غزير .

وفى أشبيلية حيث ولد عام ١٠٧٥ وتأدب ، جلس للوعظ والتفسير والإفادة وصنف فى مختلف الفنون ، وألف أربعين مؤلفا فى مواضيع شتى منها : العواصم من القواصم والمحصول فى أصول الفقه ، والمسالك فى شرح موطأ مالك والناسخ والمنسوخ وله أنوار الفجر فى تفسير القرآن (قيل أنه بلغ ٧٠ ألف ورقة فى ٨٠ مجلداً) . وقد كشف مذهبه بأنه ترك التقليد للقياس وعزل الفرع من الأصل ، ومن تلاميذه القاضى عياض صاحب الشفاء ، والحافظ بن بشكوال والإمام السهيلى صاحب الروض الأنف ، وفى [illegible] مدين عباس اصطفاء للمأمون لابن أبى داؤد ، وأسند إليه قضاء بلدة أشبيلية ، وكانت أحكامه غاية فى الدقة والشدة والصرامة ، وقيل كانت له من الظالمين سورة مرهوبة . وقد كان والده أحد فقهاء أشبيلية وقد صحبه إلى الحج ١٠٩٢ وهو فى سن السابعة عشرة . .

وأبو بكر بن العربى مثل لعلماء الأندلس الذين رحلوا إلى المشرق وطوفوا بأقطاره وسمعوا عن أقطاب مفكريه وعادوا بمحصول ضخم ولعله كان من أطولهم رحلة وأكثرهم فضلا .

البوصيرى

صاحب البرده : الشاعر الذى وضع فى مدح الرسول القصائد الثلاث الخالدة : كيف ترقى رقيك الأنبياء ، إلى متى أنت باللذات مشغول ، أمن تذكر جيران بذى سلم : شرف الدين محمد بن سعيد من قبيلة الصنهاجى ، ولد ١٢١٣ م فى أبوصير ، واشتهر بتعمقه فى الحديث . سمى (بالدلاصيرى) فقد كان أبوه من بوصير وأمه من دلاص .

وقد عانى فى شبابه صناعة الكتابة والصيرفه وكان مباشراً للمقاطعة ببلبيس فى الشرقية ، نظم الشعر فى فنون مختلفة ، وشعره عذب منسجم التركيب وله قصائد فكهة منها قصيدته المشهورة التى نظمها عندما استعار منه ناظر الشرقية حمارة فأعجبته فأخذها وحاول أن يدفع له مائتى درهم ثمناً لها ، فكتب على لسانها قصيدة للناظر بإمضاء والمملوكة حمارة البوصيرى وأشهر قصائده البرده : وهى ما أطلق عليها الكواكب الدرية فى مدح خير البرية ، قال : كنت نظمت قصائد فى رسول الله . ثم اتفق أن أصابنى فالج أبطل نصفى ففكرت فى عمل قصيدتى هذه فعملتها . واستشفعت به إلى الله تعالى أن يعافينى وكررت انشادها وترسلت ودعوت ، فلما نمت رأيت النبى (ﷺ) فى المنام يمسح على وجهى بيده المباركة وألقى على بردته . فانتبهت فوجدت فى نهضه ولم ألبث أن سرت على قدمى . . ، ومن هنا أطلق عليها اسم (البرده) .

وهى ١٦٢ بيتا يبدأ مطلعها فى ذكر النفس وهواها ومدح الرسول ومولده ومدح القرآن والمعراج والجهاد والاستغفار والمناجاة وقد استهلها بقوله :

أمن تذكر جيران بذى سلم   مزجت دمعا جرى من مقلة بدم

أم هبت الريح من تلقاء كاظمة   وأومض البرق فى الظلماء من إضم

(توفى سنة ١٢٩٧ م)

بـــــلال

خرج مع أبي بكر في تجارة إلى الشام ، ورأى رؤيا فسرها بأن نبيا سيظهر في بلاد العرب فلما تحققت نبوته ، أسلم وجعل يتردد على النبي ليلا تحت جنح الظلام ،وكان عبداً لأمية بن خلف الذي وضع في عنقه حبلا ، وأمر أطفال الحي وغلمانه بأنه يسحبوه على وجهه ويسيروا به في الطرقات . وظل أمية يتفنن في تعذيب بلال وبلال صابر على العذاب ،كانوا يحملونه إلى الهاجرة فيرقدونه ويضعون الحجر الضخم فوق صدره ، فما يزيد عن أن يقول : أحد أحد . ولقد كانوا ينتظرون اليوم الشديد الحر فيلبسونه دروع الحديد ثم يقيدونه في بطحاء مكة تحت نار الشمس . واشتراه أبو بكر بخمس أواق ذهب . وفي الطريق قال بلال لأبي بكر : إن كنت اشتريتني لنفسك فامسكني . وإن كنت إنما اشتريتني لله فدعني وعمل الله » . وهاجر بلال مع سعد وعمار . وعندما أقام النبي المسجد تداول مع الصحابة في أمر النداء للصلاة فقال بعضهم الراية والبوق والناقوس واقترح عبد الله بن زيد الأنصاري الأذان « الله أكبر » فدعا النبي بلال ليؤديه فقد كان ندى الصوت عذب الأنغام مشهوراً عند أهل مكة بصوته الحنون ولكم غنى لأمية حين كان عبداً عنده . وفي معركة بدر قتل بلال عدوه أمية بن خلف، وشقه نصفين ، وكان بلال خازن الرسول في بدر أعطاه الأخماس والغنائم . وكان النبي يقول له : انفق بلال ولا تخش من ذي العرش إقلالا. وعندما فتح الرسول مكة ، دعا بلالا فصعد فوق ظهر الكعبة فأذن للناس . قال المشركون : كيف جرؤ هذا العبد على اعتلاء بيت الله الحرام ولم يصعد إليها أحد من قبل . وبعد أن اختير النبي للرفيق الأعلى حن بلال إلى الجهاد ولحق بأبي عبيدة بالشام . ومرض عام ٢٠ هجرية فلما دنا أجله وأحس بالموت قال : وافرحتاه.. غدا ألقى الأحبة : محمدا وصحبه: إنه بلال بن أبي رباح .

البلخى

قيل أقطاب الكلام فى العربية ثلاث : الجاحظ وعلى أبو عبيده وأبو زيد البلخى ، وقالوا الجاحظ يزيد لفظه على معناه. وأبى عبيده يزيد معناه على لفظه أما البلخى فإن لفظه يوافق معناه وقال عنه أبو حيان التوحيدى : أنه أحد ثلاثة لو اجتمع الثقلان على تقريظهم ومدحهم ونشر فضائلهم فى أخلاقهم وعلمهم ومصنفاتهم ووسائلهم مدى الدنيا إلى أن يأذن الله بزوالها ما بلغوا آخر مايستحق كل أحد منهم ، وهو بحر البحور وعالم العلماء : والثلاثة الذين عناهم التوحيدى هم: الجاحظ وأبو حنيفة الدينورى والبلخى . (ولد أبو زيد أحمد بن سهل البلخى) عام ٤٨٩ هـ — ٩٣٤ م فى قرية شامستيان . شب معلماً . خرج إلى العراق سيرا على قدميه حيث التقى بعلمائه وحكمائه وأقام بها ثمان سنوات ، ومن تلقى عليهم (الكندى) : اتصل بدوائر الأمراء والملوك و صاحب الأمير أحمد بن سهل . ووصل إلى درجة من الغنى فكان له مال وضياع . وزهد فى الوزارة وعاش إلى قرابة الثمنين. أنشأ كثيراً من المؤلفات والآثار وأنلم يبق منها غير مخطوطات قليلة ذكر ابن النديم مؤلفاته فى « الفهرست » فى صحيفتين كاملتين ، ألف فى الأديان والسياسة والفلسفة والشعر والنحو والتوحيد والفلك. ومن أبرز مؤلفاته شرائع الأديان والسياسة — ومصالح الأبدان والأنفس — وأسماء الله وصفاته صناعة الشعر والنحو والفلسفة ـ ما يصح من أحكام النجوم — الرد على عبد الأوثان ـ البحث عن التأويلات ـ نظم القرآن ، وله مجموعة من الخرائط كانت أول ما عرف نسقه بين كتب الجغرافيا الإسلامية ، وقد اهتم بالرسم فيها أكثر ما أهتم بالكتابة . لقى من خصومه عنتا فقد أتهموه بالزندقة وكانت له معارك ونضالات ومساجلات هزت وأثار الفكر فى عصره، وهو من أبرز مؤلفى الإسلام

ومما نسب إليه كتاب البدء والتاريخ وهو من تأليف المطهر المقدسى .

ولد عام ١٨٤٩ م — ٢٣٥ هـ وتوفى عام ٩٣٤ م — ٣٢٢ هـ

البـــيرونى

عالم عبقرى له دوى ظل المؤرخون يتجاهلونه سنوات طويلة مع عظم مكانته وجلال قدره. عنى بعلوم الرياضة والفلك والطبيعة والكيمياء والجغرافيا الطبيعية وصاحب « محمـــود الغزنوى » إلى الهند فمكث بها أربعين سنة يدرس لغتها السنسكريتيه ويتعرف دينها وعاداتها وقد سجل ذلك كله فى كتابه « تحقيق ما للهند من مقالة مقبولة فى العقل أو مرزولة » وقارن بين رياضياتهم ورياضيات اليونان . ومازال كتابه هذا مرجع كل باحث عن تاريخ الهند .

فارسى من أهل خوارزم . شيعى سمح . يرى أن اللغة العربية أطوع للعلوم من الفارسية . وله مناظرات مع « ابن سينا » الفيلسوف . وعرف بقدرته على التنجيم وبخبرته فى الطب والصيدله . وله كتاب فى الطبيعة .

قالوا عنه أن يده لم تفارق القلم وأن عينه لم تفارق النظر وأن قلبه لم يفارق الفكر .

قال ابن النديم أنه رأى فهرست كتبه فى ستين ورقه . طالع كتب اليونان والهنود . وألف كتاب « القانون المسعودى » للسلطان مسعود بن محمود الغزنوى فأجازه بحمل بغل من النقد الفضى فرده معتذراً . وكان ذلك شأنه إذ رأى المال مذلة رفضه .

وكان يسأل عن دقائق العلم وهو على فراش الموت ويقول عن ذلك « لأن ألقى الله عالما بها خير من أن ألقاه جاهلا .. »

وله كتاب « الجماهر فى الجواهر » وكتاب فى شرح ديوان أبى تمام . وصفه مؤرخوه بأنه « فيلسوف رياضى مؤرخ » .

أبو الريحان محمد بن أحمد البيرونى ولد ٣٦٢ هـ (٩٧٣) .
وتوفى عام ٤٤٨ (١٠٤٨ م) .

بيبرس

فى هذه الايام يتردد إسم الظاهر بيبرس البطل المسلم الذى حسم حصار الفرنجة للشرق وسحق التتار فى زحفهم الضخم الذى بدأ من أواسط آسيا فوصل إلى حدود مصر بعد أربعين عاما من سنوات مريرة سحقت فيها حضارات فارس والعراق وسوريا ..

ولقد قضى على زحف الفرنجة فى دمياط وحطم جبهتهم ولم يكن فى الصف الاول إذ ذاك، بل كان ضابطا فى خطواته الاولى ثم قام بدوره الخطير فى «عين جالوت» فكان له الفضل فى ترجيح كفة النصر للمسلمين بعد أن قتل كتبغا قائد التتار فاضطربت صفوفهم وتمزق شملهم . وفى إبان ولايته لمصر قام بحملة ضخمة على الشام حيث استطاع أن يتم رسالة صلاح الدين ليطهرها من التتار وقد أتاح له إيمانه القوى أن يصفى موقف الشرق من أعداء ثلاثة كانوا قد هددوا كرامة العرب والمسلمين خلال أكثر من قرن من الزمان. هم الصليبيون والتتار والاسماعيلية الذين تعاونوا عليه ووحدوا صفوفهم ضده . ولكنه انتصر عليهم وساق لهم مرارة الهزيمة ،

فقد حاصر قيسارية فسلمت له . ودخل أرسوف ففضها على أهلها . وقتل ملك أرمينا الذى كان مع التتار عوناً على مصر وانتزع يافا وانطاكية من الفرنجة وبعد أن قضى عليهم نهائياً اتجه إلى الاسماعيليين فى قلاعهم المنيعة التى بناها حسن الصباح وسنان شيخ الجبل فحاصرها وقطع عنها الزاد والمؤنه ثم دكها قلعة قلعة وحصناً حصناً .

وفى الموصل حيث كانت تعتصم فرقة منهم قذف بيبرس بفرسانه فى مياه الفرات عابراً النهر إليهم فدارت بينه وبينهم معركة كللت بالنصر وكان الجندى المسلم المصرى هو عماد هذه الانتصارات المتوالية وبذلك قضى على آخر حصون الاسماعيلية الذين هددوا أمن الشرق ردحاً من الزمان .

مات الظاهر بيبرس عام ٦٧٦ عن سبعة وخمسين عاما قضى زهرتها فى الجهاد

حرف التاء

ابن تيمية

إذا ذكرت حرية الفكر وأبطالها كان أن تيمية فى مقدمة هؤلاء المفكرين الأحرار فهو الرجل الذى وقف يحارب المنحرفين من الصوفية والرفاعية والباطنية وغيرها من أهل الفرق ، داعيا إلى السنة الصحيحة ، مطالبا بالعودة بالإسلام إلى منابعه الأولى فكان بينه وبينها صراع طويل ضخم لقى فيه كثيرا من الإضطهاد والسجن والتشريد .

ولكن ابن تيمية لم يعلن الحرب على هذه الطوائف إلا بعد أحاط بالثقافات المتعددة فى مختلف الميادين وقد أعانه على ذلك حافظة واعية ، وذاكرة قوية ، وذكاء مفرط وكان إلى ذلك ذا عقلية مرتبة لماعة .

واستعان خصومه عليه بالملوك الظلمة وأثاروا عليه حملة واسعة حكم عليه بعدها بأن يلقى فى بئر معلقا بحبل ، فبقى كذلك عاماً ونصف عام ثم خرج منه وقد ازداد اصراراً على رأيه وثباتا على عقيدته .

وبالرغم من هذا الاضطهاد فأنه عندما هاجم التتار حدود الشام ركب فرسه ومضى يحث الناس على الجهاد ويشد أزرهم ويدفعهم إلى الموت فى سبيل الحرية وشهد أكثر من واحدة من المواقع الفاصلة .

كان نسيجا وحده فى الخلق . من ذلك الصنف الذى لا يؤمن بالمجاملة فى سبيل الحق الذى يعتقده ولو أغضب الحكام . وعرف بأعراضه عن طلب الرياسات ولم يقبل أن يكون ظلا لأمير أو سلطان ورفض أعطياتهم ولما جاءته القناطر المقنطرة من الذهب والفضة فى أواخر عمره أنفقها جميعا دون أن يبقى منها شيئا وقد ألف فى سجنه صفوة كتبه وفتاواه وأحكامه فى تفسير القرآن وشهدت سجونه بحارة الديلم بالقاهرة وفى البرج المطبق فى الاسكندرية وفى سجن القلعة فى دمشق هذه الصفحات الخالدة من العلم فلما مات شيع جنازته مائة ألف رجل

ولد بحران ٦٢٧ هـ (١٢٢٩م) توفى ٧٢٨هـ (١٣٢٨ م)

وقيل بلغت مؤلفاته ثلاثمائة مجلد وله فتاوى فى خمسة مجلدات.

التجانى

واحد من الرحالة العرب العلماء الأدباء الذين قطعوا البلاد من تونس إلى حدود ليبيا وهى منطقة ضيقة ولكنه بالرغم من هذا قد خلف دراسات عميقة عن هذه المنطقة ، سافر من تونس إلى صفاقص فقابس وتوزر وجزيرة جربه فتمراسن فطرابلس فصباته – سجل مشاهداته فى رحلته واستعرض خلالها تاريخ المهديين وتاريخ العبيديين . وصف المجتمع الذى رآه ، قضى التيجانى سنة ونصف السنة فى طرابلس تعرف خلالها إلى المدينة وأهلها وعلمائها . يقول فى وصف صفاقس: رأيت مدينة حاضرة ذات سورين يمشى الراكب بينهما ويضرب البحر فى الخارج منهما . وكانت بها قبل غابة زيتون ملاصقة لسورها فأفسدها العربان، يصطاد بها من السمك أنواع تفوق الإحصاء . وببحرها يوجد صوف البحر الذى تعمل منه الثياب الرفيعة الملوكية ، ومرساها حسن ، ميت الماء والماء يمد به ويجزر عنه كل يوم فإذا جزر استوت السفن على الحماة ، وإذا مد عامت . وقال : ولما توجهنا إلى طرابلس وأشرفنا عليها كاد بياضها من شعاع الشمس يغشى الأبصار فعرفت صدق تسميتهم لها بالمدينة البيضاء (ولد التجانى ١٢٧٢م فى يونس عاصمة الحفصيين ، وقد لقى فى عصره علماء فى كل فرع من فروع المعرفة ، وعرف بالهمة العالية والصبر والأناة . استلحقه السلطان ببلاطه وصار كاتبا لشيخ الموحدين : أبو يحى بن اللحيانى . وقد خرج معه من تونس فى سياحة امتدت عامين وثمانية أشهر ، فلما تولى ابن اللحيانى الملك ولى التجانى رئاسة دواوين رسائله . وألف تصانيف كثيرة . وقد لقى التجانى وغيره حتفهم قتلا على أثر هزيمة اللحيانى وتولى ابن يحى أبى بكر عام ١١٣١ هوله مؤلفات متعددة فى الفقه والأدب والتاريخ والتراجم والحديث وله مراسلات مع ابن شبرين وقد أخذ عليه أنه لم يصف بلاده تونس على النحو الذى وصف من بلاد رحل إليها .

التنوخي

عرف بصلابته في الحق وصراحته . دون مبالاة أو خوف من حاكم أو سلطان . ولقد وقف مرتين في قضايا ملفقة موقف الجرىء إذ كان كل وزير يحاول أن ينكل بمن سبقه فيخلق له الاتهامات الخطيرة التي تذهب به . وقد فعلها حامد بن العباس وزير الخليفة المقتدر حين لفق التهمة للحسن بن الفرات فصنع له مؤامرة تتضمن عشوره على وثائق تثبت اتصال ابن الفرات ببعض الطالبين بالخلافة وفي المرة الثانية عندما جاء الحسين بن الفرات وزيراً أراد أن ينتقم من الوزراء الذين سبقوه وتآمروا به فدبر لهم مثل ما فعلوا له ، فأعلن أن علي بن عيسى له اتصال بالقرامطة أعداء الدولة . وفي كلا المرتين كان القضاة يقفون موقفا سلبيا ، ما عداه ، أبو جعفر أحمد بن أسحق بن البهلول التنوخي الأنباري : فكشف عن كذب هذه المؤمرات واحدة بعد أخرى دون أن يخشى شيئا . وقد عرف التنوخي بأنه إلى مركزه الضخم كقاض ، كان أديبا شاعراً اخباريا . سمع بالبصرة من أبي العباس والأشرم وأبي بكر الصوري . ونزل بغداد وأقام بها وحدث إلى حين وفاته وقد عمل بالقضاء في واسط والأهواز وبغداد . ثم منع من القضاء ثلاث سنوات ورحل إلى مصر وعاد إلى القضاء مرة أخرى وقيل سجن وقتا ما واحتمل كثيرا من الشدة والاضطهاد في سبيل حرية رأيه وإيمانه بالحق .

كتب إليه أبو العلاء المعري قصيدته التي أولها « هات الحديث عن الزوراء أو هيتا » ، عرف بكتابه « الفرج بعد الشدة » ، وهو أول ما كتب عن القصة في الإدب العربي ويتضمن مجموعة أمثال وأقوال وقصص تصف الفرج بعد الشدة وذاع ذيوعا كبيرا . وكان أبوه من قضاة البصرة وقد دفعه إلى تلقي العلم على الصولي وأبي الفرج الاصفهاني . توفي ٩٥٣ م .

حرف الثاء

ثابت بن قرة

يرتبط إسم « ثابت بن قرة » بالفلك وعلوم الأبراج والهندسة . فقد نبغ في الطب والرياضيات والفلك ، ووضع في هذه كلها وغيرها مؤلفات جليلة ودرس العلم للعلم وشعر باللذة العقلية فراح يطلبها في الرياضيات والفلك وقطع فيها أشواطا بعيدة ، وأضاف إليها ومهد لإيجاد أهم فرع من فروع الرياضيات وهي نظرية « التكامل والتفاضل » ، وقد ترك مآثر جمة في بعض العلوم .

وكان يحسن السريانية واليونانية والعبرية ، يجيد النقل إلى العربية ويعده « سارطون » من أعظم المترجمين وأعظم من عرف في مدرسة « حران » في العالم العربي وقد ترجم كتبا كثيرة من علوم الأقدمين في الرياضيات والمنطق والتنجيم والطب كما أصلح الترجمة العربية لمجسطي بطليموس وجعل متنها سهل التناول .

وله أرصاد تولاها ببغداد وجمعها في كتاب بين فيه مذهبه في سنة الشمس وما أدركه بالرصد في مواضع منها . ووضع كتابا في الجبر بين فيه علاقة الجبر بالهندسة وله مقالة في الأعداد المتحابة وهي استنباط عربي يدل على قوة الابتكار واشتهر ببراعته في الطب وله عشرات الكتب عن خسوف القمر والشمس . وقطع الاسطوانة الهندسية . والمربع والمثلث . وابطاء الحركة في فلك البروج . وفي تركيب الأخلاق وصفة كون الجنين وأوجاع الكلى والمثانة .

ولد ثابت في حران سنة ٢٢١ وتوفي سنة ٢٨٨ هـ وقد كان في مبدأ أمره صيرفيا بحران ثم انتقل إلى بغداد فاشتغل بعلوم الأوائل فبرع فيها والتقى بمحمد ابن موسى الخوارزمي لدى رجوعه من بلاد الروم فأعجب هذا بفصاحة ثابت وذكائه فاستصحبه معه إلى بغداد ووصله بالخليفة المعتضد وأدخله في جملة المنجمين وقد اقطع المعتضد ثابتاً الضياع الجليلة تقديرا لمواهبه .

استعان علماء الغرب بمؤلفاته في ابحاثهم الرياضية في القرن السادس عشر وبين في كتبه ما أدركه بالرصيد للشمس في موضع أو جهاد ومقدار سنيها وكمية حركاتها ودرس علاقة الجبر بالهندسة وقسم الزاويه إلى ثلاثة أقسام متساوية من حكمة قوله راحة الجسم في قلة الطعام وراحة النفس في قلة الآثام وراحة القلب في قلة الاهتمام وراحة اللسان في قلة الكلام .

حرف الجيم

جابر بن حيان

ارتبط إسم جابر بن حيان بعلم الكيمياء وتحويل المعادن إلى ذهب. وقد اشتغل بالصناعة (الكيمياء) فترة طويلة من حياته حتى قيل أنه ألف فى هذا الفن نحو خمسمائة كتاب وكان فى ذلك تلميذا لخالد بن معاوية أول من تكلم فى علم الكيمياء وقد اكتشف جابر فى تجاربه ودراساته أموراً كثيرة بالغة الأهمية.

وهو يعد المعدن كائنا حيا، ينمو فى بطن الأرض أمداً طويلا وينقلب من معدن خسيس كالرصاص إلى معدن نفيس كالذهب، وعنده أن مهمة علم الكيمياء هى الاسراع بهذا الإنقلاب — ويطبق جابر مذاهب التناسل والزواج والجهل والتعليم على المعدن، ويقول عن المواد المتبيرة اللطيفة أنها (حية) والمواد الغليظة (ميتة) ويقول أن لكل جسم كيمائى نفس وجسم.

نسبت إليه استكشافات هامة فى الكيمياء مثل ماء الذهب وحامض الكبريت وحامض الأزوتيك ونترات الفضة.

وقد ترجمت مصنفاته إلى اللغات الأوربية وطبعت واشتغل بها الباحثون ومن أهمها كتابه أسرار الكيمياء أو كشف الأسرار وله إحدى عشر كتابا فى الأكسير الأعظم ونسب إليه إختراع فن الجبر وقيل منه اسمه ولم يتأيد هذا الرأى، وقد اختلف عليه الفلاسفة والشيعة فنسبه كل منهما إليه، فقد كان صديقا لجعفر الصادق، وله فى المنطق والفلسفة مصنفات. كان أكثر مقامه بالكوفة وبها كان يدبر الأكسير لصحة هوائها. زعم أهل صناعة الذهب والفضة أن الرئاسة انتهت إليه فى عصره وأن أمره كان مكتوما، وقيل أنه كان ينتقل فى البلدان لا يستقر خوفا من السلطان على نفسه، وقيل أنه كانت له صلة بالبرامكة — وقال ابن نباته أنه شخصية خيالية وفى الفهرست أن لم يوجد قط وإنما كان شخصا من نسج الأساطير (توفى ١٦٠ هـ)

الجاحظ

قيل لم يرقط من أحب الكتب والعلوم أكثر من الجاحظ فإنه لم يقع بيده كتاب قط إلا استوفى قراءته كائنا ما كان . حتى أنه كان يكترى دكاكين الوراقين ويبيت فيها . بدأ حياته فى البصرة فقيرا يتيما . توفى والده وهو حدث السن فراح يعيش بعمل يده ، ومضى يعلم نفسه بنفسه. فلما اجتمع له قدر صالح من الثقافة قصد إلى بغداد . وقد بلغ به الأمر أن أصبح دائرة معارف حية وعى فى صدره جميع معارف عصره فى الدين والأدب والعلم والفلسفة وطالع كتب العرب واليونان والفرس والهنود. وقد وصف أسلوب الجاحظ بالحياة والبعد عن الجفاف والتعقيد حتى إذا تحدث فى العلم لينه بنادرة أو فكاهة أو سخرية . وقد كان الجاحظ أميل إلى التفاؤل . يرى الدنيا بعين المغتبط لا بعين المغيظ ، يبدو عليه السرور إذا كتب ، وتعتاده الدعابة والتنادر. مفطور على الوفاء لأصحابه والثبات على الود.

كان فى أول أمره يؤلف الكتاب الكثير المعانى الحسن النظم فينسبه إلى نفسه فلا يرى الاسماع تصغى إليه . ثم يؤلف ما هو انقص منه مرتبة وأقل فائدة ثم ينحله عبد الله بن المقفع أو سهل بن هارون أو غيرهما من المتقدمين فيقبلون على نسخها . واتصل الجاحظ بالخلفاء والوزراء وقرأ له المأمون فأعجبه فطلب إليه كتابة رسالة عن العباسية ثم أسند إليه ديوان الرسائل . ولكنه ما لبث أن خلف منصبه . كما اتصل بمحمد بن الزيات وزير المعتصم والفتح بن خاقان وزير المتوكل.

ألف الجاحظ أكثر من ثلاثمائة كتاب فى الفلسفة والدين والسياسة والاقتصاد والتاريخ والجغرافيا والاجتماع والادب. وإذا كان الجاحظ قد رؤى يبيع الخبز والسمك بسجيان فانه لم يلبث أن بلغ به الثراء مداه فانهالت عليه الهدايا والعطايا من العظماء وأرباب الدولة وقد أصيب الجاحظ بالفالج وعاش به ثمانى سنوات لم ينقطع فيها عن العلم والتأليف . ومات فى البصرة عام ٨٦٨ م

الجـــبرتى

هذا المؤرخ الذى وقف فى وجه ظلم محمد على وسجله يوما بيوم ، وحادثة بحادثة فحنق عليه هذا الطاغية الذى مزق الزعامة الشعبية التى قدمته إلى الحكم ونفى عمر مكرم وسحق للماليك فى مؤامرة غادرة . حنق على الجبرتى الرجل العالم الكهل فأمر بقتل ابنه الذى كان يعمل فى وظيفة التوقيت فى قصر شبرا ، فبينما هو عائد ذات مساء إذا هاجمه بعض الأشقياء وأثخنوه جراحا ثم ربطوه برجل حمار . فلما وصل النبأ إلى والده عبد الرحمن الجبرتى كف بصره . وهصرت الأحزان قلبه . وبلغ الحادث فى نفس مبلغه من المرارة والألم ولم يلبث أن مات محزونا على ابنه (خليل) وذهب ضحية حرية رأيه وارتفاعه عن الملوك والحكام الظالمين . ولكنه مات بعد أن أدى رسالته ، وبعد أن أنشرت أجزاء كتابه (عجائب الآثار فى التراجم والأخبار) فى الناس وبدأوا يتناقلونها بما فيها من صور الإستبداد الذى فرضه محمد على على مصر بعد أن أحتال فى سبيل الوصول إلى مكان الصدارة فيها . . وقد نزه الجـــبرتى قلمه عن أن يقول غير ما يراه وما يؤمن به ، فقد كان ثريا ميسورا ، غنى النفس زاهدا فى مطامع الدنيا عرف بالشجاعة والصدق فجاء كتابه صورة صادقة لعصره كتبت فى وضوح وصراحة وبساطة بعيدة عن التعقيد أو التلفيق والتزييف وقد سجل هذا المعنى فى المقدمة فقال بالحرف « لم أقصد بجمع تاريخى خدمة ذى جاه كبير أو طاعة وزير أو أمير ، ولم أداهن فيه دولة بنفاق أو مدح أو ذم مباين للأخلاق لميل نفسانى أو غرض جسمانى » . والموجود الآن من كتاب الجبرتى أربعة أجزاء أما الجزء الخامس الذى صور فيه طغيان محمد على فالمتواتر أنه سرق عمدا وأعدم . تحية طيبة لذكرى بطل من أبطال حرية الفكر والقلم .

الجبرتى : عبد الرحمن بن حسن الجبرتى ولد بالقاهرة ١١٦٧ هـ (١٧٥٤) م وتعلم بالأزهر وجلس للتدريس فيه توفى ١٢٣٧ هـ (١٨٢٢ م)

ابن جبير

« طرأ علينا فى مقابلة البر فى الليل هول عظيم ، عصم الله منه بريح أرسلها الله تعالى فى الحين من تلقاء البر فأخرجنا عنه والحمد لله على ذلك . وقام علينا نوء هال له البحر صبيحة الثلاثاء فبقينا مترددين بسببه حول بحر سردينيه إلى يوم الأربعاء بعده فأطلع الله علينا فى حال الوحشة وانغلاق الجهات بالنوء فلا نميز شرقا من غرب، مركبا للروم قصدنا إلى أن حاذانا، فأخبر أنه يريد جزيرة صقلية وكنا قد استقبلنا طريقه التى جاء منها من غير علم فأخذنا عند ذلك فى إتباع أثره » . هكذا يقص ابن جبير قصـــــة رحلته فى البحر المتوسط خلال ثلاثين يوماً من الأندلس إلى الاسكندرية حافلة بكل مايروع ويخيف .

رحل ثلاثا من الأندلس إلى المشرق، وحج فى كل واحدة، وأقام بمصر ومكة وبيت المقدس وكانت رحلته الثانية عندما شاع خبر فتح بيت المقدس على يد صلاح الدين « ٥٨٥ﻫ » وكان رحلته الثالثة تخلصا من آلام الحياة بعد وفاة زوجته عاتكة أم المجد وكان حفيا بها .

ولد محمد بن أحمد بن جبير ببلنسيه ٥٣٩ﻫ وتوفى ٦١٤ﻫ وعاش حياة خصبة شاهد فيها الشرق وطوف بآسيا وأفريقيا . ودخل الشام والعراق والجزيرة وكان منذ أول شبابه متطلعاً إلى التبريز فى القريض والكتابة . وتطلع إلى الرحلة فأنفق فيها جانبا كبيراً من حياته وقطع البحر بين الاندلس والاسكندرية ست مرات، وكتب رحلته المعروفة ، ولم يكن طامعا فى شىء مما يتطلع إليه الشعراء والكتاب ، فقد كان زاهداً عن صحبة الملوك والأمراء عازفا عن الرغبة فى عطاياهم، حتى قيل إنه نال بالأدب دنيا عريضة فرفضها وزهد فيها ووصف بأنه أديب بارع نزيه الهمة . بلغ الغاية فى الأدب وملاحظاته دقيقة ونظراته ثاقبة .

وقد أكسبته الرحلة خبرة وتجربة .

الجراح الحكمى

القائد المجاهد الفاتح فى اذربيجان وأرمينيا والقريم والقوقاس، اشترك فى معركة دير الجماجم قائداً لإحدى الكتائب . ولى البصرة أبان ولاية عمر بن عبد العزيز المدينة وقتيبة بن مسلم على خراسان ، كما ولى واسط وخراسان . قال له عمر ابن عبدالعزيز وهو والى خراسان : أنظر من صلى معك إلى القبلة فضع عنه الجزية فما كاد يفعل حتى دخل الناس فى الإسلام أفواجا . قيل لم يكن عنده وهو والى خراسان إلا ثيابه وفرسه وعندما سافر لم يكن يملك النفقة فاستدان من بيت المال وذلك من عفته وعزوفه . ولى ارمينية واتخذ لأهلها مكيالا عادلا أطلق عليه (المكيال الجراحى) .

وقال البلاذرى : أنه كان يتخذ نقراً من فضة وذهب يجعلها تحت بساط فى مجلسه على أوزان مختلفة فإذا دخل عليه الداخل من ذويه للمقربين به رمى كل منهم مقدار ما يؤهل له يستميل بذلك قلوبهم . أمضى عامين كاملين فى الجهاد يتوغل فى الأرض التى تحكمها روسيا الآن من بلاد الخزر وتسمى بلاد اللان . فلما انتفض الترك والخزر على الإسلام ولم يكن معه من القوات ما يوازى عشر قواتهم استخلف أخاه على أرمينية وعبر بالقوات القليلة التى معه حتى قطع نهر السمور وسار بالخزر فقتل منهم كما قاتل أهل حزين ، وحارب أهـــل غوميك فقتل وسبى منهم ، فلما جاء الشتاء انتفض الخزر وعبرت نهر الرس فحاربهم فى معركة (أردبيل) المشهورة وتحالف عليه العدو والشتاء والفاقه حتى ضرب بها المثل (ليلة كليلة الجراح) وفيها استشهد وكل من كان معه من المجاهدين حتى آخر مقاتل ، وقد أطلق على النهر الذى حدثت عليه الموقعة (نهر الجراح) وقد ذهب مروان ابن محمد فى جيش يبلغ مائة وعشرين ألف مقاتل فاسترد هذه الأرض وانتقم له .

(هو الجراح بن عبد الله الحكمى) توفى ١١٢ هـ

الجــرجاني

وهو فرد الزمان ونادرة الفلك وإنسان حدقه العلم وقبة تاج الأدب وفارس عسكر الشعر ، جمع خط ابن مقلة إلى نثر الجاحظ إلى نظم البحترى ، ذلك هو ما وصفه به الثعالبي في كتابه يتيمة الدهر: إنه القاضي أبو الحسن بن عبد العزيز ولد في تاجو قرب استراباز، وندب للتدريس في شيراز ثم سافر إلى سمرقند وكتب عدة رسائل في الفلسفة باللغة العربية وبعضها بالفارسية وكتب شروحا على أهم الكتب في أصول الفقه والفلسفة وعلم الهيئة .

وقد ولى الجرجاني قضاء الرى وقال عنه الشيخ أبو اسحق أنه كان فقيها شاعراً ، صنف كتاب الوكالة وفيه أربعة آلاف مسألة وله تفسير كبير : وله اختصار تاريخ أبي جعفر الطبرى في مجلد سماه « صفوة التاريخ »

وقيل كان في صباه خلف الخضر في قطع الأرض وتدريج بلاد العراق والشام وغيرهما .

وللجرجاني كتاب شهير خطير هو الوساطة بين المتنبي وخصومه فقد ظل الصراع قائماً بين أنصار المتنبي وبين خصومه فترة طويلة من الزمن يتلقف كل فريق اتهامات الآخر ليزيد فيها أو ينقضها حتى جاء الجرجاني ففصل في القضية على نحو غاية في سمو القصد وسلامة الحكم والبعد عن الغرض ، والتجرد من الانتصار للمتنبي أو خصومة وما زال أسلوب الجرجاني مثلا عاليا في النقد يحتذى لبعده عن الهوى والمهاترات .

وقد وصف النقاد الجرجاني بأنه قد اقتبس من أنواع الأدب ما صار به في العلوم علما وفي الكلام عالما .

وتوفى الجرجاني في نيسابور عن ٧٤ سنة (١٣٣٩ — ١٤١٣ م)

جعفر الصادق

× ما كل من رأى شيئا قدر عليه ، ولا كل من قدر على شيء وفق له ، ولا كل من وفق أصاب له موضعا، فإذا اجتمعت النية والتوفيق والإصابة فهناك السعادة (سادس الأئمة الاثنى عشرة : جعفر بن محمد الباقر بن على زين العابدين ابن الحسين بن على بن أبي طالب) : كان عالما ثقة روى عنه يحي بن سعيد وابن جريج ومالك ابن أنس والثورى وابن عيينه .

لم يكن له شأن فى السياسة . عرف بدرايته الواسعة للحديث ، قيل اشتغل بالتنجيم والكيمياء وغيرها من العلوم الخفية . وله مقالات فى صناعات الرجز والفال وقد تبادل معه تلميذه جابر بن حيان رسائل : جمعها فى كتاب يضم ألف ورقة وبلغت ٥٠٠ رسالة . وإليه ينسب كتاب الجفر .

كان أديباً تقيا حكيما فى سيرته ، أوصى ولده موسى الكاظم بقوله : يابنى احفظ وصيتى تعش سعيداً أوتمت شهيداً. يابنى أن من قنع بما قسم له استغنى ومن مد عينيه إلى مافى يد غيره مات فقيراً ، ومن لم يرض بما قسم له إتهم الله فى قضائه ، ومن استصغر زلة نفسه استعظم زلة غيره ومن استعظم زلة نفسه استصغر زلة غيره . يابنى من كشف حجاب غيره انكشفت عورات بيته ومن سل سيف البغى قتل به ، ومن احتفر لأخيه بئراً سقط فيها ، ومن داخل السفهاء حقر ومن خالط العلماء وقر ، ومن دخل مداخل السوء أتهم. يابنى قل الحق لك أو عليك . وإياك والنميمة فانها تزرع الشحناء فى قلوب الرجال. يابنى إذا طلبت الجود فعليك بمعادنه :قال عنه الشهرستانى:كان ذو علم غزير فى الدين وأدب كامل فى الحكمة وزهد بالغ فى الدنيا وورع تام عن الشهوات . (توفى عام ١٤٧ هـ)

جلال السيوطى

الكاتب الذى كان غضبه يكلفه كتابة رسالة ضخمة فى بضعـــة مئات من الصفحات فى يوم وليلة ليرد على خصومه ومخالفيه . قال السيوطى أن أهل عصرى خالفونى فى خمسين مسألة فألفت فى كل مسألة مؤلفا .

ولد فى عام ٨٤٩ هجرية فى أسيوط وعاش بها فترة ثم رحل إلى القاهرة وكان ذلك فى زمن الدولة الايوبية .

وقد كان مثقفا عميق الثقافة والفهم ، استطاع أن يلتهم كل ما كان فى عصره من مؤلفات وآثار مما أداه لأن يصل إلى مرتبة المجتهد المجدد فى الحديث والفقه والعربية باجتماع آلات الاجتهاد له ودرس على ستمائه شيخ من شيوخ عصره وكان أبرز معاهده الجامع الشيخونى حيث درس فيه الفقه

وقد ظل وقتا طويلا يفتى الناس ويملى الحديث بجامع ابن طولون واستطاع فى هذه الفترة وضع علم أصول اللغة .وفى سن الاربعين تجرد للعبادة .وشرع فى تحرير مؤلفاته التى قيل أن التكاثر فيها ربما ألهاه عن الاتقان .

وقد عرف بسرعة القلم حتى أن كتبه أربت على الخمسمائة سوى ماغسله ورجع عنه . ولذلك جاءت مؤلفاته فى أغلبها جمعاً لاتأليفا .

وقد أرخ لمصر فى حقبة معينة وترك مرجعا ضخما فى ذلك هو «حسن المحاضرة بأخبار مصر والقاهرة» ، وله كتاب فى التراجم « نظم العقبان فى أعيان الأعيان » وله مؤلفات عن أسيوط وجزيرة الروضة . وقيل بلغت مؤلفاته الثلاثمائة كتاب توفى بالقاهرة ٩١١ هـ (١٥٠٥ م)

جمال الأفغانى

الرجل الذى حمل شرارة اليقظة والحرية فى هذه المنطقة الضخمة الممتدة من إيران إلى مصر . وهو الذى أجج النار فى قلوب المجاهدين فاندفعت معاولهم تحطم ذلك الجبل الضخم من الاستعمار والإستبداد حتى كاد بعد ستين عاما أن ينهار كلية : توفى عام ۱۸۹۷ مخلفا ذكرا مضيئا وتاريخاً نقيا : عاش حياته متنقلا لا يدعه الاستعمار يقر فى مكان . وهو أينما ذهب يؤلب عليه . وقد أعانه على ذلك إيمانه بالله فقد نفض يده من مطامع الحياة . وعاش لا يحمل غير ملابسه على جسده وكتبه فى مكنون صدره . لم يتزوج . وكان يؤثر أن يؤلف الرجال بدلا من أن يؤلف الكتب .

وقد أخرجه الخديو توفيق من مصر فى أول يوم تولى فيه الملك حيث قبض عليه فى نفس الليلة وأخرج مقيداً ليلقى فى إحدى البواخر المتجهة إلى الهند . وذهب محبوه إلى السويس يحملون له قدراً من المال فقال . أنتم للمال أحوج إن الليث لايعدم فريسته أينما ذهب وعندما نزل فى إحدى الموانى قيل له : أين صناديقك أيها السيد .

قال صناديق الكتب هنا وأشار إلى صدره . وصناديق الثياب هنا وأشار إلى جبته التى كان يظل لابساً إياها حتى تخلق ثم يستبدل بها غيرها . وكان يكتفى بأكلة واحدة فى اليوم مع إفراط فى الشاى والتدخين . يقطع بياض نهاره فى داره حتى إذا جاء الليل خرج متوكئا على عصاه إلى قهوة متاتيا وجلس فى صدر حلقة تضم طائفة من مريديه وتلاميذه وقد وقف فى وجه الاستبداد فى كل مكان فهاجم إسماعيل فى مصر والشاه فى إيران .

وقد تواترت فى السنوات الأخيرة كتابات عن أنه كان شيعيا إيرانيا ولم يكن سنياً أفغانيا ولكن ذلك لايقلل من مكانته وقد أكدت الوثائق أنه مات موتا طبيعياً وأن السلطان عبد الحميد كان يرعاه فى تقدير خلال إقامة أعوامه الأخيرة فى استانبول .

الجنيد

فى أجواء التصوف التى نتفتح اليوم نذكر ، أبو القاسم الجنيد ، الرجل الذى رسم صورة التصوف العملية بتصرفاته وشمائله .

شب الجنيد فى بغداد فى أيام لهوها ومجونها فكره الترف ودعا إلى الله وعكف على العبادة وكانت حلقته من أضخم الحلقات فقد اجتمع لها العلماء والفلاسفة والشعراء نظراً لدقة معانيه وعمق أفكاره وسلامة منطقه .

آمن بربه على أساس فقه عميق . أحب التصوف بعد أن أدرك أسراره . وهو عنده ليس مجرد مظاهر بل هو صفاء النفس وجلاء القلب وهو يؤمن بأن ذكر الله بالقلب هو أصل المحبة وعنوان التقرب لأنه يغزو قلب الذاكر . وفى هذا يقول (أن المحبة ميل القلوب فالذاكر إذا أحب مال إليه قلبه وانجذب إلى حضرته وفنى فى ذاته فيكون حبه من غير تكلف وهيامه عن صدق وإخلاص . ومادام الذاكر قد مال قلبه إلى من يذكره واتصلت به محبته فأنه يرى اللذة والسعادة فى الخضوع له والتدخل فى حضرته وإطاعة الوقوف ببابه طلبا للمثول بين يديه) .

ويصور الحب فى أسلوب نقى بالغ الروعة ، إذا ملك الحب شغاف القلوب

وتكشف الحال بين المحب والمحبوب أصبحت المحبة تعظيما يحل الأسرار وقربا يحيى موات القلوب فإذا سمع المحب ذكر محبوبه اضطربت منه الجوارح طربا لذكر محبوبه » .

عاش أبو القاسم الجنيد فى بغداد أبان القرن الثالث الهجرى وتفقه على أبى ثور صاحب الإمام الشافعى وتوفر على علوم القرآن والحديث وحج على قدميه من بغداد إلى مكة ثلاث مرات وعرف بطاووس العلماء . توفى فى بغداد ٢٩٧هـ ٩١٠م

جوهر الصقلى

قائد المعز لدين الله الفاطمى ، أسس مدينة القاهرة ، وبنى الجامع الأزهر ، ونشر المذهب الفاطمى ، وفتح مصر والشام وفلسطين ووطد سلطان الفاطميين فيها وصد غارات القرامطة عن مصر وهزم افتكين ومن حالفة من القرامطة . وتقلد الوزارة فى بلاد المغرب ثم اختاره المعز لفتح بلاد المغرب ثم منح لقب القائد وتوليه أمرة الجيوش لفتح مصر .

وقد سار جوهر حتى وصل إلى برقة ثم استولى على الاسكندرية . فلما بلغ القاهرة تم استيلاؤه على الفسطاط .

وكانت لجوهر من المواهب الممتازة ما مكنه من أن يندفع وينتصر . قائداً موفقاً . وسياسياً حكيما مما مكن المعز أن يختاره لقيادة الجند لاتمام فتح مابقى من بلاد المغرب وضمها إلى سلطان المعز فى أقل من عام لحكمه .

ولما جاء مصر نشر الدعوة الشيعية بالمشرق بعد أن فشل فى ذلك من سبقه من القواد الفاطميين ، إذكانت مصر قد بلغت حالة من الفوضى فى عهد كافور وانحلال الدولة العباسية وقد اتخذ الفاطميون القاهرة قاعدة لخلافتهم وقيل أن سر نجاحه فى نشر المذهب الفاطمى أنه اتخذ لذلك أسلوبا سلمياً وعلمياً عند ما أنشأ الأزهر ودار الحكمة .

وكان لمهارة جوهر وحسن سياسته أثرها فى استتباب الامن مما دفعه إلى فتح سوريا وفلسطين والقضاء على القرامطة وردهم عن المشرق كله .

وكان جوهر يجلس للمظالم بنفسه . ويرد الحقوق إلى أهلها . وقد منع جنود المغاربة من الاعتداء والغضب شأن الجند الفاتحين .

وقد ترك المعز له ولاية مصر أربع سنوات . وتوفى سنة ٩٩٢م

حرف الحاء

الحاجب المنصور

وصف بأنه كان يقضى ليله مكبا على الفكر والبحث والتأمل . وبين يديه دواته وقلمه وورقه ، يكتب مايعن له من خواطر وآراء . ويظل هكذا حتى قبيل الفجر فيهجع ساعة ثم يقوم إلى الصلاة . قال له «شعله» خادمه لقد أفرط مولانا فى السهر وبدنه يحتاج إلى أكثر من هذا النوم وهو يعلم أن السهر يحرك عليه العصب . فقال له المنصور : إن حارس الدنيا لاينام إذا نامت الرعية وإنه لو استوفى نومه لما كان فى دور هذا البلد عين يقظى . كان فى أول شبابه طالبا مغموراً بجامعة قرطبة . نشأ فى بيت فقه وعلم فكان حسن الأسلوب جيد الكتابة بدا له أن يتصل بقصر الخليفة حيث كان يكتب الرسائل لخدم القصر . وقد وثق بذلك علاقته بكبير الحجاب الذى رأى فيه براعة وتفننا . وأتاح له هذا الاتصال أن يعرف سيدة القصر « صبح أم المؤيد » وزوج الخليفة هشام ، التى أعجبت به إعجابا بلغ درجة كبيرة . وكان بعيد الأثر فى التطور الخطير الذى ظل المنصور يقطع به المراحل حتى بلغ أكبر منصب فى الدولة . غزا خمسين غزوة عاد منها جميعا منتصراً فقد كان فارسا ، وكان خشنا لم تغره الحضارة ، ولم يذهب الترف قوة عزيمته . وقد أغار عدة غارات موفقة جعلته موضع إعجاب الناس وتقديرهم وكان أوقعها غزوته لنصارى الشمال . وقيل من حزمه إنه كان إذا قدم من غزوة لايحل من نفسه حتى يدعو صاحب الخيل فيعلم ماماتت منها . وصاحب الأبنية ليعلم ما هى من أسواره وقصوره . وقصة المنصور فى تحطيم خصومه والوقفين فى طريقه إلى الملك تعطى صورة تلميذ من تلاميذ « ميكافيلى » وقد انتهى الأمر به أن استولى على قصر الخليفة وطوى الوزراء فى شخصه . لقد كان قمة المجد فى الأندلس فلما انتهى انطوت صفحة المجد وبدا عهد الانحدار والتفكك : اسمه محمد المنصور بن أبى عامر وتوفى ١٠٠٢ م .

الحجاج

« . . أن أمير المؤمنين قد عجم كنانته فوجدنى أصليها عوداً فرما كم بى » . . اختلفت الآراء فيه ولكنها أجمعت على أنه شخصية ضخمة فى تاريخ الحكم . وأنه كان سناداً قويا الملك بنى امية . وقد أوتى طبيعة صارمة غاية فى الصرامة ، حتى قيل إنه لم يعرف الضحك فى حياته إلا مرة واحدة تبسم فيها . وقد وصف نفسه بأنه أجرأ الناس على سفك الدماء . ووصف نفسه للخليفة عبد الملك ابن مروان بأنه لجوج حقود حسود : وأجمع المؤرخون على أنه كان قبيح المنظر . قصير القامة . ضئيل الجسم . ممود فشل فى أول حياته فلم يستطع أن يكون بطلا فى أى ميدان . وعجز عن أن يكون فارسا يضرب بالسيف . ويطعن بالرمح أمثال لداته وأقرانه . وكان قد بدأ حياته فى الطائف معلما الصبيان . ولكنه ضاق بهذه المهنة وكرهها ورغب فى أن يضرب فى الآفاق ليحقق آمالا كآمال ، دون كيشوت ، ومفتاح شخصية الحجاج يتمثل فى ذلك الحادث : كان قد ألقى يوما أمراً إلى الشرطة بالمسير إلى جهة فرأى أن أتباع ابن زنباع لا يزالون يأكلون فى تراخ غير مبالين بأمره . فلما أمرهم بالسير فى حزم سبوه قائلين : يا ابن اللخناء فلم يجبهم إلا بأن أمر باحراق الخيمة عليهم وأمر بضربهم بالسياط فذهبوا إلى روح ابن زنباع يشكون إليه ما لحقهم من الحجاج فذهب ابن زنباع إلى الخليفة يشكوه . ولما استدعاه الخليفة عبد الملك ليسأله عما كان منه . قال له إنك يا أمير المؤمنين تستطيع أن تعوض زنباع عن الخيمة خياما وتهب له بدل التابع أتباعا . ولكنى لن أسمح لأحد أن يعصى أمرى لأنه مستمد من أمرك . ومن هنا بدأت تلك الشهرة التى عرفت عنه بعد ، بالغلظة والتسلط والاستبداد وإذا ذكر الخير للحجاج فإنه يذكر فى إرساله الفتوح إلى آسيا وبعث أبى القاسم الثقفى إلى الهند وقتيبة بن مسلم إلى الصين . توفى ٧١٨ م

حجاج الحضرى

شيخ طائفة الحضرية وزعيم حى الرميلة المواجهة للقلعة ومن أبطال ثورة المصريين على الفرنسيين وطغاة العثمانيين والمماليك . فقد شهدت الرميلة مقاومة ضخمة للفرنسيين فى المعركة الكبرى التى قادها عمر مكرم ومحاصرة القلعة لخلع خورشيد باشا وعندما علم حجاج بأن جنود خورشيد هاجموا حى المظفر واعتدوا على المواطنين وخطفوا أسلحتهم وأخلوا الشوارع من متاريسهم أسرع « حجاج » بمن معه إلى حى المظفر وهاجم الجنود وفتك بالكثيرين منهم . وكان حصار القلعة وفيها خورشيد من أعظم الأعمال التى حققت خلعه، وكان لحجاج ورجاله الفضل ، فقد ظل ساهرا يرقب المناطق التى تحيط بالقلعة من جهة الجبل، فلما اقتربت قافلة (رجب أغا) محاولة إقتحام الحصار وتوصيل المؤن والذخائر لخورشيد فى القلعة، أسرع برجاله وانقضوا عليها وقضـــوا على الجنود المراقبين وعاد بالمؤن والذخائر والمعدات وفى أبان هذه المعركة قصد حجاج الحضرى ورجاله حيث أخرجوا المدفع الكبير من قلعة الفرنساوية وأخذوا يجرونه يومين كاملين حتى وصلوا إلى باب الوزير فى مواجهة القلعة، فلما بدأ يلقى قذائفه على القلعة أذعن السلطان العثمانى لإرادة الشعب وعزل خورشيد ، وحاول جنود الوالى المعزول انتهاز فرصة أفراح الشعب بالنزول من القلعة، غير أن حجاج ورجاله كان يقظا لمؤامرتهم؛ فالبث أن اسرهم وأرسلهم إلى دار عمر مكرم وأقام حجاج بوابة ضخمة فى حى الرميلى ليوقف بها هجوم الوالى وكان قسم بوليس السيدة عائشة يطلق عليه (قراقول بوابة حجاج) وعندما طغا محمد على واستبد جابهه حجاج الخضرى وأنكر عليه سياسته الباغية فانتقم منه محمد على وأصدر أمره فى (أغسطس ١٨١٧) بشنق حجاج الخضرى على السبيل الذى كان يجاور حارة المبيضة بالجمالية كما أمر أن تظل جثته معلقة إلى اليوم التالى . ولم يمت حجاج وإنما خلد اسما لامعا فى تاريخ الكفاح .

ابن حجر العسقلانى

قال عنه المؤرخون : « لقد جد فى الفنون حتى بلغ الغاية القصوى . انتهت إليه الرحلة والرياسة فى الدنيا بأسرها فلم يكن فى عصره حافظ سواه » . وقيل أخذ اللغة عن الفيروزبادى والعربية عن الغمارى والأدب والعروض عن البدر البشتكى وقد باشر القضاء فى الديار المصرية استقلالا مدة ٢١ سنة وكان يخطب بجامعى عمرو والازهر وأملى ماينيف على ألف مجلس من حفظه . وزادت تصانيفه على مائة وخمسين كتابا : هو قاضى القضاة شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن على المصرى الشافعى ، ولد بمصر العتيقة ونشأ بها وحفظ القرآن وسافر إلى مكة فسمع بها حيث حبب إليه الحديث فسمع الكثير من علماء البلاد الشامية والمصرية والحجازية

وقام بعد ذلك بعدة رحلات فى مصر والشام والحجاز واليمن ، واتصل بكثير من الفقهاء والأدباء ودرس الحديث عشر سنوات على زين الدين العراقى .

وقد بلغ غاية الاجادة فى فنى النثر والشعر واظهر نشاطا كبيرا فى التأليف ، أجمع المؤرخون على أن الناس كانت تتهافت على كتبه فى حياته وخاصة فتح البارى الذى بيع بثلاثمائة دينار . وأبرز كتبه (أبناء الغمر بأنباء العمر) حيث صور ابن حجر عصره من غير طلاء وساق الأحداث صحيحة . ومن النقاط الهامة التى أثارها ابن حجر فى هذا الكتاب القيم تكتل السياسة الاوربية الصليبية إذ ذاك لمحاولة هدم مصر ببعث الفكرة الصليبية من جديد . ومن أبرز مؤلفاته « الاصابة فى تمييز الصحابة ولسان الميزان فى الحديث ، ومصطلح الحديث . وقالوا أن شرحه البخارى يعد كافيا لعلو قدره وكذلك شرحه مسند الامام أحمد وكتابه بلوغ المرام فى أدلة الأحكام وله ديوان مطبوع وقد جمع بين صفات أربع : حافظ محقق ناقد محدث كتب عنه تلميذه « السخاوى » ترجمة وافيه عنوانها الجواهر والدرر فى ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر عاش بين ٧٧٣هـ — ٨٥٢ م :

ابن حزم

« ما رأينا مثله فيما اجتمع له من الذكاء وسرعة الحفظ وكرم النفس والتدين وما رأيت من يقول الشعر على البديهة أسرع منه » هكذا وصفه الحافظ بن أبي عبد الله ، وقد عاش على بن حزم كريم النفس عازفا عن صحبة الملوك . فكان ذلك من أسباب حقد العلماء عليه وإيغارهم صدور الملوك عليه مما أدى إلى حرق مؤلفاته علانية في أواخر حياته ، وكان من أجمل لذات حياته السعي وراء العلم حتى كان له من التآليف مالم يعرف لغيره من علماء العرب باستثناء ابن جرير الطبري وقد كان عصاميا في ثقافته فقد علم نفسه وأكب على الدراسة غير مستعين إلا برغبته القوية وقد أتاح له ذكاءه أن يصل إلى ذروة العلم فاستوعب أعلام الفقه والتفسير والحديث والأدب والشعر والتاريخ من أطرافها . وقد كون رأيه المستقل وبلغ به مبلغ المجتهدين : وقد تألب عليه المعتضد بن عباد أمير اشبيلية بعد أن اشتغل ابن حزم بالوزارة وقاسى أهوال الملك وانهيار العروش ومتاعب التحول في أمور السلطان وقضى في السجن فترات متعددة ، ولذلك فقد اعتزل السياسة ونفر من الدرس والتأليف وزهد في الدنيا ، وهنا تبلورت شخصيته في صورتها الرائعة : العالم العامل القوى الإيمان بالله الراغب عن متاع الدنيا وزخرفها ، وهو أول عالم جرىء القلب إستطاع أن يكتب عن « الحب » في نصاعة وقوة وأن يصف عاطفته في صدق وحرارة في رسالته « طوق الحمامة » هذا بالإضافة إلى مؤلفاته الحافلة بالآراء الدقيقة في مسائل الدين والفقه . ولم يأخذ المؤرخون على ابن حزم إلا صراحته الصريحة هذه التي جملته لا يجامل ولا يأخذ الأمور في شيء من الحكمة والمصانعة أو المرونة وقد وصف لسانه بأنه شبيه بسيف الحجاج رهفا .

وقد اشترك في حرب غرناطه . وهو فقيه وطبيب وشاعر وفيلسوف ومؤرخ وله الفصل في الملل والنحل والأهواء (٩٩٤ - ١٠٦٤)

أبو الحسن الأشعرى

« كنت أقول بخلق القرآن، وأن الله لاتراه الأبصار وأن أفعال الشر أنا أفعلها وأنا تائب مقلع وأهل العدل فرقة من أهل التوحيد . يامعاشر الناس إنما تغيبت عنكم هذه المدة لأنى نظرت فتكافأت عندى الأدلة ولم يترجح شىء على شىء فاستهديت بالله فهدانى إلى اعتقاد ما أودعته فى كتبى هذه وانخلعت عن جميع ما كنت اعتقده كما انخلعت من ثوبى هذا (وانخلع من ثوب كان عليه ورمى به) . ذلك هو الحسن على بن اسماعيل أقام على « الاعتزال » أربعين سنة ثم تاب عن القول بخلق القرآن بعد أن انقطع عن الناس « حيث وجد من تشوش الأدلة الجدلية الكلامية ما أزعجه ورده إلى صوت النفس » وبعد أن احتجب عن الناس فترة خرج إلى المسجد الجامع بالبصرة يوم جمعة ورقى كرسيا ونادى بأعلى صوته وقال :

من عرفنى فقد عرفنى ومن لم يعرفنى فأنا أعرفه بنفسى أنا فلان بن فلان وأعلن انخلاعه من مذهب المعتزلة ودفع للناس كتباً ألفها أثناء غيبته نصر فيها مذهب السلف المتمسكين بظاهر نصوص القرآن والحديث وأبرزها مؤيدة بما كان قد أحكم من المناهج الجدلية الكلامية . ثم ألف بعد ذلك مالا يحصى من المصنفات فى الرد على المخالفين. وقد اتهمه خصومه بأنه قام بانقلابه لأسباب دنيوية وأكد مؤرخوه أنه عرف بالزهد والتقلل من الدنيا والتبلغ بيسيرها . وقالوا إنه هدى من عند الله وقيل رأى النبى يرشده إلى السنة فاتجه إليها بأسلحته العلمية وقيل إنه تبين للأشعرى تناقض أصول المعتزلة وعدم كفايتها وبعدها عن اليقين القلبى . وقال : إن مذهب المعتزلة لايطابق حاجات الإنسان الراغب إلى الرحمة والمغفرة ، وقد تصدى الأشعرى للرد على المعتزلة والرافضة والجهمية والخوارج وصنف خمسة وخمسين كتابا وقيل ثلاثمائة وكان فى التأليف أقوى منه فى المناظرة سكن بغداد إلى أن توفى بها وقد نشأ فى بيت عريق أخذ أول أمره عن أبى على الجبائى إمام المعتزلة ثم اختلف معه . (٢٩٠ هـ — ٣٢٤ م) .

الحسن البصرى

دخل « الإمام على » جامع البصرة فأخرج القصاص وهو يقول : القصص بدعة . حتى انتهى إلى حلقة شاب يتكلم على جماعة فاستمع إليه فأعجبه كلامه فقال : يافتى أسألك عن شىء ، إن خرجت منه تركتك تتكلم على الناس وإلا أخرجتك كما أخرجت أصحابك فقال : سل يا أمير المؤمنين . فقال أخبرنى ما صلاح الدين وما فساده فقال : صلاحه الورع وفساده الطمع ، قال صدقت فتكلم فمثلك يصلح أن يتكلم على الناس . ذلك هو « الحسن البصرى » داعية الورع والزهد والتقى . أول من وضع قواعد الزهد ورسم طرائق محاسبة النفس وأعلى من شأن فضائل الخوف والرجاء . ومضى يدعو إلى تخليص المجتمع من الفساد الذى دب فيه حينما بدأ الرعيل الأول من الصحابة يجمعون الأموال ويبنون القصور ويتخذون الفراش الوثير. فبدأ يسخر من النفع المادى ، ويحارب المآرب الدنيوية ، ويجمع من حوله المريدين صارفاً إياهم عن الانحراف والجشع والتطلع إلى الأثرياء . ونصب نفسه قاصاً بالمسجد ، مخالفاً مذاهب القصاص من تهويل وإغراق ، وأخذ من حديث الرسول ذلك الجانب الذى يحمل الوعيد ويرسم صورة الخوف والتحرز من الصغائر . وقال إن أساس الدين التقوى والحزن والخوف ويعد الحسن أساس البصرى المدرسة الفلسفية لمذهب أبى ذر. ولد بعد الهجرة بعشرين عاما وبدأ يتزج بالحياة فى عهد عثمان . وكان مقتل عثمان نفسه هو عقدة حياته وروح فلسفته . وكانت المثالية لعهد عمر هى التى رسمت طريقه ، وقد اجتمع بعديد من التابعين واستمع منهم إلى أحاديث الرسول وقصص ورعه فتكونت من مجموعها العوامل التى تتفق مع طبيعته فى الإتجاه إلى الزهد وقد أتيح له أن يشارك فى الجهاد ويذهب إلى أقصى المشرق مع الغزاة ، فحضر حصار كابل وفتحها وعمل مع ابن زياد والى خراسان . توفى عام ٧٢٨ م

حسن توفيق العدل

أول من دخل إلى دنيا العربى المعاصر كتابه « تاريخ الأدب » بعد أن كان الفن غير معروف فى أعمالنا . واحد من الأعلام الذين خرجتهم دار العلوم سافر إلى أوربا وتلقى علومها ، وعمل معلماً للغة العربية فى المدرسة الشرقية ببرلين ، فأمضى بها خمس سنوات وعلم كثيراً من مستشرقى المانيا واتصل بدوائر الفكر وساجل العلماء فى اللغة العربية والإسلام وعقد مساجلات مع العلماء ودرس أساليب التعليم والتربية فى معاهد المانيا وأصدرها مجلة التوفيق المصرى . فلما عاد إلى مصر كتب عن طريقة (البيداجوجيا) وهو علم هداية الأطفال كما نقل أثر عودته كتاب بروكلمان من تاريخ الأدب العربى وقام بتدريسه فى دار العلوم ، وقد طبع فى سبع مجلدات . (ولد حسن توفيق العدل فى الاسكندرية (١٨٦٢ - ١٩٠٤) وتعلم فى الأزهر حيث أحرز إجازته فى سن العشرين ، كان حفيا بالشعر والنظم ، ألف رسالة فى النحو على غرار الفية بن مالك — وله منظومة فى علم الحديث وله ، المقامة العدلية نظمها على نمط الحريرى فى مقاماته ، وقد أتيح له بعد عودته من المانيا أن ينتدب للعمل أستاذاً بجامعة كمبردج ، حيث عمل من بعده الشيخ عبد العزيز جاويش والدكتور مهدى علام . وقد زار أوربا متجولا حتى وصل انجلترا عام ١٩٠٣ غير أن العمر لم يطل به إذ توفى ١٩٠٤ عرف بوطنيته وإيمانه واستقامة فكرة وخلقه ، حيث كان سفيراً لمصر والعروبة والإسلام فى كل مكان قصد إليه . وهو من المؤمنين بالنقل من الثقافة الغربية فى الأساليب والوسائل واقتباس خير ما يوجد فيها مما يضيف إلى شخصيتنا قوة وحياة وله من المؤلفات : سياسة الفحول فى تثقيف العقول — أصول الكلمات العامية — البيدا جوجيا . وله رسالة مطولة أطلق عليها إسم (الرحلة البرلينية) صور فيها مالقى خلال رحلته إلى برلين ١٨٨٧ من وقائع ونوادر وأحداث فى ١٣ جزء مطبوعة بالحجر .

حسن طوبار

من ذا الذى ينسى هذا المجاهد البطل الذى كان يملك أسطولا فى خمسمائة من قوارب الصيد فى بحيرة المنزلة أمام الحملة الفرنسية . فأزعج به الفرنسيين طويلا . حتى أنه رفض أن يرفع الراية البيضاء أمام أسطول نابليون . وقال للفرنسيين أنه مسئول عن كل أراضى الدلتا . ولقد حاصر بحيرة المنزلة حيث جمع خمسون مركبا سد بها الطريق الذى كان نابليون يريد اختراقه إلى يافا وبذلك أخره ذلك شهور حتى تمكن احمد الجزار من تحصين يافا فلما وصلها نابليون أرتد مهزوما

ذلك هو الشيخ حسن طوبار زعيم الصيادين فى منطقة البحر الصغير .

ولما حاول الفرنسيون التفاهم معه قال لهم أنهم مسئولون عن كل ما ارتكب فى أراضى الدلتا من جرائم .

ولما أرسل له الفرنسيون الهدايا رفضها . ولقد كان حسن طوبار حريصاً فى جهاده على أن لا يشغله شىء . فنقل أولاده ونساءه وأمواله إلى خارج مصر ثم أخذ يطوف البلاد محرضا على الثورة وهو مطمئن إلى أن الفرنسيين لن يستطيعوا أن ينالوا منه .

ولما وصلت القوات الفرنسية إلى المنزلة وجـــدوها خاوية من أهلها إلا العجائز والأطفال . فقد أجلاها حسن طوبار . وترك الفرنسيين يفتحون أفواههم دهشين. وحاول الفرنسيون أن يحتلوا من منازل حسن طوبار ثكنات فرفض الأهالى فلما هم الجنود بكسر الأبواب بالقوة تقدم عشر شيوخ ووقفوا بينهم وبين الباب وقالوا أنهم لن يتحركوا حتى يخرق الرصاص صدورهم .

وقال الفرنسيون أنه «كان من الصعب أن نصدق أن يقوم رجل مصرى ساذج بمثل هذه الخطة الحربية الباهرة» .

حسن كريت

يقف حسن كريت فى صف عمر مكرم ومحمد كريم . انه واحد من الأبطال الذين كشفت عنهم المقاومة الشعبية للفرنسيين والإنجليز فى أوائل القرن التاسع عشر . فإنه عندما وصلت حملة فريزر إلى رشيد فى أسطول مكون من ٢٥ سفينة نادى فى أهل البلد بالجهاد ، ودعاهم مع أهل القرى المجاورة إلى حمل البنادق والسيوف والخناجر لمقاومة الإنجليز .

وقد وضع مع المجاهدين خطة الانسحاب أمام الجيش إلى داخل رشيد حيث تحصنوا بها فما أن دخلت القوات المدينة ظانة أنها قد سلمت ولم تقاوم ، واجهتها عاصفة عنيفة من القتل فدوت الطلقات من وراء النوافذ وفوق السطوح كهزيم الرعد فقتل الجنرال ويكوب وتخاذلت قوى الجنود الذين تراجعوا إلى ظاهر المدينة .

ولم يلبث أن أرسل رسله إلى القاهرة والبحيرة ، إلى العربان وإلى عمر مكرم يطالب بمزيد من العتاد . وقال فى خطابة إلى عمر مكرم : إن الانجليز لما حضروا إلى رشيد وحصل لهم ماحصل من القتل والأسر رجعوا خائبين وحصل لباقيهم غيظ عظيم ، وهم شارعون فى الاستمداد للعودة والمحاربة . والقصد أن تسعفونا وتمدونا بارسال المحاربين والأسلحة والجبخانة بسرعة وعجل .

وقد صدق حدسه فقد عاد الإنجليز مرة أخرى لغزو رشيد فحاصروها هذه المرة وأخذوا يضربونها بالمدافع تمهيدا للهجوم عليها وقد هرع الكثير من شباب البلاد إلى رشيد لنجدة أهلها ودخلوا المدينة فى قوى متوالية ضخمة ولم تجد انذارات الإنجليز فى تسليم المدينة واستبسلوا بقيادة حسن كريت فى الدفاع واستمر الضرب والحصار إثنى عشر يوما وكان لهذه المقاومة أثرها فى طلب الإنجليز الأمان ولكن المجاهدين هاجموا مواقعهم واستحكاماتهم فحطموها وذبحوا الكثيرين منهم وهربت فلول الإنجليز وتابعهم المجاهدون وغنموا أسلحتهم ومدافعهم .

الحسين

كان منذ نعومة أظفاره فارسا ، حمل السيف فى فتح طرابلس و أفريقيا غربا واشترك فى فتح طبرستان شرقا . وشهد مع والده واقعة الجمل وحرب صفين ولقد عرف عنه الكرم والفضل إذ كان ينفق ماله على أيتام من قتل مع أبيه فى صفين فإن بقى شىء نحر الجزور وسقى اللبن .

ولقد كان أبعد الأحداث أثراً فى نفسه هو مبايعة معاوية بالخلافة لابنه يزيد وهو أول حدث فى الإسلام . ولقد كان الحسين أشد زعماء المسلمين إذ ذاك معارضة لعمل معاوية ولذلك لم يجب إلى بيعة يزيد وجاءته الكتب من العراق وأهلها يرفضون يزيد ويبايعون الحسين ويسألونه الاسراع إليهم فيفكر طويلا حتى يبلغ أمر هذه الكتب غايته ويحس الحسين أنه لو تخلف لكان مقصراً فى ذات الله وفى حق دينه وحق هؤلاء الذين بايعوه . وقد أراد أن يزداد ثقة بما وصل إليه فأرسل رسوله مسلم بن عقيل بكتاب إلى أهالى الكوفة فبايعه نحو عشرين ألفا من عيون الناس ومائة ألف من المقاتلين وكتب بذلك للحسين . الذى أحس بأنه لابد من الخروج .

وكان يومها فى السابعة والخمسين من عمره وقد أخذ طريقه من مكة إلى الكوفة مسافراً شهراً طويلا والمسلمون ينتظرونه . ولكن عبيد الله بن زياد يصله الأمر من يزيد بأن يهرع إلى الكوفة ويأخذ الناس بالشدة والقتل فيصل ابن عقيل ويعد جيشاً ضخما ويندفع به ليواجه الحسين فى طريقه عند كربلاء وإذا الأمر أمر قتال شديد بين قوتين غير متكافئتين . ومع الحسين بعض أتباعه وهو الذى خرج لايريد حربا ومعه أهله وأسرته وعلم الحسين بالأمر كله وقد حيل بينه وبين الماء وبدأ ابن الزياد الحرب على الحسين الذى واجه الموقف فى شجاعة جبارة وهو يرى أبنائه وأهله وأنصاره يقتلون وظل الحسين يقاتل بقوة حتى أستشهد وحمل رأسه وأهله إلى يزيد فكانت إيذانا بنهاية دولة بنى أمية فقد كان دم الحسين هو النور الذى انطلق . استشهد فى العاشر من محرم ٦١ هـ .

حسان بن ثابت

شاعر النبي : قال له صلى الله عليه وسلم : أهجهم وروح القدس معك ، فوالله لشعرك أشد عليهم من وقع الحسام في غبش الظلام . ووهب له « سيرين » أخت مارية القبطية ، وصفح عنه عما بدر منه في أمر عائشة وصفوان .

(حسان بن ثابت المنذر من بني النجار من قبيلة الخزرج : يماني قحطاني ، ولد بالمدينة ٥٦٣م ، كان أشعر أهل زمانه ، التحق بالبلاط في جلق مدح ملوك الغساسنة وملوك الحيرة وأولاد الحارث بن الأعرج وأحفاده والتقى النابغة وعلقمة وزار النعمان ابن قابوس بالحيرة وناضل قيس بن الخطيم شاعر الأوس في الجاهلية وكان جبلة بن الأيهم يقدره ويمنحه العطايا ، ولما بلغ الستين ربط نفسه بدعوة الإسلام ولم يبعد عن صداقة الغساسنة ، تولى الرد على هجاء شعراء قريش وخصوم الإسلام ، وقد أدخل حسان تميما في الإسلام وكانت بينه وبين زعمائها مساجلات شعرية ، وقد عمر حسان بعد النبي ورثا أبو بكر وعمر وكان مواليا لعثمان .

يقول النقاد : أنه أول من نظم الشعر الديني في الإسلام ، وأكثر في شعره من إيراد الآيات القرآنية ، ويعد شعره مصدراً هاماً من مصادر التاريخ الإسلامي عاش ستين عاما في الجاهلية ومثلها في الإسلام ومات عن عشرين عاماً بعد الثلاث كف بصره في آخر عمره وتوفي في عهد معاوية ٥٤ هـ .

قال أبو عبيدة — إن حسان فضل الشعراء بثلاثة : كان شاعر الأنصار في الجاهلية وشاعر النبي في النبوة ، وشاعر اليمانيين في الإسلام ، وقيل كان شديد الهجاء حتى لو مزج البحر بشعره لمزجه ، وكان فحل الشعر ، وقال الثعالبي : كان حسان يقول الشعر في الجاهلية فيجيد ويغير في نواحي الفحول ويدعي أن له شيطانا يقول الشعر على لسانه وله شعر في الغزل والفخر ، أما بعد الإسلام فكان فخره بالإسلام والدفاع عن النبي والإسلام وهجاء خصومهما .

حسام الدين لؤلؤ

قائد الأسطول المصرى فى عهد صلاح الدين . كان شجاعا خبيرا عالما بالبحر والقتال فيه . وقد سار النصر فى ركابه . وقف لأسطول الفرنجة بالمرصاد : يهاجمه أو يحول بينه وبين ايصال المدد إلى من بالشام من الصليبيين حينا أو يضطر جيشهم إلى الدفاع عن الساحل . فى نفس الوقت الذى كان صلاح الدين يهاجم جيوش الفرنجة بالبر مما اضطره أن يقسم قوته ويصد هجومين فى وقت واحد معا .

وفى معركة عكا أحرز لؤلؤ شهرة فائقة حيث ساهم بالنصيب الأوفى . فعندما حاصرها العدو عام ٥٨٥ أرسل صلاح الدين فى طلب الأسطول فقدمت منه خمسون قطعة على رأسها البطل البحرى فانقض على أسطول الصليبيين وبدده .

وبينما تدور المعارك بين المسلمين والصليبيين إذا بصاحب الكرك - وهو من ألد أعداء المسلمين - يفكر فى مهاجمة المسلمين من البحر الأحمر وقد اتجهت سفنه إلى حصن « إيلة » لمحاصرته فأحرق ستة عشر مركبا من مراكب مصر وأحرق أطلاقة كثيرة كانت معدة لميرة مكة والمدينة .

وأرادت الحملة أن تقطع طريق الحج وأن تمضى إلى المدينة لنبش قبر الرسول ونقل جسده الشريف إلى بلادها فلا تمكن المسلمين من زيارته . . . فلما وصل الخبر إلى مصر وبها الملك العادل أمر قائد الأسطول حسام لؤلؤ أن يتبع هؤلاء الغزاة . . فمضى حسام فى جنود كثيفة وانقض على محاصرى إيلة انقضاض العقاب وقتلهم شر قتلة وأوقع بمراكبهم فلما فروا انطلق خلفهم وحاصرهم فى شعاب لا ماء فيها حتى استسلموا وقتل أغلبهم .

وكان حسام يخبز كل أسبوع اثنى عشر ألف رغيفاً للفقراء .

حفني ناصف

كان من أقصى مظاهر النقص فى نهضتنا الأدبية أن يظل «حفنى ناصف» بعد ثمان وثلاثين عاماً من وفاته بغير ديوان مطبوع أو سيرة مدروسة. وأن يشارك فى هذا التقصير طائفة كبيرة من أبنائه الذين يتصدرون منذ فترة طويلة زعامة الأدب والفكر فى مصر وكان أقصى مظهر لهذا التقصير أن يكون أبناء الفقيد العظيم من الأدباء أيضاً ولكن الأستاذ مجد الدين حفنى ناصف يرد على هذا بأن شعر والده وآثاره قد ضاعت إبان ثورة ١٩١٩ فقد كان وشقيقه يشاركان فيها ويفتش منزلهما فى هجمات البوليس للبحث عنهما فى هذه الفترة فكانت تحمل آثار حفنى ناصف من بين مايحمل ويعود. فكان من الضرورى أن يعود السيد مجد الدين إلى الصحف فى خلال أكثر من ثلاثين عاماً لينقل منها من جديد القصائد والمقالات وهى عملية شاقة ولاشك. ولكنها قد انتهت والحمد لله وأصبح ديوان حفنى ناصف بين أيدينا. ولا شك أن حفنى ناصف هو أستاذ الأساتذة فهو الرجل الوحيد الذى اعترف له شوقى بالفضل والتوجيه وقد تعلم على يديه فى مدرسة الحقـــوق وكلية الآداب عدد كبير من أعلام مصر وفى مقدمة هؤلاء طلعت حرب ولطفى السيد وطه حسين وثروت وصدقى وعبد العزيز فهمى ومصطفى كامل. وقد شارك فى تأسيس المجمع اللغوى الأول ونادى دار العلوم، وكان له جهد ضخم فى انشاء الجامعة المصرية وختم حياته بكتابة المصحف الشريف على نحو مافعله الخليفة الثالث عثمان بن عفان حفظاً للدين واللغة. وهو هذا المصحف الذى بين أيدينا الآن. ومن مآثره أنه ثقف ابنته الكاتبة الرائدة (باحثة البادية) ملك ناصف التى كانت مقالاتها فى الجريدة تحت عنوان «النسائيات» ذات صدى كبير فى ميدان الصراع بين السفور والحجاب فى تلك الفترة.

٢٥ فبراير ١٩١٩

أم حكيم

هى واحدة من مجاهدات الخوارج : أم عمران وزوجة نافع وأم حكيم، وقد كن أشد إيماناً من الرجال . قيل : كانت أم حكيم زوجة لقطرى بن الفجاءة زعيم الخوارج . وقيل أنها لم تتزوج وقد وهبت نفسها للدعوة : مقاومة ترف الأمراء والقضاء عليهم .

كانت آية فى الجمال ، حتى أنشد الشعراء فيها أروع قصائدهم ، أبرز مواقعها قتالها يوم معركة « دولاب » حيث كانت ترتجز فى قتالها

« أحمل رأساً قد سئمت حمله . وقد مللت دهنه وغسله ألا فتى يحمل عنى ثقله »

وقد دفعها إيمانها بالموت فى سبيل الله أن استبدلت زيها بزى الرجال لتأخذ بثأر نافع بن الأزرق من قاتليه : قال سلامة الباهلى: حين قتلت ابن الأزرق إذا برجل ينادى وأنا واقف فى خمسة من بنى تميم، ويعرض على المبارزة ، فتغافلت عنه ، وجعل يطلبنى وليس يزايلنى ، فصرت إلى رحلى ثم رجعت للمبارزة ، فلما أكثر خرجت إليه فاختلفنا ضربتين فضربته فصرعته ونزلت فاجتذذت رأسه وسلبته فإذا هى امرأة كانت رأتنى حين قتلت نافع بن الأزرق فخرجت لتثأر له.

وقد حاربت مع قطرى بن الفجاءة، وعبيد بن هلال وصالح بن عبد الله فى المائة الأولى للهجرة ، وشهدت معركة دولاب الشهيرة عام ٦٥ هجرية وفيها قال الشاعر:

إذا قلت تسلو النفس أو تنتهى المنى ... إلى القلب إلا حب أم حكيم
منعمة صفراء حلو دلالها ... أبيت بها بعد الهدوء أهيم

وفى تاريخ المرأة المسلمة عدد من أمهات حكيم : هناك أم حكيم بنت أسيد من راويات الحديث وأم حكيم بنت أميه . وأم حكيم بنت الحارث المخزومية وهى مجاهدة شهدت أحد مع زوجها عكرمة وأم حكيم بنت عامر من شواعر العرب وأم حكيم بنت عبد المطلب وأم حكيم بنت فارظ وأم حكيم الخزاعية وأم حكيم بنت يحى الأموية وكلهن إما شاعرات أو راويات للحديث.

استشهدت فى معركة مرج الصفر قرب دمشق سنة ١٤ (٦٣٥ م) .

حمــــزه

إنه « سيد الشهداء » المسلم الذى أعز الله به الإسلام . عندما علم أن أبا جهل قد آذى النبى وقد عاد من قنصه ، غلا الدم فى عروقه فدخل المسجد فإذا به وجها لوجه أمام خصمه ، وفى لحظة ضربه بقوسه على رأسه حتى شجه وصاح فيه : اتشتمه وأنا على دينه أقول مايقول . فأردد على أن استطعت .

ودخل حمزه الإسلام بهذه المقدمات . وتخاذل أبا جهل وتراجع فقد كان يعرف سطوة حمزه وقوته .

ولما اتجه عمر بن الخطاب إلى النبى وقد هدد بأن يقتله — وطرق الباب قال حمزه : دعوه يدخل فإن كان يريد خيراً بذلناه له وإن كان يريد شراً قتلناه بسيفيه . ووقف متأهباً ريثما يدخل عمر فإذا به يعلن إسلامه وهنا خرج المسلمون لأول مرة فى صفين على رأس أحدهما حمزه والآخر عمر رضى الله عنهما .

وفى غزوة بدر حمل حمزه سيفين وأخذ يقاتل بهما . وهو الذى حاصر بنى قنيقاع وأجبرهم على التسليم .

فلما كانت «معركة» أحد كان فارسا من فرسانها الأقوياء . حتى تحول الرماة عن موقفهم وتطور الموقف ، هنالك تمكن وحشى بن حرب الحبشى مولى جبير ابن مطعم من قتله . هنالك تأثر النبى بالغ التأثر وجاءت هند بنت عتبه فبقرت بطنه ولاكت كبده بأسنانها ولكنها لم تستطع فلفظتها .

ووضع جدثه أمام النبى ليصلى عليه فصلى به على سبعين شهيداً .

ابن حنبل

الرجل الذى احتمل المحنة فى سبيل الاصرار على رأيه أربعة عشر عاما طوالا مامر عليه يوم من أيامها دون أن يحس هذا الشيخ المصير الرهيب الذى كان يترصده له ليرده عن الحق ، وليجعله فى صف، ومن أتباعه ...

وابن حنبل على فقره وضعفه وصحته المتداعية يصر فى عنف ويحتمل قسوة الظلمة ولكماتهم ويستعذب سياطهم على جلده الواهن دون أن يتردد لحظة أو يمر بخاطره أن يتراجع .

كان الخليفة المأمون قد دعا إلى القول بخلق القرآن وحمل الناس على الدعوة وعارض من الفقهاء ابن حنبل فلما جاء المتعصم شدد التنكير فى هذه الدعوة ومضى فيها وأخذ ابن حنبل بالتعذيب فلما ولى الخليفة الواثق أعاد المحنة على ابن حنبل الذى مازال على إصراره عزيزا حتى طلب إليه الواثق أن يخرج من بغداد فهاجر وظل يتنقل مختفيا مغضوبا عليه وعاد مختفيا فظل فى مخبأه حتى مات الواثق . وجاء المتوكل فارتضى مذهب ابن حنبل وانتقل الأمر من النقيض إلى النقيض وأصبح ابن حنبل أبرز رجل فى الدولة ولكنه بالرغم من النصر الباهر لم يذهب عنه وقاره ولا زهادته وعاش بقية عمره فقيرا لا يقبل العطاء ، حتى عطاء المتوكل نفسه ومما يذكر أنه لم يجنح فى أيام محنته عن الإعتدال وكان يحث على الطاعة ولزوم الجماعة وينهى عن الخروج وكان يحمل حبله على عاتقه ويذهب فيجمع بقايا الزرع الذى يترك فى الأرض مباحا وقد عرف بالصبر والجلد وقوة الاحتمال فكان يجوب الفيافى ويقطع البلاد دون أن يضيق بالصبر ومتاعبه محتسبا . يقول الشافعى خرجت من بغداد وما خلفت فيها أفقه ولا أروع ولا أعلم من ابن حنبل لم يجلس إلى الفتيا إلا بعد الاربعين وكانت تسمع إليه خمسة آلاف وأحرزت كتبه يوم مات فكانت أثنى عشر حملا وكلها يحفظها عن ظهر قلب .

ولد عام ١٦٤ ه (٧٨٠ م) وتوفى ٢٣١ ه ٨٥٥ م .

ومن أشهر أعماله المسند الذى يشتمل على ٣٠ ألف حديث .

أبو حنيفة

قال مالك بن أنس لأصحابه : أتدرون من هذا النعمان . إنه لو قال هذه الاسطوانة من ذهب لخرجت كما قال :

قصد رهط من أهل المدينة إلى أبي حنيفة يحاجونه في رأيه الذي يراه من أن قراءة المصلين خلف الإمام في الصلاة تكفي عنها قراءة الإمام . فقال لهم : لا يمكنني مناظرة الجميع . فولوا أعلمكم فاختاروا لجداله أعلمهم . قال : وهل إذا ناظرته لزمتكم الحجة لأنكم اخترتموه فجعلتم كلامه كلامكم . قالوا : نعم! قال هكذا نحن اخترنا الإمام فقراءته قراءتنا وهو ينوب عنا ، . هكذا كان أسلوب أبي حنيفة في المناظرة ، فقد كان حر الرأي ، إتسعت مقاييسه للفهم دون أن يحصرها جمود أو يحدها موروث : وقد لقي في سبيل حرية رأيه متاعب كثيرة ومع ذلك ظل صلب العود لا يلين ولا ينكسر لم يكن يحسن الهزل أو يهوى المزاح وكان جاداً صارما تبدو علامات الجد والصرامة على محياه الضامر ووجهه النحيل . وعرف بالثقة والثبات . حتى إنه بينما كان يلقي درسه في المسجد ذات يوم إذا بثعبان غليظ يسقط في حجره فهرب الناس وما زاد هو على أن نفض الحية عن ثوبه وجلس مكانه . ولد بالكوفة سنة ٨٠ هـ توفي ببغداد سنة ١٥٠ ولزم حماداً إلى سن الأربعين فتلقى عليه وكان يجادله ويناقشه . وكان طويلا تعلوه سمرة ، يحسن اختيار ملابسه ، كثير التعطر حسن الهيئة . بدأ حياته تاجرا مدققاً لا يقبل في عمله ذرة من الشك يمزج بين عزة النفس والتواضع لم يقبل لأحد من الأمراء هدية ولا جائزة . تصدق بثمن الثوب الذي باعه شريكه من غير أن يكشف عن عيبه ، وكان ثلاثين ألف درهم . قضى حياته بين الفقه والعبادة كان اسلوبه في المناظرة غاية في البراعة . وكان بيته عريانا إلا من البوادي وهو يوزع الدنانير ألوفا مؤلفة . وكانت مؤنته في الشهر درهمان . أخذ من رسول الله ﷺ وأخذ عن صحابته ، ولما جاء دور التابعين قال : لا آخذ منهم ولا عن الذين من بعدهم . وإذا كان التابعي رجلا فأنا رجل ومات في السجن وصعدت روحه وهو ساجد .

ابن حمزة المغربى

لايذكر علم « اللوغارتمات » دون أن يذكر العالم الفذ الذى وضع أصوله . فقد شغل أبن حمزة نفسه منذ مطالع شبابه فى إيجاد معادلات يمكن بواسطتها تسهيل الضرب والاستغناء عنه بالجمع ، وكان لبراعته فى الاشتغال بالرياضيات أثره الواضح فى التمهيد للوصول إلى بذور اللوغارتمات وكانت بحوثه فى المتواليات الهندسية والعددية مما مهد السبيل لمن جاءوا بعده وتوسعوا فى أبحاث اللوغارتمات. ونظريته هى : أن أس الأساس لأى حد من حدود متوالية هندسية يبدأ بالواحد يساوى مجموع أسس أساس الحدين اللذين حاصل ضربهما يعدل الحد المذكور ناقصاً واحداً ، وفى كتابه « تحفة الأعداد » الذى ألفه بالتركية فى مكة بحث تعريف الحساب وأصول الترقيم والتعداد . وقد استعمل فيه أرقاما على أشكال مخالفة للأشكال التى كانت معروفة فى عصره وأطلق عليها اسم « الأعلام الغبارية » كما حل ما اسماه المسألة المكية . وكان أحد حجاج الهنود سأله عنها فى مكة بعد أن عجز عن إيجاد حل مرض لها عند علماء الهند . وهى أن رجلا ترك تسعة أولاد وقد توفى عن إحدى وثمانين نخلة ، تعطى النخلة الأولى فى كل سنة ثمراً زنته رطل واحد والثانية رطلان والثالثة ثلاثة وهكذا حتى النخلة الواحدة والثمانين التى تعطى واحداً وثمانين رطلا وطلب إليه تقسيم النخلات على الأولاد التسعة بحيث تكون انصبتهم متساوية من حيث العدد ومن حيث الانتفاع بالتمر ، أى أن يكون لدى كل ولد تسع نخلات بحيث تعطى عدداً من الأرطال يساوى العدد الذى يأخذه الثانى من نخلات التسعة . ويساوى العدد الذى يأخذه الثالث . وقد حل العويص من مسائل الحساب بطريقة لم يسبق إليها وظل هذا البحث مطوياً حتى كشف عنه ، قدرى حافظ طوقان ، فى المقتطف مجلد ٨٦ وابن حمزة المغربى جزائرى الأصل أقام فترة فى استانبول وعاد فى أواخر القرن العاشر الهجرى إلى بلاد الجزائر ثم توجه منها إلى الحجاز .

أبو حيان التوحيدى

« مراتب الإنسان فى العلم ثلاث تظهر فى ثلاثة أنفس ، فأحدهم ملهم فيتعلم ويعمل ، ويصير مبدأ للمقتبسين منه المتقدمين به والآخذين عنه المتأدبين على مثاله وواحد يتعلم ولا يفهم فهو تابع الأول فى الدرجة الثانية . وواحد يتعلم ولا يلهم فتتجمع له هاتان الخلتان فيصير بقليل ما يتعلم مكثرا للعمل والعلم بقوة ما يلهم » ذلك هو مفهوم أبى حيان التوحيدى الأديب الذى أحرق كتبه فى آخر أيامه ، كفرا بصنيع الناس الذين جحدوا علمه ، فقد عاش حياة شاقة ضيقة ، حتى قيل أن موارده لم تزد كل شهر عن أربعين درهما وقد قصد الأمراء ابن العميد وابن عباد وابن شاهويه وابن سعدان وأبا الوفا المهندس ومدح وأطرى ، ولكنه ظل بائسا شقيا حتى قال عن نفسه « اضطررت إلى أكل الخضر فى الصحراء وإلى التكفف الفاضح عن الخاصة والعامة وإلى بيع الدين والمروءة وإلى تعاطى الرياء بالسمعة والنفاق وإلى ما لا يحسن بالحر أن يرسم بالقلم ويطرح فى قلب صاحبه الألم ».

بلغت كتبه عشرين عدا ، لم يطبع منها غير « ١ » المقابسات « ٢ » والصداقة والصديق ، « ٣ » الامتاع والمؤانسة الذى اشتهر به وهو على بن محمد بن على شيرازى الأصل ، اختلف الرأى فيه بين المؤرخين : وصفه ياقوت بأنه معتزلى يسلك فى تصانيفه مسلك الجاحظ وأنه « فيلسوف الأدباء وأديب الفلاسفة وإمام البلغاء وأنه قليل الرضا عن الاساءة إليه والإحسان » وقال عنه أبو الفرج بن الجوزى أنه واحد من زنادقة الإسلام الثلاثة الراوندى وأبو العلاء وأبو حيان وأنه أشدهم على الإسلام . ألف فى مثالب الفضل بن العميد والصاحب بن عباد كتاباً . ونفاه الوزير المهلبى لسوء عقيدته . كما هرب واستتر من القتل عندما بحث عنه لسوء الاعتقاد . وجمع فى كتاب « المقابسات » مائة مقابسة وثلاثا فى مباحث العلوم ، وله مساجلات ومناقشات فى الفلسفة والأدب دارت مع علماء عصره فى دار أبى سليمان المنطقى وكتابه الأمتاع والمؤانسة يروى أحاديث سمره مع الوزير أبى عبد الله العارض فى سبع وثلاثين ليلة . توفى « ٣٨٠ » ه .

حيدر بن كاوس

ضمه المعتصم إلى جنده حين شاهد بطولته الباهرة . فصحبه فى حروبه المتلاحقة فأبدى بسالة عجيبة وقد أرسله المعتصم فى عدد من المعارك فأظهر مقدرة وكفاية . فمضى يزمى به إلى المهالك . وهو الذى قضى على الخرمية وثار بابك وانزعج لثورته المأمون، فقد كان على رأس طائفة من المجوس يدعون إلى التناسخ وإباحة المحرمات فوجه إليهم المأمون رجاله وقواده فتساقطوا واحداً بعد آخر فلما جاء أوان موته كتب فى وصيته للمعتصم « أن عليك ببابك وأصحابه الذين كانوا قد انتشروا فى أذربيجان وهمذان واصبهان. ولم يجد المعتصم غير « الافشين » وهذا اسم حيدر بن كاوس الذى عرف به — فسار على رأس جيش ضخم يدير معارك رهيبة حتى تم له النصر فى موقعة (أرشق) وفر بابك مهزوما ، فلم يلبث الافشين أن طارده وحاصره حصاراً عاتيا وقاده إلى المعتصم. وكان ذلك نصراً مؤزراً أعاد للخلافة هيبتها وللدولة حصون بابك المنيعة وراء النهر .

ثم لم يلبث أن سار إلى الروم وانتقم من غدرهم ، وكان قيصر قد انقض على زبطرة، ثم احتل ملطية من الثغور العربية. فأوقع بالروم وهزم جيش القيصر ومضى حتى أسقط عمورية أمنع حصون الروم ،وكان هذا مزيداً من الفخر لحيدر . أزعج خصومه وملأ قلوبهم بالحقد عليه ، فكادوا له بالكفر وفساد العقيدة ، وألفت لمحاكمته عصابة من خصومه ، ووقف يدافع عن نفسه، ولكن الاتهامات كانت قد رتبت والشهود قد أعدت . ومما اتهم به أكل لحم المخنوقة ، ومعنى هذا أنه مازال على مجوسيته . كما أتهم بأن أهل بلاده يخاطبونه بخطاب الآلهة ، وقد كان آباؤه من الملوك قبل أن يدخل الإسلام ، كما اتهم بأنه يحتفظ بكتاب فارسى زين بالذهب والجوهر . وكل هذا دافعه حيدر وبرأ نفسه من أثره . وعجز القضاة عن ادانته . فقد كانت كل هذه تعللات أريد بها التخلص منه . وقد سيق إلى السجن وقتل سراً عام ٨٤١ م .

حرف الخاء

خالد بن يزيد

يمثل خالد بن صورة الإنسان الممتاز حين ينصرف عن الحكم فى ظروف الإضطراب إلى العلم فيكتب لنفسه اسما لامعاً وتاريخاً خالداً :

إن جدى معاوية نازع الأمر من أولى به ثم تقلده أبى ولقد كان غير خليق به ولا أحب أن ألقى الله عز وجل بتبعاتكم فشأنكم وأمركم ولوه من شئتم » .

هكذا رد خالد بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان بيعة بنى أميه حين اتفقوا على اختياره بعد وفاة أبيه عام ٦٤ أميراً للمؤمنين وخليفة وحاكما. وكان عالما نابغاً اشتهر بالكيمياء والطب والنجوم وبرع فيها وألف الرسائل. ومن أجل حبه الكيمياء أمر باحضار جماعة من فلاسفة اليونان والمستعمرين ممن كانوا ينزلون مصر ودفعهم إلى نقل الكتب من اللسان اليونانى والقبطى إلى اللغة العربية. وكان هذا أول نقل فى تاريخ الفكر الإنسانى إلى اللغة العربية .

قال عنه الجاحظ : إنه خطيب وشاعر وفصيح جامع جيد الرأى كثير الأدب وهو أول من ترجم كتب النجوم والطب والكيمياء ، قبل أخذ الصنعة عن رجل من الرهبان يقال (مريانس الرومى) وله أشعار جيدة وله ثلاث رسائل فى هذا العلم .

ولاشك أن اتجاه خالد بن يزيد بعيداً عن السياسة يكشف عن شخصية بارعة الفهم للموقف والتيارات ، وقد هداه ذكاؤه إلى أن يشغل وقته بعمل نافع هو العلم ، الذى خلد إسمه فى صفحات التاريخ ، ورسم له صورة مليئة بالجلال والوقار ، ما أحسبه كان قادراً على أن يحرزها لو تولى الخلافة .

توفى عام ٨٥ هـ ٧٠٤ م .

خالد بن الوليد

لقد شهدت مائة زحف أو زهاءها وما فى بدنى موضع شبر إلا وفيه ضربة بسيف أو رمية بسهم أو طعنة برمح ولقد طلبت القتل فى مظانه فلم يقدر لى إلا أن أموت على فراشى حتف أنفى كما يموت البعير .

هكذا كانت نهاية البطل الذى هز الدنيا وأرق عيون الأعداء .

الفاتح البطل الذى لم ينهزم فى معركة قط فى الجاهلية والاسلامية والذى كان كالقضاء النافذ يحصد حصداً ولا يدع لخصمه فرصة للنصر فما أن يدخل المعركة حتى يتجه إلى قائدها فى كتيبة من المبايعين على الموت فيبارزه ويقضى عليه فتنهار معنوية جيشه ويضطر إلى التسليم .

ما أحرى هذه الأيام أن تذكرنا بانتصارات خالد فى حمص وقنسرين وشبه الجزيرة العربية إلى العراق ثم إلى الشام .

وله مواقف غر خالدة : من أبرزها مسيرة بالجيش من العراق إلى الشام فى مفازة لا ماء بها يوم أعطش الابل ثم سقاها وكمم أفواهها ومضى ينحرها فى مراحل الطريق فيروى الناس والخيل ...

عزله عمر بعد أن ولى الخلافة عن رئاسة الجيش وأسندها إلى أبى عبيدة فعمل معه جنديا ومضى فى الفتح بنفس القوة والإيمان ثم عزل عن العمل، وحاسبه وأمر بلال أن يعقله بعمامته ، لأنه أجاز الشاعر ابن الاشعب بعشرة الآف درهم واقتسم معه ماله . ولكن خالدا الذى كان إسمه يدوى فى أركان الامبراطورية الإسلامية لم يصرفه ذلك عن رجولته فمضى إلى حمص يقضى فيها بقية حياته فى بطولة أخرى لاتقل عن بطولته الحربية فهو الجندى العبقرى الذى لم يذهله تصرف عمر منه عن واجبه الحق .. فلما مات خالد لم يجد عنده عمر إلا فرسا وغلاما وسلاحا ، وأخذ يبكى ويقول : رحم الله أبا سليمان كان على غير ما ظننا به والله لقد كان سداداً لنحور العدو ميمون النقيبه .

ولما جاء الموت عمر تمنى لو كان خالد حيا ليعهد إليه أمر الخلافة .

الخـــازن

عالم من أعلام الفكر العربي في بحوث الطبيعة والفلك: أبرز أعماله الزيج الفلكي الذي أسماه (الزيج المعتبر السنجارى) بين فيه مواقع النجوم لعـــام ١١١٥ — ١١١٦، في هذا الزيج جداول السطوح المائلة والصاعدة ومعادلات لإيجاد الزمن وفق خطوط العرض لمدينة مرو.

وله كتاب (ميزان الحكمة) وهو الأول من نوعة في العلوم الطبيعية، يحتوى على بحوث مبتكرة كان لها أعظم الاثر في تقدم علم (الهيدروستاتيكا) قال العلامة قدرى حافظ طوقان: إن أكاديمية العلوم الامريكية اعترفت أن هذا الكتاب دليل واضح على تقدم الفكر عند (العرب) وأنه أول من وجه أمثال تورشللى على البحث في وزن الهواء وكثافته والضغط الذى يحدثه، حيث تناول الهواء وزنه وأشار أن للهواء قوة رافعة كالسوائل وأن وزن الجسم المغمور في الهواء ينقص من وزنه الحقيقي، وان مقدار ما ينقصه في الوزن يتبع كثافة الهواء، وقد بين الخازن في هذا الكتاب أن قاعدة أرخميدس لاتسرى على السوائل فقط، بل تسرى على الغازات، وهذه الأسس هي التي بنى عليها العلماء الاوربيون بعض الاختراعات كالبارومتر وتفرغات الهواء ومضخات رفع المياه

وفي سبيل بحث الخازن من الكثافة وكيفية إيجـــادها للأجسام الصلبة والسائلة، اخترع ميزانا لوزن الأجسام في الهواء والماء، وكان لهذا الميزان خمس كفات تتحرك إحداها على ذراع مدرج.

وقال الخازن بقوة جاذبة على جميع جزئيات الاجسام، وأن هذه القوة هي التى تبين صفة الاجسام وله بحوث في مراكز الاثقال وقد أحاط بدقائق المبادىء التى يقوم عليها اتزان الميزان والقبان واستقرار الاتزان وتمكن بناء على هذا الفهم من اختراع نوع غريب من الموازين لوزن الاجسام في الهواء والماء.

وبالجملة كانت أرصاد الخازن مرجعا أساسيا للفلكيين.

خديجة

يروى أن « خديجة » سمعت أحداً من الأحبار يقول : يا نساء تيماء ، أنه سيكون فى بلدكن نبى يقال له محمد : وأيما امرأة أتيح لها أن تكون زوجه فلتفعل فرجمته النساء بالحجارة وأغلظن له القول إلا خديجة فانها أطرقت وذهبت تفكر بعيدا . فلما تزوجها محمد أفاضت عليه الهناء . وأحس إلى جوارها بالرفق والحنان والحب وكان يتركها ذاهبا إلى غار حراء وفى ذلك اليوم المشهود جاءه جبريل وألقى عليه الرسالة فنزل محمد يرجف من أعلى الجبل قاصداً إياها وهو يقول : زملونى زملونى . وسارعت خديجة تقول له عباراتها الحلوة الخالدة « والله لن يخزيك الله أبداً . إنك لتحمل الكل وتصدق الحديث وتصل الرحم وتعين على نوائب الدهر »

إنها خديجة بنت خويلد من سادات قريش السيدة الثرية البرزة التى حفظ لها التاريخ أروع صورة لزوجة نبى . عرفت النبى محمداً فى أول شبابه عندما رشح للقيام برعاية تجارتها . حيث سافر بهـــا إلى الشام وزاد عظمة فى نظرها عندما عاد ببضاعة مزجاة وربح وفير ولما حدثها خادمها ميسرة عن النبى فى رحلته وكيف كانت الغمامة تظله والتجارة تزيد على يديه والبركة تحفه . عندئذ أزمعت خديجة أن تتزوجه فارسلت إليه نفيسة بنت منية تدعوه إلى الجمال والشرف فى ذات خديجة . وذهب محمد إلى عمه أبى طالب حيث عرض عليه الأمر . وولدت خديجة لمحمد أبو القاسم وأبو الطيب وفاطمة وزينب وأم كلثوم ورقية . فلما قضت كان موتها بعيد الأثر فى نفس النبى . فقد ظل يذكرها وفيا لهذه الذكرى . لقد أحب من كانت تحب وعاش حياته يعطف على من كانت ترعاهم . ولما جاءته زينب بقلادتها تطلب الفداء لزوجها تأثر غاية التأثر ورد إليها القلادة . وقال لعائشة عندما أبدت غيرتها من ذكر خديجة : والله ما أبدلنى الله خيرا منها . وكانت قد توفيت فى السنة العاشرة من نزول الوحى وقبل الهجرة بثلاث سنين .

ابن خلدون

المؤرخ الذى « قعّد » التاريخ ووضع فلسفته . والسائح الذى طوف بالأرض والإنسان الذى عاش قلقا لايستقر . كانت عبقريته تدفعه إلى عمل وعمل . فإذا بالدنيا تتجمع ضده . ومن أولئك الذين عاشوا وهم يحسون بإنهم لم يصلوا إلى المنزلة التى هم أهل لها أو التى يستحقونها فعاش حياته هائما على وجهه . لمع اسمه فى أنحاء المملكة الإسلامية لمعان النجم . ولكنه كان يرى نفسه دون ما يريد . وفى خلال ذلك التقى بعشرات الملوك والسلاطين وعمل معهم ورأى تيمور المغولى يجتاح الشام وتيمور الأسبانى يتأهب للوثوب إلى غرناطه آخر حصن الإسلام فى الأندلس . وسافر ابن خلدون إلى الأندلس . وأمضى سنوات فى غرناطة ثم قشتالة ثم عاد إلى بجايه بالغرب ثم قصد إلى تلمسان . وعاد إلى مسقط رأسه فى تونس . ولكنه لم يكد يستقر إلى إحداها . فنزح إلى مصر حيث درس فى الأزهر وقرأ الفقه على مذهب مالك وسافر إلى الحجاز ثم عاد إلى مصر حيث شغل نفسه بكتابة تاريخه المعروف الذى قضى فى صنعه خمسة عشر عاما . .

وكما وضع الشافعى أصول الفقه وضع ابن خلدون أصــــول التاريخ وقد رسمت مقدمة ابن خلدون صورة واضحة لتلك العقلية النادرة فى فهم التاريخ وأسرار الأمم ونظم العمران وطبيعة الأقاليم ومظاهر البداوة والحضارة ومعالم الإنسان والملك والسياسة . ومن العجيب أن يكتب ابن خلدون هذه المقدمة الخطيرة فى خمسة شهور . وكما امتحن ابن خلدون بالناس امتحن بأهله فغرقت زوجته وأولاده وهم فى طريقهم إلى مصر . وكانت المأساة بعيدة الأثر فى نفسيته الطموحة الراغبة إلى العلا فاندفع إلى لون من الزهد وآثر العزلة وتقطعت به أسباب الأمل .

الخليل بن أحمد

لا تبكوا ، فوالله مافعلت فعلا أخاف على نفسي منه وما كان لي فضل فكر صرفته إلى وجهة . وددت بعد ذلك أني كنت صرفته إلى غيرها . وما علمت أني كذبت متعمدا قط وأرجو أن يغفر لي التأول ، قام بأعمال ثلاثة ضخمة هي : رسم حركات الحروف لأول مرة بعد أن كانت العرب تضع نقطا فوق الحروف . وعلم العروض الذي حطم به نظرية القائلين بأن النظم العربي لا ضابط له ، ويدخل في هذا اكتشافه سر الموسيقى وأصلها أما عمله الكبير فهو أنه أول من صنف معجما عربياً هو كتاب « العين » حصر فيه الكل مايمكن أن يتركب من ألفاظ العرب ورتبه على حرف الهجاء : إنه الخليل بن أحمد عمرو بن تميم الفراهيدي أخرجته البصرة كما أخرجت عدداً كبيراً من أعلام الفكر الإسلامي ، درس الفقه واللغة على أبي أيوب السجستاني ورأى الفرزدق في صباه كما تلقى على عاصم الأحول والعوام ابن حوشب : وذهب في شبابه إلى بلاد الروم مجاهداً للدفاع عن ثغور الإسلام وقد أمضى ثلاث سنوات يجلس إليهم فيسمع منهم ولا يشترك في الجدل والمناظرة وقد عاصر شيخ العربية عمرو بن العلاء وحضر مجالسه . أما حياة الخليل فلم تكن صفوا كلها كانت حياة فقيرة يملؤها ورع عجيب . لايقبل العطاء ولا يريد أن يكون خادما للملوك أو الأمراء . حتى قالوا عنه إنه أقام في خص من أخصاص البصرة لايقدر على فلسين وأصحابه يكسبون بعلمه الأموال . وقد كان سمح الوجه ، صافي الذهن ، عبقريا ، لايعادي أحداً ولا يتشفى بل يتغاضى دائماً ويتسامى عن صغائر الأمور . كانت آية ذهنه اللماح : إنه يحاول أن يستخرج من الظواهر أصولا تجمع في قانون واحد وبلغ من ورعه وزهده وقناعته فيما في أيدي الناس قوله : إني لأغلق على بابي فما يجاوزه همي . وقد توفي الخليل عام ١٦٠ هـ عندما اصطدم بإحدى أعمدة المسجد وهو مشغول بالبحث عن طريقة تحاسب بها الجارية البائع فلا يظلمها .

الخنساء

موقفان لها مختلفان جد الاختلاف ، موقفها عندما مات أخواها معاوية وصخر فقد كانت فجيعتها فيهما ذات أثر بعيد فى نفسها وشعرها . وبالرغم من أنها كانت لاتزال شابة فقد تزلزلت حياتها واضطرب مجراها . وانطفأ نور جمالها وانقلبت قصائدها إلى مرثيات مبكية موجعة .

أما الموقف الثانى فهو موقفها بعد الإسلام حين تزوجت من رواحة بن عبد العزيز السلمى وولدت أربعة أولاد نشأوا جميعا شعراء أشجاعا وعرفوا بالفروسية والقوة والبطولة . فلما قامت الحرب بين العرب والفرس دفعتهم إلى الاشتراك فى معركة القادسية ليموتوا فى سبيل الله شهداء حين دعتهم أن يجودوا بدمائهم فى سبيل فناء أعدائهم .

فلما انتهت المعركة وعادت القوات إلى وطنها خرجت إلى الطريق وقد كف بصرها تسأل العائدين عن أبنائها فلما علمت أنهم استشهدوا جميعا سألت : كيف قتلوا . فعلمت أنهم قتلوا وهم يهاجمون مندفعين بصدورهم لسحق العدو . عندئذ ملأتها الفرحة وأحست بالفخر وقالت الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم وأرجو أن يجمعنى بهم فى مستقر رحمته .

وكانت الخنساء بيضاء جميلة قال فيها الشعراء قصائد الغزل . وكانت جريئة الرأى حرة . طلب الشاعر دريد أن يتزوجها فطلبت إلى أبيها أن يرسله لها لتراه بنفسها وتتحدث معه فذهب وقد أصلح هندامه وامتطى فرسه وظلت تحدثه فترة طويلة وتوجه إليه أسئلة مختلفة ثم أعلنت رأيها فيه بالرفض فقد كان طاعنا فى السن .

الخوارزمى

كان كتاب الخوارزمى (الجبر والمقابلة) أساس كل ما ألفه العلماء فى هذا الفن من بعد. وهو أول من وضع علم الجبر وجعله مستقلا عن الحساب، وصف بأنه أعظم رياضى ظهر فى عصر المأمون. كان له الفضل فى تقدم العلوم الرياضية .

هو محمد بن موسى الخوارزمى من أصل تركى ولد فى خراسان وسافر فى بعثة المأمون إلى الافغان للبحث والتنقيب عن المؤلفات .

ألف كتابه عن الجبر بعد أن رأى احتياج النـــاس إلى كتاب يعينهم فى معاملاتهم التجارية . وفى مسح الأراضى وفى حل المسائل التى يصعب حلها حسابيا. وأول من استعمل لفظة « جبر » للعلم المعروف بهذا الإسم ومن هنا أخذ الافرنج هذا الاسم . ترجم كتابه إلى اللاتينية فى القرن الثانى عشر الميلادى المستشرق (ثروت أو شستر) . ومنه استفاد علماء القرون الوسطى فى أوربا فكان أساساً لدراساتهم ، وهو أول كتاب عربى دخل أوربا . وقد أجريت عليه شروح كثيرة للحاسب وسنان بن الفتح الحرانى وأبو كامل شجاع بن اسلم .

وقد ترجم العلوم الفارسية واليونانية . وكانت له أبحاث وجداول علمية فى الفلك : ومن أهمها كتابه (السند هند) الذى نقل فيه آراء بطليموس وزاد عليها وهو أساس أبحاث علم الفلك فى الإسلام .

وتعد جداوله الفلكية (الأزياج) أول أساس لهذا العلم، كما عنى بتقويم البلدان شرح فيها آراء بطليموس. وله موسوعة فى الحساب والهندسة والفلك والموسيقى

ومن مؤلفاته كتاب :الحساب الهندى وهو مفقود ـ (وله زيج الخوارزمى)- والرخامة ـ والعمل بالاسطرلاب (الاسطراب: آلة لقياس ارتفاع الكواكب)

وكان إماماً فى اللغة والأنساب . (وهو غير أبو بكر الخوارزمى ابن أخت جرير الطبرى المؤرخ صاحب الرسائل المعروفة) . توفى ٢٠٥ ه .

خـــوله

عندما أسره ضرار بن الأزور «في معارك المسلمين مع الروم يوم «أجنادين» لم تلبث خوله بنت الأزور أن مضت تحرض النساء على اقتحام المعركة لتخليصه من الأسر ، ولما لم يكن معهن سلاح اقتلعن أعمدة الخيام وأوتادها وحاربن بها الروم تحت قيادة خوله بنت الأزور ، التي تنكرت في زى فارس واعتطت جوادها وعليها ثياب سود وعمامة خضراء ولبست سلاحها واخترقت صفوف الأعداء فظنوها فارسا ملثما . فقتلت منهن عدداً كبيراً وكان خالد بن الوليد وصحبه ينظرون إليها وهم في دهشة وإعجاب . يتساءلون عن هذا الفارس العجاب . ومالت الشمس للمغيب . وكف جنود خالد عن القتال وشاهد الحراس العرب شبحا متشحا بالسواد يمشى بين جثث القتلى ثم ينحنى عليها بين الحين والحين .

فلما التقى في اليوم التالي بها سألها من تكون فكشفت قناعها : فعرف أنها خوله ، هنالك اشتعلت الحماسة في النفوس وتقدموا في شجاعة حتى فكوا أسر أخاها وعادت الحرب مرة أخرى وأسر ضرار بن الأزور مرة أخرى فاندفعت خوله مصممة على الانتقام من الروم وفك أسره واقتحمت صفوف الأعداء باحثة عنه فلم توفق في العثور عليه ، وكانت تصيح قائلة : يا أخى . أختك لك الفداء يا ابن أمى . ليت شعرى في أى البيداء طرحوك . أم بأى سنان طعنوك . أم بأى حسام قتلوك . هل لحقت بأبيك المقتول بين يدى رسول الله . . فعليك منى السلام إلى يوم اللقاء . فلما تقدم خالد في المعركة نحو حمص علم أن ضرار بن الأزور وقع في الأسر بعد أن قتل من الروم عدداً عظيما وأنه في طريقه إلى حمص يحرسه مائة فارس . فدفع خالد رافع بن عميرة في مائة من الفرسان العرب طالبا منهم أن يلحقوا بهم ويخلصوا ضرارا . وعلمت خوله فطلبت إلى خالد أن يأذن لها بأن تذهب معهم فقال لها إن الليل قد أوغل ياخوله وأخشى أن يصيبك سوء ولكنها سارت في قوة تسابق الريح وانقضت على القوم كالصاعقة وخلصت أخاها .

خير الدين

تمثله الصورة مرتديا ثوبا أحمراً على كتفه عباءة بيضاء : وعلى رأسه قاورق أحمر، وله شارب أشهب . إنه الرجل الذى أراد أن ينتقم لاولئك العرب الذين أذاقهم فرديناند العذاب الهون . لقد غادر الاندلس ألوف المجاهدين بعد سقوط غرناطة، آخر القواعد الاندلسية فى يد الاسبان ١٤٩٢ ، عبروا البحر إلى عدوة المغرب فاستقروا فى وهران والجزائر وبجاية وقد اضطهد الاسبان بقايا الامة الاندلسية، وبدأت المغامرات البحرية عقب إكراه المسلمين على العبور إلى الشواطىء الاسبانية . ولكن الرجال الذين هاجروا وهبوا حياتهم للجهاد والانتقام من الاسبان . فقاموا بغارات على الشواطىء الاسبانية . وبرز فى مقدمتهم خير الدين « باربا روسا » ذى اللحية الحمراء، الذى سار مع أخيه عروج للمغامرة فى البحر وقد تولى مركز القيادة واتخذ مقره جزيرة جربة الصغيرة فى مياه تونس . وقد كانت فى مقدمة عمله معاونة أهل الجزيرة على استردادها من الاسبان . وقد مضى فى مقاومة مطامع الاسبان ورد هجماتهم على الثغور المغربية، كما عمل على إغاثة العرب الذين نصروا اضطراراً ومعاونتهم على الفرار من أسبانيا وكانت محاكم التحقيق تطاردهم وتجعل حياتهم جحيما لا يطاق وقد كتب إلى خير الدين كثير من أهـــل الثغور مثل بلنسية والمرية يستصرخونه ويدعونه إلى غزو الشواطىء الأسبانية لمعاونتهم فى مغادرة الأراضى الاسبانية. وقام خير الدين بتنظيم سلسلة من الغارات الحربية على الشواطىء الاسبانية، بدأها بغزوة على شاطىء بلنسية وقد وقعت بينه وبين الاسبان معركة بحرية كبيرة خرج منها ظافرا، ثم توالت غاراته وكانت سفنه فى كل مرة تحمل عدداً كبيراً من الراغبين إلى الفرار والهجرة حتى أنه نقل نحو ٧٠ ألف وزعهم على ثغور المغرب وشواطئه . وقد أصاب فرنسا بخسائر ضخمة وتوفى عام ١٥٤٧

خير الدين التونسي

واحد من المصلحين الأعلام في الفكر المعاصر، من ذلك الرعيل الذي حاول أن يدخل الفكر الغربي في شئون السياسة والإسلام والإقتصاد بما يحقق رفع مستوى الشعب يعد كتابه (أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك) منهاجاً للعمل في هذا الميدان خلال هذه الفترة التي كان رواد الفكر يبحثون وسائل اليقظة، فهو من جيل سبق محمد عبده والكواكبي وغيرهم، وقد عالج فيه قضايا تونس والعالم الإسلامي أزاء الاستعمار

هو المملوك شركسي الذي نقل من القسطنطينية إلى تونس رقيقاً في أول صباه فخدم في قصر أحمد باي وتعلم على المجاهد الشيخ محمد قبادو، وانضم إلى لواء الفرسان وأصبح رئيساً له سنة ١٨٠٩ أرسله الباي إلى باريس حيث قضى ثلاث سنوات يدافع عن تونس اختارة محمد باي ١٨٥٩ وزيراً للحربية وهو المنصب الذي ظل فيه إلى سنة ١٨٦٣ حيث انصرف إلى الدرس والتأليف عشر سنوات حين عاد إلى رئاسة الوزارة الكبرى للباى ١٨٧٣ — ١٨٧٧ وهى السنوات الاربع التي حاول فيها الإصلاح وفق المنهج الذي رسمه في كتابه.

وقد حاول أن يجرى اصلاحات كثيرة فألغى التزام الضرائب، وعدل نظم القضاء، وحدد واجبات القضاة، غير أنه عندما حاول أن ينظم القضاء بالنسبة للأجانب اصطدم بالامتيازات. نمى موارد الثروة، وأعاد إلى الصناعات التونسية نشاطها، واهتم بالتربية وأصلح نظم التعليم في جامعة الزيتونة. وأنشأ مكتبة عامة وبها ألفاً ومئة مخطوطة من ملكه الخاص وأنشأ المدرسة الصادقية

وعمل على وضع دستور البلاد، فلم يلبث الباى أن كره قيود وزيره، وجرت المؤامرات ضده بتدخل فرنسا التي كانت تطمع في احتلال تونس وتم لها ذلك بعد سنوات قليلة وعزله الباى عن منصبه فسافر إلى الاستانة حيث تولى الصدارة العظمى بها ١٨٧٨ ثم وقع الخلاف بينه وبين عبد الحميد بمؤامرات أبو الهدى الصيادي ٠ ١٨١٠ — ١٨٩٠ ٠

حرف الدال

الدينوري

* العلم علمان ، علم قيام العبد بقيامه مع الله وعلم بعلم الله فى العبد وهو العلم المغيب عن العباد إلا من كشف له عن طرف من ذلك من نبى أو خاص أو ولى .

* ليس يبلغ بالإنسان إلى مراتب الأخيار إلا الصدق ، وكل وقت وحال خال من الصدق فباطل .

ولد أحمد بن داود (أبو حنيفة الدينورى فى نيسابور وأقام بها فترة كان خلالها يعظ الناس ثم رحل إلى سمرقند ومات بها . قال أحدهم : دخلت عليه حين أراد الخروج من سمرقند وقلت له : ماالذى يحملك على الخروج إليها مع ميل أهل نيسابور إليك ومحبتهم لك . فأجاب . قال لك قد أقمت بدار ذل ودار العز واسعة الفضاء .

وقد هاجم مابلغه التصوف من إنحدار فى عهده : ولقد نقضوا أركان التصوف وهدموا سبيلها وغيروا معانيها بأسامى أحدثوها وسموا الطمع زيادة و والأدب إخلاصاً والخروج عن الحق شطحاً . والتلذذ بالمذموم طيبة واتباع الهوى ابتلاء والرجوع للدنيا وصولا وسوء الخلق صولة والبخل حلاوة ، والسؤال عملا ، وبذاءة اللسان ملامة .

والدينورى : جمع بين حكمة الفلاسفة وآداب العلماء وكان نحويا لغويا عالما بالهندسة والحساب . رواية ثقة ورعا زاهدا أخذ عن البصريين والكوفيين وهو من نوادر الرجال ، وله تصانيف هامة منها الأخبار الطوال : (من لدن آدم إلى انقضاء ملك يزد جرد) وقد ضم تاريخ ملوك قحطان والروم والترك والجن والخلفاء إلى آخر أيام المعتصم وله تفسير القرآن فى ١٣ مجلداً - والشعر والشعراء والفصاحة - والجبر والمقابلة - والبلدان - وإصلاح المنطق . وقيل أن كتابه فى النبات لم يصنف مثله وتدل عباراته على عمق فى الفهم والصدق . وقد اشتهر بلونه التاريخى .

توفى ٢٩٠ هـ ٨٩٥ م

حرف الذال

أبو ذر الغفاري

الزاهد الأول الذي تلقى دروس الزهد عن رسول الله فكان لا يفترق عنه لحظة في سفر أوحضر والذي انقطع لعبادة الله معرضا عن زخارف الدنيا فإذا جن الليل آوى إلى المسجد فنام مع أهل الصفة وقد أحبه الرسول لزهده وتقشفه وقال عنه يرحم الله أبا ذر يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده وكذلك عاش ومات . هجر المدينة إلى الشام بعد موت أبو بكر وأقام هناك ورأى الدنيا تتفتح للمسلمين يبنون القصور ويكنزون الذهب ويلبسون الحرير ويأكلون المرقق فجاشت نفسه بمعاني الورع . وكان يكتفي بشربة ماء أو لبن في ليلته وفي كل جمعة فقير من قمح . واجتمع الفقراء إلى أبي ذر يستمعون إليه وهو يتحدث عن الزهد والتقشف ويبدو قامته الطويلة النحيلة ولونه الأسمر وعليه جلبابه الرقيق: أنه تمثال « الزهد »

ندد به الذين جمعوا الذهب . ولم يسكت أبو ذر حتى أعاده معاوية إلى المدينة فمضى فيها يناقش عثمان : وكره عثمان دعوته ولكن أبا ذر لم ينصرف عنها واستمر في دعوته وهو يقول لا أرجع حتى يبذل الأغنياء فضلة أموالهم وحاول معاوية أن يأخذ إلى قلبه الطريق فأرسل إليه ألف دينار ذات مساء فلم يصبح الصباح حتى كان أبو ذر قد وزعها على المعوزين فلما صلى الصبح جاءه رسول معاوية يقول أنه أخطأ في نقل الدنانير إليه فأخبره أبو ذر بأنه لم يبق منها شيء : وقال أبو ذر أن المال مال المسلمين لا مال الخليفة .

ولما رأى أن الأمر ليس مقبولا من المسلمين الذين كانوا يؤدون الزكاة عن أموالهم كما أمرهم الإسلام استأذن في الإقامة في الربذة حيث عكف على الصلاة والعبادة حتى مات . توفي ٣٢ هـ ٦٥٢ م

حرف الراء

الرشيد

اختلف المؤرخون حول الرشيد اختلافا شديدا ، فذهب بعضهم إلى أنه كان يصلى مائة ركعة كل يوم، وأنه كان يتصدق بمائة ألف درهم . وأنه كان يحج عاما ويغزو عاما ، وذهب البعض الآخر إلى أنه كان مرحاً طروبا وقد حاولت بعض مصادر المستشرقين الاعتماد على كتابات المغرضين أمثال صاحب الأغانى ورسم هذه الصورة البعيدة عن الحق والصدق . ومع هذا فان كل وقائع التاريخ تؤكد أن الرشيد أمضى حياة جادة كل الجد ، حافلة بالغزو والجهاد فما كان ينتهى من غزوة حتى يبتدى أخرى وكانت أغلب غزواته فى أرض الدولة البيزنطية فلما ولى الملك نظم الشواتى والصوائف وحرص على إرسالها . ثم خرج بنفسه إلى قتال الروم بعد أن نقضوا المعاهدة ومنعوا الجزية وفى هذا يقول الشاعر :

ومن يطلب لقاءك أو يرده   فى الحرمين أو أقصى الثغور

وقد بدت نفسيته المصارعة الجارفة، فى أوضح صورها وأقواها، حين استبان له غدر البرامكة فصرعهم فى ليلة واحدة على أسلوب غاية فى الجرأة والحسم والبتر ولم يقبل فيهم شفاعة . وقد كان الرشيد خلال حياته التى لم تتجاوز الخامسة والأربعين ، حامل لواء الحضارة الإسلامية فى الشرق فقد احتضن الثقافة والفن وشجع رجال الشعر والموسيقى إلى جانب النهضة العلمية والفقهية التى كانت ترسم إطار الحضارة الإسلامية فى أبهى صورها فقد وعى بالتأليف وأعان الفقهاء وفتح لهم البحث والقضاء . . وعقد لهم مجالس المناظرة والمساجلة كما اتصل بشارلمان ملك فرنسا وجرمانيا وإيطاليا وأرسل إليه وفداً وأهدى إليه مفاتيح بيت المقدس علامة على الود بين الغرب والشرق وبين الإسلام والمسيحية . وقد أثر عنه قوله للسحابة المارة وأمطرى حيث شئت فسيأتينى خراجك، توفى ١٩٣هـ — ٨٠٠ م .

رشيد رضا

صاحب المنار ، وتلميذ محمد عبده ، والرجل الذى حمل لواء الفكرة الإسلامية أكثر من ثلاثين عاما قويا وفيا مجاهدا . فكون مدرسة ضخمة من الكتاب والمفكرين والعلماء وما تزال مجلدات المنار تسجل صورة رائعة للعمل الإسلامى الفكرى الذى قام به هذا الإمام خلال خمسة وثلاثين عاماً .

عاش رشيد رضا أكثر من سبعين حولا يجاهد بسنان القلم كل ما انتشر فى العالم الإسلامى من نزعات الإلحاد والتغريب ويجاهد فى سبيل الإسلام البسيط السهل ويواجه ذلك الصراع الضخم الذى جند له لإستعماا كل قواه من تبشير ودعوات جريئة ونزعات قصد بها هدم هذا الصرح الضخم : صرح العربية والدين والأمة العربية والإسلامية . ولد فى سوريا وقدم إلى مصر فأقام بها يلتقى من أستاذه محمد عبده الذى عاش وفياً له وألف عنه كتابا ضخما فى ثلاثة أجزاء وكان واحداً من هذه المدرسة السلفية المكافحة أمثال الثعالبى وشكيب أرسلان وأحمد زكى وأحمد تيمور وعبدالعزيز جاويش ويعد رشيد رضا أول من نشر الدعوة الإسلامية عن طريق الصحف والكتابة .

وقد عاش رشيد رضا هذا الزمن الطويل يقرأ ويكتب مكبا على العلم والدرس متصلا بالحياة والسياسة مراقبا للتطور الإجتماعى والفكرى والسياسى غير منفصل عنه . وكان كبير الأمل فى بعض الدعوات الإسلامية أن يكون لها قيادة العالم الإسلامى إلى الفكر الإسلامى الخالص . وكان فى خلال حياته كلها صاحب مبدأ وضمير لا يبالى شيئا فى سبيل فكرته ولا يطمع فى متاع الدنيا الزائف . وقد ترك بمجلدات مجلة المنار ثروة فكرية ضخمة مما لاشك أنها بعيدة الأثر فى تطور الفكر الاسلامى . توفى عام ١٣٥٤هـ — ١٩٣٥ م

رشيد الكيلاني

إنه ابن العراق والعروبة . وليد ثورة ١٩٢٠ ومربيها . وابن كل مقاومة في وجه العدو ، كان أول حاكم عربي رفض التوقيع على اتفاقية البترول ، وكانت العراق في أيامه حمى لفلسطين وحصنا . فقد ساهمت العراق إبان حكمه في ثورة ١٩٣٦ الفلسطينية بعمل ضخم ، وزودت المجاهدين بالأسلحة . ولقد قاوم رشيد الكيلاني الاستعمار بقوة وكتب للعراق صفحة باهرة ، فقد عرف بعدائه للانجليز وخصومته لهم وإيمانه بالوطن العربي الكبير . وهو من أوائل من أعلنوا سياسة الحياد بين المعسكرين في العالم العربي ، وأيد الحركة التحريرية الضخمة التي ظهرت في صفوف الجيش العراقي بقيادة الشهيد صلاح الدين الصباغ وزملائه يونس سعيد ومحمود سلمان وكامل الشبيب ، وهو الذي رفض عرش العراق حين تقدمت به إليه بريطانيا ، واستطاع أن يكسب إليه الشعب كله ، وزعماء العشائر ، وشيوخ الدين . ولما بدأ الإنجليز الحصار أعلن بأن إلقاء قنبلة واحدة على بغداد ستضطره إلى نسف السفارة البريطانية وفيها الجالية الإنجليزية كلها . فلما هاجم الإنجليز العراق أعلن الجهاد المقدس ضدهم ، وهبت القبائل جميعها تؤيده . وكان من أثر ذلك أن ظلت القوات البريطانيه محصورة لا تستطيع أن تتقدم خطوة واحدة شهرا كاملا . وكان في استطاعة العراق رغم ضعف قوته الحربية إذ ذاك أن يقاوم بريطانيا طويلا ، لولا أن تدخل جلوب فقاد الفيلق العربي في اللحظة الأخيرة من الأردن وطعن العراق من الخلف وفتح ثغرة واسعة في إحدى الجبهات ، وقد سجل الانجليز في أكثر من سجل بأنه لولا تدخل « جلوب » في معركة العراق لتحول الموقف كله في الحرب العالمية وأخذ صورة أخرى . وخرج رشيد إلى ايران فتركيا فألمانيا ثم عاد إلى الحجاز فمصر وقد عاد إلى بغداد بعد ثورة العراق في ١٤ تموز ١٩٥٨ حيث سجن وتوفي بعد قليل .

الرميضاء

ضرب المثل فى الحكمة حتى بلغت أعلى مراتب الصبر . أنصارية صحابية . أم أنس بن مالك . عندما أراد أبو طلحة أن يخطبها وهو مشرك جعلت صداقها الإسلام .

تروى عنها أروع قصة فقد فقدت ابنها فى غيبة أبيه فأخفت ذلك عنه حين عودته واستقبلته أحسن إستقبال . فرحة مرحة . وهى تخفى أمرها كله فلما سألها عن الصبى قالت : إنه باحسن حال فإنه منذ اشتكى ليس باسكن منه الليلة . وأصاب من زوجته حاجته دون أن يعرف مدى عبارتها .

فلما انتهى قالت له : أرأيت لو أن قوما أعاروا عاريتهم أهل بيت وطلبوا عاريتهم هل لهم أن يمنعوها .

فقال أبو طلحة : إن لا .

قالت الرميضاء : فاحتسب ابنك أنه كان عارية من الله وقد استرده وذهب الرجل إلى النبى وروى قصته فقال النبى الحمد لله الذى جعل من أمتى مثل صابرة بنى إسرائيل . ورفع يده إلى السماء وقال : اللهم بارك لهما فى ليلتهما .

وحملت بابنها عبد الله . وخرجت الرميضاء إلى معركة حنين مع زوجها وهى حامل تشجع الجنود وتنقل الجرحى وتعالج المرضى وقد حزمت وسطها ووضعت فيه خنجرا واتخذت صورة الرجال وكانت تشير إلى خنجرها وتقول :

لو أن رجلا اقترب منى لفتكت به . واستمع النبى إلى قولها فضحك .

وعاشت الرميضاء حتى أنجبت سبعة اولاد يقرأون القرآن .

ومما أثر عن النبى قوله بعد موتها : رأيتنى أدخل الجنة فإذا أنا بالرميضاء .

الرميضاء سهلة بنت ملحان أنصارية من بنى النجار أم انس بن مالك صاحب الرسول توفيت ٣٠ هـ ٦٥٠ م

حرف الزاى

الزبيدى

أول شاعر فى العربية قال شعرا فى وفاة زوجته الحبيبة التى فقدها ، فعصفت به المحنة فاعتزل الناس تسع سنوات كاملة . وهو الفقيه صاحب السفر اللغوى « تاج العروس » والمؤلفات المتعددة فى الفقه والحديث والتصوف والأدب .

وصف بأنه ربعة فى الرجال . نحيف البدن . ذهبى اللون متناسق الأعضاء برع فى علوم اللغة العربية والتركية والفارسية .

ولد فى زبيد من بلاد اليمن : ونزل الطائف وقرأ الفقه على علمائها : وقدم إلى القاهرة ، وسكن بحى خان الصاغة بالقرب من الأزهر وحضر على علماء العصر ، وشهد له كل من عرفه بالذكاء والحفظ والعلم وأقام بالقاهرة ثمانية وثلاثين عاما لم يبرحها إلا مرتحلا إلى الصعيد . وقد سجل رحلاته فى مصنفات حوت مدائح شعرية ومحاورات ولطائف . وزار الوجه البحرى . وكاتبه ملوك تركيا والحجاز والهند واليمن والشام والبصرة والعراق والسودان وقد استغرق شرح القاموس عدة سنوات ففرغ منه فى نحو أربعة عشر عاما . وسماه تاج العروس . وعند الفراغ منه أولم فى سخاء نادر لطلاب العلم وعلماء العصر بغيط المعدية عام ١١٨١ وأطلعهم عليه . وحضره عبد الرحمن الجبرتى المؤرخ الكبير ، ومنحه محمد أبو الذهب والى مصر مائة ألف درهم واشترى منه تاج العروس حيث أودعه فى جامعة القريب من الأزهر وشرح كتاب إحياء علوم الدين . ونشرت شروحه فى تركيا والشام وبلاد المغرب . وضرب بسهم وافر فى كل أبحاث الفقه والسيرة والعبادات والتصوف والتاريخ وقد حرر الأراجيز والمقامات ونظم الشعر وكتب تاريخ ملوك بنى أيوب . وكانت له جلسات مشهورة فى جامع شيخون بالصليبة : المرتضى الزبيدى أبو الفيض محمد الحسينى الملقب بالسيد المرتضى توفى عام ١٢٠٥ هـ — ١٧٩٠ م

الزبير بن العوام

بعث عمرو بن العاص يطلب مدداً إبان فتحه لمصر ، فأرسل إليه عمر رجلا واحداً ، وقال له قد أرسلت إليك رجلا بألف . ووصل الزبير وكان المسلمون محاصرون لحصن بابليون . وجال ببصره حول الحصن المتيد فأدرك أن الامر لاتنفع فيه القوة ولابد من الحيلة والمفاجأة . وتقدم الزبير وصعد إلى أعلى الحصن رغم مافي ذلك من خطر محقق ، وأخذ يكبر والجنود يرددون تكبيره حتى وقع في روع المدافعين أن هذه صيحة النصر ، وأن المسلمين قد نجحوا في دخول الحصن فارتج عليهم وضل تفكيرهم وأطلقوا أرجلهم للريح ولاذوا بالفرار وتم الإستيلاء على حصن بابليون بعملية بارعة وقائد شجاع . وكان في بدر من القادة الأربعة الكبار : على والزبير وحمزة وأبو دجانة إذ بايع على الموت مع طلحة وعلى وخمسة من الأنصار . إنه الزبير بن العوام بن خويلد الأسدى القرشي الشجاع أحد العشرة المبشرين بالجنة وأول من سل سيفه في سبيل الله . أسلم وعمره إثنا عشر عاما . وجعله عمر فيمن يصلح من بعده للخلافة . وكان موسراً كثير المتاجر ، خلف أملاكا بيعت بنحو أربعين مليون درهم . وكان طويلا جداً إذا ركب تخط رجلاه الأرض . وقد قتله ابن جرموز غيلة يوم الجمل وله نيف وستون عاما وروى له البخارى ومسلم ٣٨ حديثاً .

وقد آخى الرسول بينه وبين عبد الله بن مسعود بعد الهجرة ، وهو أول من سل سيفاً في سبيل الله ووصف بأنه حوارى رسول الله وقد عكف بعد وفاة النبي على التجارة ، وقد وقف في صف عائشة وطلحة ضد على .

وكان ثريا بنى داراً بالبصرة ، وأخرى بالكوفة وثالثة بالفسطاط ورابعة بالاسكندرية وفي رواية أن ماله بلغ بعد وفاته خمسين ألف دينار وخلف ألف فرس وألف عبد وألف أمة . وتوفى عام ٣٦ هـ — ٦٥٦ م .

حرف السين

سعد بن أبي وقاص

لعله مما لا يقع لقائد من قادة الجيوش أن يقود معركة وهو منبطح على وجهه . وفي صدره وسادة يشرف على الناس في ميدان المعركة . ويرمي بالرقاع فيها أمره ونهيه ولكن ذلك هو ما وقع لسعد في القادسية التي انتصر فيها المسلمون انتصاراً مظفراً . ولعله قد كره أن يدير المعركة من وراء ستار فيكون لذلك أثره في نفوس الجند . فقال أحملوني وأشرفوا بي على الناس . وارتقى به من حوله . فلما واجه الناس هتفوا وهللوا فناداهم بقوله : إذا سمعتم التكبير مني فشدوا شسوع نعالكم . فإذا كبرت للثانية فتهيئوا فإذا كبرت الثالثة فشدوا النواجز على الأضراس واحملوا . فلما فرغ القراء كبر سعد وكبر الذين يلونه وفي موقف آخر اقتحم سعد نهر دجلة برجاله إلى البر الآخر . وكانت العرب لا تعرف البحر فدفع ستمائة من رجاله على رأسهم عاصم بن عمرو على خيولهم في البحر وتولى الفرسان العجب عندما نزلت الماء . واندفع سعد بفرسانه ألوفاً مؤلفة إلى لجة البحر . وامتلأ النهر بالخيل فلم يكن ماؤه يرى ووصل سعد وأصحابه فدخل إيوان كسرى وصلى صلاة الفتح . وكان من الرعيل الأول من المسلمين الذين أتيح لهم الاشتراك مع النبي في المواقع الكبرى . وعمل مع خالد بن الوليد والمثنى بن حارثة وأبو عبيدة . وكان منذ صباه صلباً قوى المراس يغلب عقله عاطفته وقد جعله عمر من أصحاب الشورى الستة وهو صاحب أول دم أريق في الإسلام وبلغ من قوة إيمانه أن شج الرجل الذى عاب دينه ووقف بجوار الرسول في أحد يدافع عنه . وولي أمر الكوفة وهو الذى بناها ووقف على الحياد في أيام الفتنة وزهد في الخلافة وانقطع للعبادة . وكان في حياته متواضعاً ليس في طبيعته الاندفاع وقد أعطته مواقف القتال حكمة وحنكة وخبرة وعرف بالعطف على جنوده حتى أخلصوا له وكانوا يفتدونه وعرف بحدة البصر .

٥٤ هـ — ٦٧٣ م .

سعد بن معاذ

سيد الاوس : عندما سمع دعوة الإسلام ، اتجه إلى قومه وقال : يابنى عبد الاشهل: كيف تعلمون أمرى فيكم قالوا : سيدنا وأفضلنا رأياً وأيمننا نقيبة قال سعد : فإن كلام رجالكم ونسائكم على حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله : فأسلم قومه . تجلى فضله فى نصرة النبي ومشاطرته إياه ، فقد دافع عنه وحشد له كل قوة ، وشهد معه كل الغزوات . ولعل أروع مواقفه عندما خرج النبي إلى بدر ، وقال : أشيروا على أيها الناس . فتكلم كما المهاجرين ثم نظر سعد بن معاذ إلى رسول الله وقال: الله لكأنك تريدنا يارسول الله . قال أجل . قال سعد : قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك مواثيقنا على السمع والطاعة فامض يارسول الله لما أردت فنحن معك . فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره أن تلقى عدونا بنا غداً ، انا لصبر فى الحرب صدق عند اللقاء ، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله . وفى الخندق ، كان سعد كدأبه يضحى ويبذل ، وكذلك كان فى كل الوقائع مثلا عالياً للرجولة والوفاء .

وقد صور سعد العلاقة بين المسلمين واليهود عندما حكم فى أمرهم فقال : قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الاوثان لانعبد الله ولا نعرفه وهم لا يطمعون أن يأكلوا فيها ثمرة الاقرى أو بيعاً فحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا إليه وأعزنا به، نعطيهم أموالنا، والله مالنا بهذا حاجة ووالله لانعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم . وقد حاصر المسلمون بنى قريظة خمسة وعشرين يوماً حتى استجاروا بحلفائهم من الاوس ليشفعوا لهم وتدافعت الأوس على الرسول يسألونه فى أمرهم فحكم . اليهود سعد بن معاذ ، وكان صريحاً فقضى بأن يقتل الرجال وتسبى الذرارى والنساء وتقسم الاموال وكان النبي قد أمر بأن يضرب لسعد فسطاطا فى المسجد ليكون قريباً منه فلما أتم حكمه انفجر جرحه وسال دمه . وقال أبو بكر يندبه : واكسر ظهراه .

سعيد بن جبير

قال أحمد بن حنبل لقد قتل الحجاج سعيداً وما على وجه الأرض أحد إلا وهو مفتقر إلى علمه . إنه « سعيد بن جبير » الفقيه الحر الشهيد الذى قتله الحجاج . لقد أرغم العلماء والعظماء على إحناء هاماتهم له . والإذعان لرأيه ، إلا رجلا واحداً رفض ذلك ، وأصر أن يضع رأسه فى السماء . لقد آمن بالله ورفض الذل واستعلى على مطامع الدنيا ومخاوف الحكام . ذلك هو سعيد بن جبير أحد سادة التابعين ، صحب ابن عباس وورث علمه ، وكان رأس مدرسة الكوفة فقهاً وعلماً ، إماما مجتهداً ، حر الرأى قوى الشخصية ، شجاع اللسان ، جرىء القلب ، يقول الحق دون أن يخشى فيه لومة لائم . لقد رأى ظلم الحجاج فلم يصمت ، بل واجه الحجاج بالنصيحة . وناصر الضعفاء وكان إيجابياً تقدم إلى الجهاد وقاتل « روتبيل » ملك الترك الذى هاجم حصون المسلمين ، فلما وقف الحجاج موقفه الظالم من القائد البطل عبد الرحمن بن الأشعث انضم إليه سعيد فلما انهزم ابن الأشعث حاكم الحجاج من نصروه وفى مقدمتهم سعيد الذى جابه الظلم فى قوة ، وكان فى وسعه أن يتفادى مصرعه بكلمات لينة مع هذا الطاغية ، ولكنه وجه إلى الحجاج إجابات قاسية أذل بها كبرياء الحجاج وحطم غروره . فلما مهد له الحارس سبيل الفرار رفض ذلك بكل قوة . فلما أمر الحجاج بقتله رفع سعيد يديه إلى السماء بدعوة المظلوم فمات الحجاج بعد مصرع سعيد بخمس عشرة ليلة . قال سعيد بن جبير للحجاج لما سأله أن يختار أى قتلة يريد أن يقتله بها : قال سعيد : : بل اختر يا عدو الله لنفسك . فوالله ما تقتلنى اليوم قتله إلا قتلتك فى الآخرة بمثلها . وقد روى أنه ما أن قتله الحجاج حتى التاث عقله وشرد رأيه ، فلم يعد يذوق النوم ، وكان يستيقظ فزعا وهو يصيح : مالى ولسعيد بن جبير ، كلما عزمت إلى النوم أخذ بحلقى .

توفى ٩٥ هـ — ٧١٤ م

سعيد بن المسيب

الزاهد العفيف الذى احتمل فى سبيل كبريائه وعزوفه عن الدنايا كل أذى ، والعابد الذى لم ير ظهر إنسان فى المسجد أربعين سنة كان يصلى خــلالها فى الصف الأول ، اتصل فى صدر شبابه بأبى هريرة ولزمه وكان أعلم الناس بحديثه وأخذ تعبير الرؤيا عن أسماء بنت أبى بكر ، وكانت شهرته بالفقه أرجح :

(سمى سيد التابعين وإمام الفقهاء . احتمل أزمه الخلافة الاموية ، ورفض أن يبايع الوليد بن عبد الملك الذى أراد أن يكسبه إليه حين طلب خطبة ابنته لابنه فرفض وآثر أن يزوج ابنته أحد تلاميذه الفقراء . قال عن نفسه : مابقى أحد أعلم بكل قضاه رسول الله وأبو بكر وعمر وعثمان منى ، أداه فقهه إلى أعراضه من الدنيا وجمله يلزم المسجد النبوى أربعين سنة ، لايتخلف عنه مقاماً الصوم لايقبل من أحد شيئاً ، ولا يقبل رأى ظالم ، ولا يرضى أن تسام خطة لايرضاها الله ، قال فى أمر الخليفة : لا فضل عنده لأحد إلا بطاعة الله . ورفض أن يبايع الوليد وهشام . وقال إن النبى نهى عن بيعتين وقد عرض على السيف وجرد وطيف به لم يثنه ذلك عن رأيه . زوج ابنته لتلميذه أبى وداعة . فى ابان الأزمة تحدياً ، وثقة من صلاحيته وإيماناً بقول النبى، لمن ترضون خلقه ودينه، وعرضها عليه بنفسه وسلمها إليه وجعل مهرها ركعتين ثم بعث إليه بنفقته .

وقد امتحن فى دينه فما لانت له قناة وقال «لا» ووقف أمام الدولة الظالمة لم يرهبها ، قال ابن سعد فى طبقاته : ما بقى أحد أعلم بأقضيه رسول الله منه وأن سعيداً كان يفتى والصحابة شهود . وكان مكحول يقول ليؤكد روايته : ماحدثتكم به فمن سعيد بن المسيب . ويقول : دخلت المدينة فسألت عن أفقهها ، فدفعت إلى ابن المسيب . وقال يوماً ما من أحد إلا يأتينى بعلمه إلا سعيد فإنى أوتى بعلمه ، أوسل إليه يوماً رسوله يسأله عن مسألة فذهب الرسول إليه فاستدعاه إلى عمر فاعتذر له عمر عن خطأ الرسول فى دعوته إليه ، وقال إنما أرسلته إليك ليسألك عن كذا .

توفى ٩٤ هـ - ٧٦٣ م

سلمان الفارسى

« . تناولنى بضعة عشر — من رب إلى رب حتى وصلت إلى النبى ومن الله على بالإسلام » ذلك سلمان الفارسى الذى عرف المجوسية ثم النصرانية ثم آمن بالإسلام وبلغ من أمره أن قال عنه النبى « سلمان منا آل البيت » . ومن الموصل انتقل إلى نصيبين إلى عمورية إلى يثرب. وقال له صاحب عمورية: لقد أظلك زمان نبى مبعوث بدين إبراهيم . يخرج بأرض العرب مهاجراً إلى أرض بين حرتين بينهما نخل . به علامات لا تخفى يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة . بين كتفيه خاتم النبوة . ودخل سلمان يثرب عبداً مملوكا لسيد من بنى قريظة . فلما سمع بأمر النبى الذى بلغ مهجره انتظر حتى أقبل الليل فلف الدنيا بردائه الأسود ، وجمع تمرات كانت عنده وحملها إلى النبى . يقول سلمان جئت رسول الله وهو ببقيع الغرقد عليه شملتان وهو جالس مع أصحابه فسلمت عليه ثم استدرت أنظر إلى ظهره . فلما رآنى الرسول ألقى رداءه عن ظهره فلما رأيت الخاتم انكببت عليه أقبله . وشغله الرق عن أن يشهد مع النبى غزوتى بدر وأحد . وقال له الرسول انطلق يا سلمان فاشترى نفسك فاشتراها بأربعين أوقية من الذهب وقال النبى لأصحابه :أعينوا أخاكم فأخذوا يساعدونه كل على قدر طاقته . لما اشترك فى غزوة الخندق وهى أول غزوة له — قال سلمان للرسول : كنا بفارس إذا حوصرنا خندقنا علينا فجمع الرسول صحابته وأمرهم بحفر الخندق. وكان رجلا قويا فاختلف الأنصار والمهاجرون فيه . فقال الرسول كلمته الخالدة: سلمان منا آل البيت . واشترك فى جيش سعد بن أبى وقاص. وحارب فى كتيبة الأهوال التى خاضت النهر بخيلها، وجعله عمر والياً للمدائن وكان عطاؤه يومئذ خمسة آلاف درهم فكان إذا خرج عطاؤه فرقه على المساكين وأبقى له درهما يشترى به خوصا وكان زاهداً متواضعا بعيداً عن شهوات الدنيا . اشترك فى الغزوات . توفى ٣٥ هـ — ٦٥٥ م

سليمان الحلبي

فى صبيحة ١٤ يونية ١٨٠٠ بينما كان كليبر القائد العام للجيوش الفرنسية يسير بصحبة أحد أصدقائه داخل حديقة دار بالأزبكية إذ اعترض طريقهما رجل فى اسمال باليه وتقدم إلى كليبر فأشار إليه بالرجوع حتى إذا دنا منه كليبر ليستطلع خبره مد إليه يده اليسرى كأنه يريد تقبيل يده، فلما مد إليه كليبر يده قبض عليها بشدة وهوى عليه بخنجر كان يخفيه فى يده اليمنى وضربه أربع ضربات متوالية شقت واحدة منها بطنه فسقط على الأرض صارخا مضرجا بدمائه. ولما خرج رفيقه فى طلب النجدة توجه إليه سليمان وضربه حتى سقط فاقد الوعى. ولما أقبل الجنود وجدوا قائدهم مطروحا على الأرض غارقا فى دمائه، وفتشوا عن القاتل فى كل مكان فلم يعثروا عليه وحاكموه محاكمة صورية. ثم ذهب شهيد عمل وطنى كبير. وكان سليمان الحلبى قد قدم إلى القاهرة من بلدة حلب ليتعلم فى الأزهر إبان الحملة الفرنسية وكان شديد الإيمان بحرية الإسلام فتقدم ليقتل رجلا من كبار رجال الفرنسيين وقد عرف عنه الصمت والحذر، وقد آمن بأن يقدم حياته فداءاً لوطنه فقد كان يعرف أن الإستعمار الفرنسى يريد أن يقيم امبراطورية فى الشرق وأن نابليون حاول غزو سوريا ورد عنها. وأهداه تفكيره إلى أن قتل كليبر وهو قائد الجيش سيعمل على انهيار القوة الفرنسية وسيحطم أحلامها فلما برقت الفكرة فى عقله وآمن بها بدأ يبحث فى أثر كليبر وخطواته وحدثه النوتية الذين كانوا فى خدمته أنه يرتاض كل مساء فى حديقة السراى بالأزبكية وقد تمكن يوم ١٤ من التسلل إلى الحديقة وقام بعمله الذى هز العالم كله. ولما تألفت المحكمة العسكرية لمحاكمته جابه الموقف بعزيمة قوية، ولم يتزلزل أمام المظاهر المختلفة الرهيبة التى واجهوه بها مصراً على الاعتراف بالحادث، مدافعاً بأنه أدى لوطنه الإسلامى الكبير واجباً ولما حاولوا أن يضموا معه آخرين أعلن بأن ليس له شركاء فى جريمته وأنه يؤمن بالقرآن .

سليمان الباروني

عالم شريعة وسياسي ومحارب . (١٨٧٠ - ١٩٤٠)

أحد زعماء طرابلس ومن المجاهدين الذين واجهوا مرحلة الاحتلال والمقاومة التي مرت بها ليبيا بين تركيا العثمانية والإحتلال الإيطالي وهو واحد من الأعلام الذين كانت الأحداث أكبر منهم والذين صمموا على تحرير بلادهم فلم يعانوا على ذلك : هو سليمان بن عبد الله بن يحيى الباروني الطرابلسي ، ولد في كاباو من بلاد طرابلس الغرب من أرومة عربية عثمانية (١٨٧٠) . تعلم في تونس والجزائر ومصر ، فلما عاد إلى وطنه إنتقد تصرفات الدولة العثمانية فأبعد عنها ، فقصد مصر وأقام بها إلى أن أعلن الدستور العثماني ١٩٠٨ حيث أختير نائبا عن طرابلس في مجلس المبعوثين بالآستانة ، وقد ظل بها حتى وقع العدوان الإيطالي على طرابلس عام ١٩١١ فعاد إليها مجاهداً ، مشاركاً في المقاومة مؤمناً بحق طرابلس في الحرية الكاملة ، فلما أبرم الصلح بين تركيا وإيطاليا رفض الإعتراف به ، وأعلن ضرورة مواصلة جهاد المحتلين ، غير أن تيار الأحداث كان أكبر منه فانصرف إلى تونس ومنها سافر إلى الآستانه . فلما أعلنت الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ وجهته حكومة الاستانة قائداً لمنطقة طرابلس الغرب فبلغها وباشر القتال إلى أن تخلت تركيا عن طرابلس ، وعقد الطرابلسيون صلحاً مع إيطاليا ١٩١٩ ، هنالك هاجر مرة أخرى فذهب إلى مسقط وعمان ، حيث عمل مستشاراً لحكومة مسقط ١٩٢٥ ومنها قصد إلى بومباي مستشفيا فتوفى فيها .

له الأزهار الرياضية في ملوك الأباضنية ، وله ديوان شعر وشرح لكتاب الفراهيدي ، أصدر جريدة الأسد التي كانت تمثل اتجاهه السياسي ، وهو أول من قاتل إيطاليا ١٩١٣ وأسس حكومة في طرابلس ، جند خلال حربه مع إيطاليا من جبل قوسة قوة إنضم إليها المجاهدون تحت لواءه وحاولت إيطاليا أن تستميله فعجزت ، لم يعجزه إلا امتناع الامدادات عرف بالنزاهة حتى أنه رد ثلاثة عشر ألف جنيه وصلته بعد انتهاء الجهاد - توفى في (١ مايو ١٩٤٠) .

سليمان الفيومى

مجاهد قدم حياته وروحه فى سبيل البذل والفداء. وشارك فى الثورة على الفرنسيين، قال عنه الجبرتى «لقد اتفق له مراراً أن يركب من الصباح فى حوائج الناس فلا يعود إلا بعد العشاء الأخير، فيلاقيه صاحب حاجة فى منتصف الطريق أو آخره، فينهى إليه قصده، إما بشفاعة عند أمير، أو خلاص مسجون، أو غير ذلك فيقف وهو راكب، فيقول له: فى غد نذهب إليه فان الوقت صار ليلا فيقول لصاحب الحاجة أنه فى داره فى هذا الوقت، فيعود من طريقه مع صاحب الحاجة إلى ذلك الأمير ولو بعدت داره ويقضى حاجته» كان قد تخرج فى الأزهر فى نهاية القرن الثامن عشر؛ وبرز فى ميدان العمل بخلقه ووفائه، حتى أنه عندما جاء حسن باشا الجزائرى إلى مصر ١٨٨٦ لاستعادة الحكم التركى من أيدى المماليك وفر هؤلاء إلى أقصى الصعيد وأحاط بدورهم واستولى على أموالهم آوى سليمان من التجأ منهم إليه. وبقى بيته مأوى لكل خائف، فقد خرجت النساء عندما جاء الفرنسيون إلى منزله لحمايته من جنود الاحتلال. ووقف سليمان فى وجه الفرنسيين وقفات كريمة حمى بها آلاف النسوة اللاتى ملأن داره والدور المجاورة له. ظل يؤاب ضد فرنسيين منذ اللحظة الأولى، وقد صانعوه وداوره وخشية نفوذه الشعبى الكبير، ورغبة فى تأييده لهم حتى انتخبوه عضواً فى الديوان ولكنه كان يغطى غاياته بمظاهر براقة حتى يجد الفرصة للمقاومة، فإنه لم يلبث أن أعان أمير الحج مصطفى بك الذى تحرك بالثورة ضد الفرنسيين وانقض على حكم نابليون، فمضى يؤازره ويجوب معه القرى والعساكر وتجمع إليهما الكثيرون وعجز الفرنسيون عن تشتيت هذه القوة وإخماد الثورة إلا بعد جهد كبير. وكان الشيخ الفيومى هو لسان هذه الثورة وخطيبها. وفى القاهرة ضيق الفرنسيون عليه الخناق وصادروا حريته، وعند وصول الحملة الإنجليزية العثمانية أودعوه سجن القلعة، وقد عاش بعد جلاء الفرنسيين ثمانية أعوام (توفى ١٢٢٤ هـ).

السنوسى الكبير

فى مثل هذا الشهر من عام ١٩٣٣[1] توفى السنوسى الكبير. هذا المجاهد المسلم الذى أثار فى قلب أفريقيا روح الكفاح الوطنى المنظم لمقاومة الاستعمار والذى عاش يحشد القوى بروح الدين فى سبيل الوطن. لم يدفع العدوان بعد أن زحف الإيطاليون على طرابلس فى ١٩١١ وطالبوا تسليم المدينة واحتلوا بنغازى وحصن من موانى طرابلس. فخف إليها أنور باشا ومصطفى كمال وعزيز المصرى يدافعون عنها. ولبث السيد أحمد السنوسى يكافح ورجاله ويحشد جنوده وأتباعه لمقاومة هذا الخطر مستهينا بالتضحية والفداء، وقد رفض فى عام ١٩١٥ شروط الاتفاق الذى عرضه عليه الإيطاليون وأبى أن يسلم إليهم شبرا واحدا من أرض طرابلس. واستمرت الحرب غير المتكافئة بين الايطاليين المسلحين والسنوسيين العزل إلا من قوة إيمانهم استمرت الحرب بضعة وعشرين عاما. ووقفت طرابلس وقفة الرجولة الأبية المجاهدة بفضل تعاليم السنوسية التى بثها فيهم السيد السنوسى وتلقى المجاهدون القتل والإرهاب فى صبر وثبات واصطنعت إيطاليا كل ألوان العسف والجور والظلم

وكان السيد السنوسى رجلا مهيبا وخطيبا جهيرا ومؤمنا صادق الإيمان بالله نهى عن حياة الترف ودعا إلى الخشونة وعاد بالمسلمين إلى أبسط قواعد الإسلام وكانت زواياه فى جغبوب والكفرة مراكز علم وحرب وجهاد. وقد ظل يعمل مجاهدا ويحمل سيفه مع المحاربين يحثهم على الجهاد. ويخوض بفرسه المعارك، يملأ القلوب حماسة وعزما حتى استشهد فى أتون المعركة. لا يزال التاريخ الحديث يحمل للدعوة السنوسية مزيداً من التقدير إلى جوار الدعوات الأخرى التى قامت فى العالم الإسلامى كالوهابية وغيرها على أنها روح جديدة من روح الإسلام وفهم جديد للقوة المقيدة وأثرها فى دعم روح الوطنية وغرس عزيمة الجهاد فى النفس العربية الإسلامية.

---

(١) مارس ١٩٣٣

سيف الدولة

« شغل سيف الدولة أذهان المؤرخين والكتاب والشعراء في القرن العاشر . حتى يستهويك الوصف والحديث عن هذا العدو الجذاب الذى حارب الامبراطورية البيزنطية بفرسان كان نصفهم من شعراء البوادى ونصفهم الآخر من أمراء الحواضر » هذا ما قاله غوستاف سنبسلمبرجر في وصف « على بن حمدان » سيف الدولة صاحب الشخصية القوية المغامرة التى عرفت بالشجاعة والذكاء والدهاء . وانطبعت على الحيلة والحيطة والتدبير وحسن البلاء وقوة الصبر حتى كان مصدر هيبة قيصر الرومان الذى لم يتردد فى أن يجمع قواده بعد انتهاء معركة « حلب » عام ٩٢٦ وأشاد ببطولة القائد العربى . ومن أعظم مواقفه « خرشنة » التى اندفع فيها فى بلاد الروم فأحرق ودمر وفتح الحصون . كان سيف الدولة قد بدأ حياته فارسا فقد شغف من صغره بقصص الغزوات الحربية وأحب القنص وركوب الخيل والرمى وصحب أباه فى غزواته ولما كانت حلب تتاخم أرض الروم فقد ظل يحطم أحلام الروم الذين كانوا يطمعون فى غزو الشهباء ويتطلعون إلى هذه الأرض التى استولى عليها العرب ولقد عرف سيف الدولة دائماً بأنه على رأس جنده وفى مقدمتهم يحمل سيفه ويملأ أرواح أعوانه بالشجاعة والعزم وليس أدل على عبقريته الحربية من أنه كان لايخشى الهزيمة ولا يفل من عزمه الانكسار بل يدفعه إلى الإندفاع كرة أخرى خالقاً من الفشل نصرا . وليس أدل على عظمته الحربية من أنه ألهب شاعرية المتنبى ، وكان هو إلى جانب فروسيته شاعراً وأديباً ومحبا الأدب وقد أشاد به مؤرخو الافرنج فى كتاباتهم فقد لبث عشرين عاما يغزو الروم ويذكرون له كيف أن أهل طرسوس استغاثوا به وهو مريض فلم يقعده مرضه عن تلبية ندائهم وتراجع الروم عندما علموا بمقدمه وقد (توفى ٣٦٥ هـ — ٩٦٧ م) ونقل جثمانه إلى « ميافارقين » .

حرف الشين

الشافعى

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل : قلت لأبى ، أى رجل كان الشافعى . قال : كان الشافعى كالشمس للدنيا والعافية للبدن . وفى تذكرة الحافظ : كان الشافعى من أحـــذق قريش بالرمى . وكان يصيب من العشرة عشرة ، وكان قد برع فى ذلك . وفى الشعر واللغة وأيام العرب ثم أقبل على الفقه والحديث وجود القرآن على إسماعيل بن قسطنطين مقرىء مكة وكان يختمه فى رمضان ستين مرة . ثم حفظ الموطأ . وعرضه على مالك . ولد فى غزة ، فلسطين ، ثم حمل منها إلى مكة وهو ابن سنتين ، ودخل إلى المدينة ثم سافر إلى اليمن ثم حمل إلى بغداد أسيراً فى تهمة . ثم عاد إلى مكة وقصد مرة أخرى إلى بغداد ثم إلى مصر حيث أقام بها بقية حياته . وأتاحت له هذه الرحلة فرصة واسعة لدراسة طبائع الناس وأخلاقهم ومعرفة مصالحهم واتجاهاتهم وفهم الحياة ومشاكلها وقضاياها كان يجلس فى حلقته إذا صلى الصبح فيجيئه أهل القرآن فيسألونه . فإذا طلعت الشمس قاموا وجاء أهل الحديث يسألونه فإذا ارتفعت الشمس قاموا ثم تستوى الحلقة للمناظرة والمذاكرة فإذا ارتفع النهار تفرقوا . وجاء أهل العربية والعروض والشعر والنحو حتى يأتى المساء . والشافعى جالس فى حلقته لايضيق بالعلم ولا بالناس وقيل أنه لما دخل بغداد وجد فى الجامع مايقرب من خمسين حلقة . يقول لهم قال الله وقال الرسول وهم يقولون : قال أصحابنا . حتى مابقى فى المسجد حلقة غير حلقته وصف أنه حسن الوجه والخلق فحبب إلى أهل مصر من الفقهاء والنبلاء والأعيان وقالوا إنه كان يقتصد فى لباسه ولم تعرف له صفيرة وقال عنه ابن حجر إنه رجل قرشى العقل والفهم صافى الذهن سريع الإجابة . كما عرف بالعطاء والسخاء . وقد أملى خلال إقامته فى مصر وهى أربع سنوات — ألفا وخمسين ورقة وأخرج كتاب « الأم » فى ألفى ورقة وقد حبب إليه الجهاد حتى قيل إنه لما قدم مصر سافر إلى الاسكندرية ليرابط فى ثغرها توفى ٢٠٤ هـ — ٨٢٠ م ومات فقيراً ولم يترك شيئا يذكر

الشيخ شامل

مجاهد مسلم : قاوم النفوذ الأجنبي في بلاد الداغستان ، وقاد الحركة الوطنية وأنشأ حكومة في الداغستان ، وصمد أمام قوات القيصرية الروسية ربع قرن كامل يناضل في سبيل وطنه ودينه بغير سند مادي . وعندما اضطر إلى الاستسلام آخر الامر اشترط أن يسلم هو ومن معه إلى خليفة المسلمين في القسطنطينية . (ولد الشيخ شامل ١٧٩٧ في قرية كمرا من قرى منطقة أوار ، وتطلع إلى الدراسات الإسلامية واتصل بالطريقة النقشبندية . عمل مع المجاهد الكمراوي ، فلما استشهد قاد هو الحركة ، وقد حاول الاستعمار الروسي استمالته فلم يفلح . وعرض عليه القواد الروس تعيينه أميراً على جميع مسلمي الداغستان فرفض ، ومضى في القتال وانتصر عام ١٨٤٢ على الجنرال كرف لوروى في معركة فاصلة وفي إبان الجهاد الطويل عمل الشيخ شامل على صنع المدافع محلياً وصبها ، وقد قاتل الروس بنفس أسلحتهم ، إذ جمع ما ترك الروس في المعارك السابقة من مدافع وصبها وعمل منها مدافع جديدة كما نجح في صنع البارود . وانتصر وقويت شوكته ، وكان زعماء الجراكسة يرسلون إليه يدعونه إلى بلادهم فعبر إليهم ١٨٤٦ في سبعة مدافع ثقيلة ومقدار من الأسلحة ، واجتاز نهر (ترند) ونزل بلاد اقبرطاى) وأخذ ينشر تعاليمه ، غير أن الروس قطعوا عليه خط الرجعة ، وأغلقوا الجسور ولكنه لم ييأس وأنقذ قواته وعبر النهر ، ثم حاصره الروس أربعة شهور في قلعة وتعددت المصادمات واسترعت أنظار العالم ، وفي ١٨٥٣ قام بحركة جزئية أوقعت الرعب في قلوب الروس ، فقد اجتاز حدود بلاد الكرج وحاصر قلعة (رنطه) بأكثر من ألفين من الأعداء وغنم منهم كثيراً وأسر قائد حاميتهم وكان والده أسيراً لدى الروس ستة عشر سنة فاستعاده بهذا القائد . خاض هذه المعارك دون عون أجنبي ولما فرغ الروس من حرب القرم هاجموه ١٨٥٦ بقوة عسكرية في ٦٠ ألف رجل ولم يستسلم في ٦ سبتمبر ١٨٥٩ إلا بعد أن نفدت كل وسائل الحرب توفي ٢٧ مايو ١٨٧٠ .

الشيخ الشرقاوى

هذا بطل من أبطال المقاومة الشعبية قبل الحملة الفرنسية وفى أبانها فقد قاد الشعب فى حملة على المماليك عندما شكا الأهالى إليه من ظلمهم ، وحرض الناس على مقاومة الولاة الطغاة . وقد لبى الناس دعوته وجاءوا إلى الأزهر وباتوا فيه فأخاف ذلك الحكام المماليك فبعث مراد بك إليهم يوافق على مايطلبون فلما ذهبوا إليه التمس منهم الصلح .

فلما جاء نابليون إلى مصر ظلت مقاومته قوية . يقول الجبرتى إن « صارى عسكر بونابرته » طلب المشايخ فلما استقروا عنده نهض بونابرته من المجلس ورجع وبيده طيلسانات ملونة بثلاثة ألوان . كل طيلسان ثلاثة عروض : أبيض وأحمر وكحلى فوضع منها واحداً على كتف الشيخ الشرقاوى فرمى به إلى الأرض . وامتعض وتغير لونه واحتد طبعه فقال أحد أتباع بونابرته يامشايخ أنتم صرتم أحبابا لصارى عسكر وهو يقصد تعظيمكم وتشريفكم بزيه وعلاماته .

وارتاب الفرنسيون فى موقفه بعد مقتل كليبر لأن سليمان الحلبى كان يبيت فى الأزهر . فاحضروه وحبسوه وألزموه بالبحث عن الأزهرين الذين شاركوا الحلبى

ثم اعتقل مرة ثالثة فى عهد منو على أثر الثورة المصرية التى اندلعت فى القاهرة لمقاومة الفرنسيين وقد أقام فى القلعة معتقلا مائة يوم ولم يفرج عنه إلا بعد إجلاء الحملة الفرنسية نهائيا .

وقد شارك مع السيد عمر مكرم فى الأحداث التى تلت ذلك . وكان فى جميع أدوار حياته مثلا للعلماء الأحرار الذين لا يرهبون السلطان الظالم فى سبيل المطامع او خوفا على مكانهم أو حياتهم توفى ١٢٢ هـ — ١٨١٢ م .

الشريف الرضى

أنا النضار الذى يضمن به لو قلبتنى يمين منتقـــد

شاعر الرافدين الذى جهله زمانه. واق عقوقا من قومه وما زال قبره مجهولا له ضريح فى الكاظمية ويقول مترجموه أنه دفن فى كربلاء. قيل أنه هو الذى كتب « نهج البلاغة » المنسوب إلى الإمام على . وهو أعظم شاعر تغنى بالحب والجمال وهو نقيب الأشراف. وله قصائد اسمها « الحجازيات » وقال الشريف فى الصداقة شعراً رائعاً . واهتم بالعلا والمعالى . وكان عفيفا كافح فى سبيل المجد . وقيل إن الذى أخله هو « التشيع » وكان فارسا لايشق له غبار ، عاشقا ، سياسيا ، شاعراً رحالة ، حمله التعفف على هجر أبواب الرؤساء . اعتقل أبوه وحبس فى قلعـــة فاس سبع سنوات نتيجة الخلافات السياسية مع عضد الدولة ، وصودرت أملاكه . وبدأت أعوام البؤس فى حياة الشريف . درس العلوم العقلية والنقلية . وعرف بالنبوغ الشعرى الباكر . ولكنه أصبح ذليلا بعد العز والغنى . فكان يرى الدنيا بعين الشيوخ وهو فى الشباب . وقد أفاد من أعوام البؤس نعما باقية وأحب أباه حبا كان يتلهف عليه تلهفا موجعاً على حد تعبير الدكتور زكى مبارك الذى ألف عنه كتابا ضخما. وقد أحس بالفقر والضنك نتيجة لتصونه عن السؤال . واضطر إلى بيع ما تملك أمه فغلب عليه التبرم والضجر وأصبح رجلا يعطف على مصائب الناس . وكان الشريف حر العقل فلم يستسلم للخلاف بين السنة والشيعة . ومضى يدرس فى نزاهة وسماحة كل المذاهب ليزداد قوة بمعرفة العلم . وله شعر فى مدح العروبة والإسلام . واتسم أدبه بالقوة والعزة وهو إلى ذلك كاتب بليغ الأسلوب لا يطنب ولا يستطرد . وله كتاب « المجازات النبوية » وكتاب « حقائق التأويل » . وقد كتب فى الفقه والتوحيد والنحو والبيان . وقد قيل أنه هو الذى كتب « نهج البلاغة » المنسوب إلى الإمام على . توفى ٤٠٦ هـ — ١٠١٥ م .

الشريف الأدريسى

علم من أعلام الفكر العربى الإسلامى تجاهلته المصادر العربية طويلا . بينما عنى به الغربيون . ونشروا ذكره وأشادوا بعملية الكبيرين : خريطة الدنيا . وكتابه « نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق»،وهو واحد من الجوابين الذين طوفوا فى الأرض وذهبوا إلى أقصى مدى يمكن الذهاب إليه ولد « أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأدريسى » فى ثغر سبته من بيت مؤسس الدولة الأدريسية بالمغرب وأحاط بالعلوم والفنون . ثم لم يلبث أن أزمع رحلة طويلة بدأها وهو فى سن السادسة عشرة حيث تجول فى بلاد شمال أفريقيا ميمماً مدنه وقراه ثم عبر إلى الأندلس وزار بعض مدنها.وقد وجد مكانه الحق عندما قام بعمله الضخم الخطير حين اتصل بروجار الثانى ملك صقلية عام ٥٢٣م حيث أخذ يعمل فى صمت ومثابرة خمسة عشر عاما حتى أتم مشروعه الخطير الذى لازال حتى اليوم موضع تقدير الباحثين والعلماء.وقد حاط روجار الأول والى صقليه الشريف الادريسى بتقدير بالغ ووثق له كفاية لاتكون إلا الملوك. وطلب إليه تأليف كتاب فى وصف مملكته الواسعة مع بقية الممالك متجنباً المزاعم والخرافات والأوهام .

وقام الأدريسى بعمل ما أسماه « لوح الترسيم » وهو تصميم جغرافى للكرة الأرضية ومشروع خريطةللعالم . ورسم الشريف الادريسى خريطة جامعة على صفيحة لتكون بمنجاة من التلف . وقد أمر الملك أن تفرغ له دائرة من الفضة الخالصة عظيمة الجرم ضخمة الجدم فى وزن أربعمائة رطل بالرومى فى كل رطل منها مائة درهم واثنا عشر درهما فلما كملت أمر الفعلة أن ينقشوا فيها صور الأقاليم السبعة ببلادها وأقطارها وريفها وخلجانها وبحارها .وكانت هذه الخريطة الجامعة هى التصميم العام لكتاب « نزهة المشتاق » ،وقد منح روجار الشريف ثلاثمائة وخمسين ألف درهم من الفضة ومركبا مشحونا بأنواع الأحلاب الرومية جائزة على عمله العظيم توفى ٥٦٠ ﻫ ١١٦٥ م .

شكيب أرسلان

فى ٩ سبتمبر من عام ١٩٤٦ مات هذا الرجل العربى المكافح الذى عاش للحرية بقلمه وروحه وماله. عاش المهاجرا كالطير الغريب فى سويسرا، وقد أقام من بيته نزلا للعرب وزعمائهم والشرقيين وأعلامهم، وظل يسافر من الشرق إلى الغرب ومن الغرب إلى الشرق يدافع عن أمجاد العرب والإسلام ويخاصم كل من يقف فى وجه حرية الأوطان. وفى خلال هذا سافر إلى أسبانيا والحجاز وتركيا وفرنسا وانجلترا وله فى كل معرض كتاب ولكل رحلة أثر. واشترك فى حملة الأتراك على الايطاليين فى طرابلس الغرب عام ١٩١١، وعادى الاتحاديين فى تركيا فى سبيل وحدة العرب وخاصم جمال السفاح الذى نصب المشانق للمجاهدين العرب فى سوريا فى أوائل الحرب العالمية الأولى..

ومنع من دخول الشام فى عهد الحماية الفرنسية ثم أذن له ثم تحول الوضع مرة أخرى فعاد إلى لوزان.. وأبرز أعماله تعليقاته الهامة على هامش كتاب حاضر العالم الإسلامى، التى ماتزال حتى الآن وبعد أكثر من ثلاثين عاما مرجعا لكل دارس وباحث فى الصراع بين الشرق والاستعمار وكان صديقاً مخلصاً لمحمد عبده وأحمد شوقى ورشيد رضا. وكان إلى ذلك شاعراً له ديوان مطبوع وله مجموعة ضخمة من المؤلفات والأبحاث عرف خلالها بالبيان الرائع والأسلوب المصقول

وكان شكيب ارسلان أول من دعا إلى إتحاد العرب فى هيئة عاملة، وأول من طاف أنحاء أوروبا باحثاً منقبا عن مخطوطات العرب المحفوظة فى مكاتبها. وقد تناولت رسائله التى كان بعث بها إلى أصدقائه فى مصر موضوعات علمية كثيرة ومن هؤلاء الذين يحتفظون برسائله السيد محب الدين الخطيب والأستاذ حبيب جاماتى. وقد أضاع ثروته الطائلة فى الجهاد لمجد العروبة. وكان رسول سلام فى كل خلاف وداعية وئام وصفاء. كتب عن الأندلس وعن الوجود الإسلامى العربى فى فرنسا وإيطاليا بعد زيارات وأبحاث.

شوقي

قال عنه الذين درسوا الأدب العربي أنه كان تعويضاً عادلا للعربية منذ توفي المتنبي، إلى اليوم . وحاولت أقلام الكتاب أن تتناول شعره بالنقد ولكن هذه الزوابع كلها انطوت وبقي شعر شوقي قوياً قادراً على الحياة وتحول الكثيرون ممن نقدوا شوقي إلى تقدير أدبه والاعتراف به . وزاد الزمن في مكانه حيث أتيح له في آخر حياته أن يبتدع « المسرحية الشعرية » ففتح بذلك باباً من الفن لا سبيل إلى تجاهله ومضى الزمن يكتب لشوقي من الخلود فمثلت رواياته وجرت على كل لسان وملأت القلوب حباً وحناناً وإعجاباً

وكان نفي شوقي إلى الأندلس في خلال الحرب العالمية الأولى حيث أمضى هناك بضعة أعوام هو الحدث الأعظم الذي أثر في مجرى حياته فقد تحول من شاعر القصر إلى شاعر الإسلام والشرق والعروبة فعاد وقد تفتحت أمامه أبواب الإنتاج فنظم رواياته الخالدة وأتيح له وهو في السن المرتفعة أن يصور عاطفة الحب العفيف وأن ينشد قصائد الوفاء وكان شوقي يجود بشعر الحكمة يطلقه على سجيته ولكنه كان من مجالسه كثير الصمت والاطراق وكان يملى أحياناً في أكثر من « رواية » في وقت واحد وقد أعانه على الإجادة حافظة قوية وعاطفة حادة ونفس شفافة وطبيعة غاية في الخصوبة والحيوية إلى دراسة وقراءة بحث عميق في ذخائر الأدب العربي القديم والأدب العربي الحديث . وكان شوقي يغار على شعره ويحبه ويحنو عليه ويؤمن بعبقريته . وقد خلف للأدب العربي آثاراً ستظل حية تقاوم الزمن ما بقيت العربية .

وكان من أعظم معالم شعر شوقي أنه كتب في مختلف الفنون: الرثاء والوصف والإنسانيات والإسلام وأجاد فيها جميعا .

ذكرى مطرة الشاعر الذي مضى في ١٤ اكتوبر من عام ١٩٣٢ .

الشهاب الألوسى

واحد من أعلام أسرة «الألوسى» الذين جددوا الإسلام فى العراق وأخذوا عن ابن تيمية دعوته فى العودة بالإسلام إلى منابعه الأولى وتنقيته من الخرافات والزيوف .

[هو محمد بن عبد الله شهاب ابن أبو الثناء الحسنى الحسينى البغدادى ، ولد ببغداد ١٨٠٦م شافعى المذهب، درس الفقه والتفسير وقرأ علم الكلام وارتقى فى المناصب الدينية إلى أن ولى منصب الإفتاء فى بغداد ، واختلف مع الوالى التركى لبغداد فصرف عن منصبه ورحل إلى الإستانة ليدافع عن نفسه فى مارس ١٨٥١ . وصف رحلته فى رسالة عنوانها (نشوة المدام فى العودة إلى مدينة الإسلام) وهى مخطوطة فى لندن.

أهم تصانيفه : تفسيره القرآن المسمى (روح المعانى) كتبه بين ١٨٣٦-١٨٥٩ وطبع فى ٨ أجزاء من مطبعة بولاق، جمع فيه خلاصة ما فى سائر التفاسير ووضع جدولا لكل المشكلات . وله عشرات المؤلفات أهمها : نزهة الألباب جمع فيها تراجم الرجال والأبحاث العلمية التى جرت بينه وبين شيخ الإسلام ، وله حواشى كثيرة على رسائل فى المنطق والجهاد واللغة . وله الأجوبه العراقية على الأسئلة الإيرانية . وكان قد كتب فى شبابه مقامات لشعرها قبل وفاته طبعت على الحجر فى بغداد كما نظم شرحاً لقصيدة ابن سينا عن الروح عنوانه (شرح الخريدة القلبيه فى القصيدة العينية) .

وقد خرجت أسرة الألوسى عدداً من العلماء الذين أثروا فى تطور الفكر الإسلامى: منهم نعمان خير الدين الألوسى الذى كتب دفاعاً عن ابن تيمية تحت عنوان (جلاء العينين فى محاكمة الأحدين) شكرى الألوسى الذى اشترك فى المباراة التى عقدت فى استوكهلم ١٨٨٩ وأحرز جائزة أوسكار ملك السويد عن موضوع (حضارة العرب قبل الإسلام) وقد عرف الشهاب الألوسى بغزارة المادة ورسوخ العلم وطول الباع وينسب الألوسيون إلى (ألوس) وهى جزيرة وسط نهر الفرات وعرف مجلسه بالعلم ومن تلاميذه الفاروقى وعبد الغفار الأخرس (توفى ١٨٥٩)

صاحب النقب .

هذا بطل من أبطال التاريخ لا يذكر التاريخ إسمه ، و إنما يكتفى بأن يطلق عليه لقب صاحب النقب ، فقد رفض أن يدلى باسمه القائد وظن أن إعلانه له مظهر من مظاهر الفخر والازدهاء التى تضيع ثوابه عند الله فزهد فى الشهرة طمعاً فى رضوان الله وجزائه الحق . كان جندياً عادياً فى جيش مسلمة فلما وقف العرب وطال بهم الوقوف عند أحد الحصون الجبارة على حدود دولة الروم ومل الناس الحصار . أخذ مسلمة قائد الجيش ينتدب من الجنود من يعرفه أو يثق به ليتقدم ليفتح ثغرة فى جدار الحصن . فما تقدم رجل إلا وأردته سهام المدافعين ومات واحد وثان وثالث دون أن يصل أحد إلى الحصن ، وبينما يصل الموقف إلى هذا الحد من الحرج ، ومسلمة يندب الجنود فيترددون إذا بشاب لا يبدو عليه مظهر البطولة . يتقدم على فرسه مندفعاً إلى الحصن كالشهاب فى قوة ومضاء . لا يبالى بالسهام وقد إنهالت عليه من كل مكان ، فما أصابت منه ، حتى إذا أدرك الحصن تمكن من إحداث الثقب ، فاندفع العرب منتصرين ولما فرغ مسلمة من أمر الفتح ، نادى فى الجيش (أين صاحب النقب) فلم يتقدم أحد ، وكرر النداء دون مجيب ، وألح مسلمة على صاحب النقب فى أن يتقدم وهدد وتوعد ، بعد أن أغرى ومنح . وفجأة .. تقدم رجل ضامر ، إلى خيمة الأمير ، وقال له أن صاحب النقب يشترط عليكم أن دلكم على نفسه أن لا تسألوه عن اسمه أو قبيلته أو شىء من أمره . فاذا أعطيتموه شرطه أظهركم على نفسه ، فقبل منه القائد ما شرط ليدله على صاحب النقب ، فقال الرجل « أنا » . وأدار ظهره وخلف خيمة الأمير واندس فى جموع الجيش .

صلاح الدين

لم يترك إسم من أسماء أعلام الشرق مثل الدوى الذى تركه إسم صلاح الدين فقد بهر الفرنجة بخلقه الإسلامى الأصيل وتعامله الشريف .

فبالرغم من الخصومة والحرب أرسل صلاح الدين إلى ملـــكى الانجليز والفرنسيين ألطافاً من الثلج والفاكهة والشراب البارد كما بعث بطبيبه لعلاجهما . وأهدى إلى ريتشارد جوادين عندما رآه يقود جموعه راجلا . وفى إبان هزيمة خصـــومه عاملهم بأسلوب غاية فى الخلق والسمو والعفو ، ولم يجهـــز عليهم أو يسحقهم . واكتفى بأن جردهم من السلاح .

ولا شك أن طبيعة صلاح الدين النفسية كانت عاملا قوياً من عوامل الظفر الذى كسبه فى معارك الحرب . نفض يده من الترف وأمضى حياته مجاهداً . وكان ينقل الحجارة بيده ويحمل التراب على كتفه بعد استعادة القدس من الافرنج وكانت ضربته فى « حطين » من أقوى الضربات التى أقنعت الفرنجة بأنه لا سبيل إلى المقام فى الشرق . ويقول أحد المؤرخين الاوربيين : أن صلاح الدين عندما وقع شروط رحيل الفرنجة عن القدس ترك المدينة حتى لا يؤذى شعورهم وقضى يوماً كاملا وعلى بابه من ينادى فيهم : هل من فقير فنأويه . هل من عاجز فنعفيه

وعندما وقع مع الفرنجة عقد الهدنة صمد للاحداث ، يؤمن طريقه ويمضى على أسلوبه فى الوفاء لوعده ، ورفض أن يهاجم الفرنجة وهو على علم بما يدبرونه من مؤامرات وتركهم حتى نقضوا هم الهدنة .

وكان صلاح الدين إلى ذلك كله أديباً مرهف الحس يحب الشعر الرفيع ويألف صحبة العلماء والكتاب .. وقد أمضى حياته مجاهداً لا يستقر فى مصر ولا فى الشام غاية فى الايمان بالله تعالى يطيل الركوع والسجود ويتوجه إلى الله فى الملمات باكياً داعياً . وعندما أخذ فى بناء سور القدس اشترك فى حفر الخندق ونقل الحجارة على عاتقه مقتدياً بالرسول فى خلقه وشمائله توفى ٥٨٩ هـ ١١٩٤ م .

صقر قريش

« لا تعجبوا لامتداد أمرنا مع طول مراسه وقوة أسبابه فالشأن في أمر فتى قريش الأحوذي الفذ في جميع شئونه وعونه لأهله ولسبه. وتسلية عن جميع ذلك بعد مرتقى همته ومضاء عزيمته . حتى قذف بنفسه في لجج المهالك لابتناء مجده . إن ذلك لهو الفتى كل الفتى « صقر قريش » ، لا يكذب مادحه » هكذا وصف المنصور : عبد الرحمن بن معاوية بن هشام : لقد فر عبد الرحمن من ظام العباسيين بعد أن استولوا على ملك أمية . وظل يضرب في القفار حتى وصل الأندلس فأقام دولة ضخمة ، وكان عمره تسعة عشر عاماً ، عندما وصل إلى شاطىء الفرات . وعندما عبر البحر جاهداً حتى وصل الشاطىء الآخر فراراً من رايات العباسيين . فقصد أفريقيا ونزل في بلاط عبد الرحمن ابن حبيب الفهري ، أمير المغرب ، ومنها عبر الأندلس فبث فيها دعوة الامويين من جديد فاستجاب له الناس وكون ملكه العريض . وصفه ابن حيان مؤرخ الاندلس بأنه كان راجح الحلم واسع العلم ثاقب الفهم ، كثير الحزم ، نافذ العزم . بريئاً من العجز . سريع النهضة . متصل الحركة لا يخلد إلى راحة ولا يسكن إلى دعة . ولا يكل الامور إلى غيره . بعيد الغور . شديد الحدة ، قليل الطمأنينة . بليغاً مفوهاً . شاعراً محسناً » كان يلبس البياض ويعتم به ويؤثره . وكان قد أعطى هيبة من وليه وعدوه . وكان قاسياً في مقاومة الدسائس نتيجة لطبيعته التي أكسبتها إياه الاهوال . ميكافيلياً بكل معنى الكلمة . لا يتورع عن الغدر والاغتيال للقضاء على خصومه . بل ذهب في صرامته إلى البطش بكثير من أصدقائه الذين آووه يوم مقدمه شريداً لاعصبية له وقد حصن عبد الرحمن الامصار وجند الاجناد ودون الدواوين وأقام ملكاً عظيماً بعد انقطاعه بحسن تدبيره وشدة شكيمته . أسس قرطبه ٧٥٦ م . وتوفى (١٧٢هـ ٧٨٨م) .

طارق

يلفت النظر فى شخصية « طارق » هذه العزيمة التى تصوره وقد أحرق مراكبه بعد أن جاز المضيق ومهما يكن من مدى صحة هذه القصة فانها تعطى صورة لعزيمة طارق الجبارة، هذا المسلم الاسود من قبيلة البربر فى المغرب وقد وفتحت له أبواب المجد حين وكل إليه موسى بن نصير أمر الجيش الذى جهزه من العرب والبربر فى سبعة آلاف مقاتل . ووقف على الارض الجديدة وقد شغفه أن يخترقها وأن يكتب الاسلام فيها صفحة من صفحات المجد والنصر فدفع جنوده واندفع معهم يقاتل فى قوة . وقد اندفع طارق فحمل على « لذريك » فقتله ومضى منتصراً ولم يكتف طارق بقواته فى أثناء زحفه بل طلب مدداً جديداً فأرسل إليه موسى خمسة آلاف مقاتل وكانت معارك ضخمة بلغت فى إحداها قوات العدو نحو مائة ألف مقاتل قابلها طارق بجنوده الاثنى عشر ألفاً ومع ذلك فقد انتصر .

ولم يلبث موسى بن نصير أن أحس بفوز طارق واكتساحه المدن واحدة بعد أخرى ، فعبر إليه فى قوة ضخمة ، فامتزجا فى أعمال الفتح حتى أتماه .

وقد أثبت طارق بطولة فذة فقد استطاع أن يشق قلب القارة الجديدة فى قوة وأن يجاهد جهاداً ضخماً فى اكتساب أرض جديدة .

ولم يعرف عن طارق أكثر من أنه محارب معصوم من الشهوات . لم تغره مظاهر الحياة البراقة فى الاندلس . ولم تفتنه صور الجمال فقد دخل الاندلس على أثر قصة إغتصاب لذريق إبنة الكونت يوليان حاكم سبته ، الحسناء فلوريدا . ولكن هذا لم يكن فى حسبانه مطلقاً ويحفظ له التاريخ عبارته فى جنوده « إنى لم أحذركم أمراً أنا عنه بنجوه ولا أحملكم على خطة ارخص متاع فيها النفوس . إلا أبدأ بنفسى وإنى عند ملتقى الجمعين حامل بنفسى على طاغية القوم فقاتله إن شاء الله فاحملوا معى فان هلكت بعده كفيتكم أمره ولم يعوزكم بطل عاقل يسندون أموركم إليه - جاز جبل طارق عام ٧١١م - توفى ١٠٢هـ ٧٢٢م .

طاووس بين كيسان

انطلق أعوان هشام بن عبد الملك يبحثون عن تابعى يقدمون به عليه ، ولم يطل بهم الطواف حتى بصروا بطاووس جالساً فى المسجد يحدث الناس والناس من حوله يتدافعون بالمناكب لمشاهدته وسماعه . وكان كثير منهم يرغب فى أن يتمتع برؤيته قبل عودته لبلاده لما يسمع من فضله وعمله وورعه . إنه طاووس ابن كيسان الخـــولانى من أكابر التابعين تفقها فى الدين ورواية للحـــديث وتقشفا فى العيش وجرأة فى وعظ الخلفاء والملوك . فارسى الأصل . يمنى المولد. قال ابن عيينة : متجنبو السلطان ثلاثة : ابو ذر، وطاووس، والثورى. وقد عرف عنه أنه صلى الصبح بوضوء العتمة أربعين سنة . ورفض الصرة التى أرسلها إليه من صنعاء محمد بن يوسف الثقفى فطرحها رسول الامير فى كوة بالبيت وخرج ، فلما كان بعد حين بلغ الامير أنه ينكر عليه شيئاً من افعاله فأرسل إليه يطلب المال الذى أعطاه فقال للرسول : أين جعلته . قال فى هذه الكوة . فقال خذه ، فمد يده فإذا هو بالصرة وقد نسج عليها العنكبوت فأخذها وذهب . ومما روى أنه دخل على هشام مرفوع الرأس موفور الكرامة وقال السلام عليك ياهشام : قال له هشام : ما الذى حملك على ما فعلت : قال ما هو . قال خلعت نعليك بحاشية بساطى . ولم تقبل يدى ولم تسلم على بأمرة المؤمنين . ولم تكننى . وجلست بازائى بغير إذنى وقلت لى كيف أنت ياهشام ! قال إنى أخلع نعلاى بين يدى رب العزة كل يوم خمس مرات فلا يعاقبنى ولا يغضب على فأطرق هشام وقال عظنى : قال سمعت علياً يقول : إن فى جهنم حيات كالتلال ، وعقارب كالبغال تلدغ كل أمير لا يعدل فى رعيته ومما يروى عنه قوله : إن الله افترض عليكم فرائض فلا تضيعوها وحد لكم حدوداً فلا تعتدوها ونهاكم عن أشياء فلا تنتهكوها وسكت عن أشياء فلا تتكلفوها .

توفى ١٠٦هـ - ٧٢٥ م

الطبرى

« وكان أبو جعفر ظريفاً فى ظاهره ، نظيفاً فى باطنه ، حسن العشرة والمجالسه، متفقداً لأحوال أصحابه مهذباً فى جميع أحواله، جميل الأدب فى مأكله وملبسه وما يخصه من أحوال نفسه . منبسطاً مع أخوانه حتى ربما داعبهم أحسن مداعبة، وكان إذا أهدى إليه مهد هدية مما يمكن المكافأة عليها قبلها وكافأه . وإلا ردها واعتذر إلى مهديها : ذلك هو ابن جرير الطبرى المحدث، المؤرخ ، المنسوب إلى طبرستان حيث ولد، والذى طوف بالعالم العربى الإسلامى فقصد إلى بغداد مثابة العلم واقام بها حينا من الزمن يكتب عن شيوخها ، ثم انحدر إلى البصرة فسمع من بقى من شيوخها فى وقته ، وصار إلى الكوفة ليستوفى سماع الاحاديث من علمائها ثم عاد إلى مدينة السلام ، ثم لم يلبث أن خرج إلى مصر ماراً بأجناد الشام والسواحل والثغور ثم صار إلى الفسطاط عام ٢٥٣هـ وفيها اقى الشيوخ وأهل العلم بها فواصل دراسة القرآن والفقه والحديث واللغة والنحو والشعر . واستوعب المعرفة والعلوم فى عصره وقد وصف بأنه أسمر الادمة ، أعين ، نحيف الجسم ، مديد القامة ، من أغزر المؤلفين إنتاجاً يقف فى صف الجاحظ وابن حزم . وقد عرف بالثقه بنفسه وعلو الهمة ، وسعة المعرفة ، وغزارة العلم، والعزوف على الدنيا والزهد والتقشف ، حيث كان له مال من ضيعة ورثها عن أبية ، ورفض عطاء محمد بن عبيد الله الوزير وكان عشرة آلاف درهم . مهد الطريق المؤرخين والمفسرين ، وأسلوبه يجمع بين السهولة والجزالة وقد رصع كتبه بالشعر والأدب . وله مذهب الجريرية فى الفقه . وقد أقدم على تفسير القرآن فى ثلاثة آلاف ورقة . وقد أوحى إليه كتابه تاريخ العالم . عاش بين (٨٣٩ ٩٢٣) ولد فى آمل (طبرستان) وتوفى فى بغداد . أشهر كتبه تاريخ الأمم والملوك . وجامع البيان فى تفسير القرآن .

توفى ٣١٠هـ — ٩٢٣م

طنطاوى جوهرى

عنى الأب « جوم بيه » أخذ رهبان در الدومونيكان منذ سنوات بدراسة حياة عالم مسلم مصرى لم ينصفه معاصروه وجهلوا قدره . بل حاربوه فى مكانته العلمية مع أنه لا يقل مكانا عن الرازى والزمخشرى وابن سينا وابن خلدون . ذلك هو العلامة « طنطاوى جوهرى » الذى أدخل لأول مرة فى تاريخ البحث العلمى العربى — العلوم الحديثة فى القرآن الكريم . وقد حدثنى عنه صديقنا الدكتور محمد يوسف موسى أستاذ الشريعة بكلية الحقوق بعين شمس فقال لى منفعلا : أكتب على لسانى أنه يستحق من المجد مثل ما يستحق الإمام محمد عبده لولا أن زملاءه وإخوانه جهلوه وعجزوا عن نصرته عندما تقدمت الدوائر العلمية ترشحه لنيل جائزة « نوبل » وكان أول مصرى يرشح لهذه الجائزة وكان ذلك منذ أكثر من عشرين عاماً . ومن المدهش أن العلامة طنطاوى جوهرى هو أحد خريجى دار العلوم ومن ذلك الرعيل المجاهد الذى خرجته هذه الدار ، وقد ولد السيد طنطاوى طيب الله ثراه فى قرية « كفر عوض الله » إحدى قرى مديرية الشرقية وقد نشأ فى هذه القرية المجاورة لشاطىء النيل فأكسبت روحه هذا « الإشراق » الذى دفعه إلى التفكير فى ملكوت السماء والأرض والبحث ولقد عاش السيد حياة متواضعة بعيدة عن المظاهر والغرور فقد كان يحمل فى أعماقه قلب العالم المتواضع الزاهد الذى لا يطمع فى غير رضوان الله فعكف على أبحاثه ودراساته فألف عدداً من الدراسات العلمية التى تعد فى نظر المفكرين الغربيين اليوم من أمهات الأسانيد فى دراسة الخطوط العلمية العامة للقرآن . وهى مراجع « وحيدة » فى الجامعات الأوربية . ولم تلق هذه الأبحاث منذ ابان تأليفها تقدير الدوائر الفكرية فى مصر التى كانت مشغولة بالصراع بين القديم والجديد والتى لفتها الأهواء السياسية حتى قضى السيد طنطاوى منذ سنوات ولم يذكره ذاكر ولم يعمل العاملون من أبناء دار العلوم على الاحتفال بآثاره وذكراه .

توفى ١٣٥٨هـ — ١٩٤٠م

عائشة

زوج النبي . وابنة الصديق . شهدت مشرق أمة . وطالعت صورة ضخمة من الجهاد في سبيل إقامة الدولة الإسلامية . وعاشت بعد الرسول أكثر من أربعين عاماً مرجعاً من مراجع الفقه والدين والشريعة . تزوجها النبي في السنة الثانية للهجرة لم تتفتح بعد أنوثتها جميلة ذكية بيضاء حالمة . وقد أحبها النبي وكان لها عليه دالة وجرأة ودلال . وفي خلال إحدى عشر عاماً أمضتها في بيت الرسول أخذت تفهم الحياة وتستوعب الثقافة وتحفظ القرآن . وتتفقه في الدين . ولم يفتها مجلس من مجالس الرسول حتى وعت أحكام الدين . وبين العدد الكبير من نساء النبي كانت تحس أنها الواحدة المفردة . البكر الجميلة الصغيرة ، إبنة الصديق . وكانت غيوراً ضاقت بمارية عندما ولدت إبراهيم وكانت لا تني تظهر شعورها بالغيرة من ذكر خديجة وقد كان الرسول لا يكف عن ذكرها .

وقدم لها الرسول أربعمائة درهم صداق . وعندما مرض استأذن زوجاته في أن تمرضه عائشة . ولجأ إلى بيتها وقالت أن الرسول توفى بين سحري ونحري ودفن في بيتي . وفي حياة عائشة حادثان خطيران حادث الافك وهي في سن الثامنة عشرة حين انفصلت عن الموكب عندما ضاع عقدها . واستغل ذلك خصوم النبي فأفكوا . وقابلت عائشة الامر في تحدى الواثق من البراءة وصدق الوحي حدثها فانزل القرآن براءتها والحادث الآخر هو إقتحامها ميدان السياسة بعد وفاة النبي وتزعمها جماعة من الصحابة للوقوف أمام « علي » ومعارضته . وقد انضم إليها بنو أمية وطلحة والزبير وخرجت في عشرين ألفاً تشن حرباً طاحنة في موقعة الجمل . وقد كانت خطيبة بارعة فصيحة لها صوت جهوري بعيد الاثر في النفوس . وقد عاشت ستين عاماً وهي أفقه نساء المسلمين . وتوفيت عام ٥٧ هجرية وحفظ لها التاريخ أروع قصة حب بينها وبين النبي كما حفظ لها روايتها لألفين ونيف من حديث رسول الله .

عائشة التيمورية

تعد عائشة التيموريه أول شاعرة عربية بعد الخنساء ويعد ديوانها (حلية الطراز) هو أثرها العربى الاول .

وكانت تقول الشعر وتجيد الكتابة باللغات التركية والفارسية والعربية . وأسلوبها تقليدى فى الشعر . وكتاباتها فى النثر تنسج نهج المقامات .

ولقد كان أبرز أحداث حياتها وفاة إبنتها « توحيدة » التى ماتت فى سن الثامنة عشرة من عمرها . وقد حجبها الحزن عن النظم سبع سنوات متوالية . شغلها الحزن الممض والالم العميق عن الشعر فلما عادت بعد، كان هو طابع أدبها

وقصيدتها فى رثاء إبنتها بالغة العمق و العاطفة .

وقد صورت اتجاهها الادبى فى مقدمة ديوانها فى قولها « . . . فلما تهيأ العقل للترقى . وبلغ الفهم درجة التلقى تقدمت إلى ربه الحنان والعفاف و ذخيرة المعرفة الاتصاف والدقى بأدوات التطريز والنسيج ، وصارت تجد فى تعليمى . وأنا لا أستطيع التلقى ، ولا أذل فى حرفة النساء الترقى . وكنت أفر منها فرار الصيد من الشباك وأتهافت على حضور محافل الكتاب بدون إرتباك فأجد صرير القلم فى القرطاس أشهر نغمة وكنت ألتمس من شوقى قطع القراطيس وصغار الاقلام فاعتكف منفردة أقلد الكتاب فى التحرير . . . » .

وقد انتهى بها المطاف فعلا إلى أن هجرت التطريز وشغلت نفسها بالادب والكتابة وأعانها على ذلك الجو الفكرى الذى ولدت فيه حيث هى لها أسباب الثقافة والإطلاع . ولدت عام ١٨٤٠ وتوفيت ١٩٠٢ وعاشت أكثر من ستين عاماً وهى عمة الاستاذ محمود تيمور وشقيقه أحمد تيمور باشا وقد تعلمت العربية والتركيه والفارسية .

عباس بن فرناس

هل نستطيع أن ننسى الطيار العربي الأول : عباس بن فرناس الذى كان أول من حاول تجربة الطيران . طيران الإنسان نفسه بدون طائرة .

لقد عاش عباس فى قرطبة فى عصر ازدهار العلوم ، وأتيح له ان يحيط بخلاصات عميقة لعلمى الرياضة والطبيعة وكان أول من استخرج الزجاج من الحجر . واشتغل بالكيمياء . حتى أطلق عليه حكيم الأندلس . وأول من رصد حركات النجوم .

وذات يوم خطر له أن يحاول تطيير جسمه . فكسا جسمه بريش النسور وأضاف إليه سرق الحرير ومد لنفسه جناحين على وزن وتقدير قدره . وأتاح له هذا أن يطير فى الجو واستقل الهواء فعلا . ومكث فيه فترة من الزمن حتى وقع على مسافة بعيدة من مكان مطاره . وقد تأذى بذلك مؤخره لأنه لم يقدر أن الطائر إنما يقع على ذنبه فنسى أن يصل لنفسه ذنباً وقد أفزع من رأى طيرانه وقد كان ذلك حديث قرطبة وما حولها . وأصاب الناس الفزع لهذه التجربة . مما دعا العامة إلى رميه بالسحر والزندقة .

ولم يسجل التاريخ أن عباس أعاد محاولته ويبدو أنه عرف عنها بعد أن ضاق الناس بها وجزعوا منها : ولكنه كان على كل حال أول من فتح الآفاق للانسان ليقتحم الجو وليتعلم الطيران .

عبد الحميد بن باديس

« إن خدمة الإنسانية فى جميع شعوبها والحدب عليها فى جميع أوطانها ، واحترامها فى جميع مظاهر تفكيرها ونزعاتها ، هو ما نقصد إليه ونرمى ، ونعمل على تربيتنا ونريد من لنا حق عليه . إن لنا وراء هذا الوطن الخاص أوطاناً أخرى عزيزة علينا ، هى دائماً منا على بال ، ونحن فيما نعمل وطننا الخاص نعتقد أنه لابد أن خدمناها ، وأوصلنا إليها النفع عن طريق خدمتنا لوطننا الخــــاص » .

هذه دعوة عبد الحميد بن باديس الذى كون جمعية علماء الجزائر عام ١٩٢٨ وأصدر مجلة الشهاب ، وكان لهذه المدرسة الضخمة التى اتسع نطاقها أكبر الأثر فى تأريث الثورة الجزائرية التى تجاهد الآن منذ خمسة أعوام وقد استهدفت دعوته حماية اللغة العربية وعروبة الجزائر واسلامها من مؤامرات الفرنسيين التى كانت تعمل على محق العربية وإبادتها وقد أعد برنامجاً لنشر حضارة العرب والرجوع إلى تعاليم الإسلام الحقيقة التى شوهتها النزعات العنصرية التى أوجدها الاستعمار وساندها . وقد ظل عبد الحميد بن باديس يجاهد جهاداً متصلا فى ميدان الدينى البحت حيث كان يرمى إلى تطهير العقائد من شعوذات الطرق الصوفية . وفى الميدان السياسى حيث دعا إلى مبادىء القومية الجزائرية التى تقوم على العروبة كعنصر ثقافى والإسلام كعنصر تاريخى وقد حاربته السلطات الفرنسية واتهمته وصحبه بأنهم من الوهابيين . وكان من أبرز العاملين معه زميلاه بشير الإبراهيمى والشيخ العقبى وقد بلغت دعوته الغاية من دحض أفكار بعض المخدوعين بالثقافة الفرنسية واستطاع ابن باديس أن يقاوم الدعوات الصوفية التى استغلها المستعمر الفرنسى فى شمال أفريقيا استغلالا أخضع به الناس له وأن يطهر العقيدة من شعوذات الطرق كما أنشأ أكثر من ثلاثمائة مدرسة عربية فى قسطنطينية ووهران وغيرها مما حفظ اللغة العربية ، وقد توفى فى ٢٦ رجب ١٣٧١ .

عبد الحى كيره

فى أبان الثورة المصرية عام ١٩١٩ والتى امتدت أربعة أعوام فى حركات سرية واغتيالات لخصوم الوطن : ظهر عدد من الشباب المؤمنين بوطنه الفدائى المضحى الذى لم يكن يطمع فى شهرة أو مجد . وكان « عبد الحى كيره » فى مقدمة هؤلاء أنه طالب الطب الذى كان أول فرقته ، والذى كون جماعه سرية من الطلبة الفدائيين فى أواخر عام ١٩٢١ هدفها اغتيال البريطانيين ومن يساعدهم من الوزراء والحكام المصريين وكان يصنع الخطط ويشرف على التنفيذ . واستطاع مع إخوانه قتل مستر براون المفتش البريطانى . واسماعيل زهدى ، وحسن عبد الرازق ، ومستر روبسون . كما حاولوا قتل عبد الخالق ثروت ، وتوفيق نسيم . وقد أزعجت هـذه الحوادث البريطانيين الذين كانوا يسطون على البلاد بالأحكام العرفية . ومضو يبحثون عن مدبرى الحوادث ، ولكن عبد الحى كيره استطاع بحذره وقوة عارضته أن يفلت من المكاشفة ، أن يسافر إلى طرابلس يختفى فيها عن الأنظار بضعة أشهر وهناك برقت فى عقله فكرة ... فانتقل إلى إيطاليا فى مركب شراعى ، ثم سافر إلى ألمانيا وقد صمم على قتل عبد الخالق ثروت الذى كان فى طريقه لحضور مؤتمر لوزان . وتتبع الانجليز حركاته ، فأرسلوا إليه أحد أصدقائه وكان قد أقام فترة فى تركيا ليخدعه ويدعوه للذهاب إلى الميناء لاستقبال أحد المجاهدين من العرب ، ولكن كيره كان يقظاً فسأل من القادمين على الباخرة فعرف أن من بينهم « إنجرام بك » وكيل حكمدار العاصمة فأيقن أنها المؤامرة تدبر ، ولم يلبث أن فاجأه إنجرام فى بيته وعرض عليه خمسين ألف جنيه وجواز سفر إلى أمريكا على أن يدلى إليه باعترافات تدين بعض الزعماء الوطنيين وزملاءه الفدائيين . ورفض « كيره » العرض بكل إعتزاز وكبرياء وغاظ ذلك إنجرام بك الذى لم يلبث أن دبر مؤامرة لاغتيال كيره حيث اكتشفت جثته بعد أيام مطعونة بالخناجر من الخلف .

عبد الرحمن فهمى

عملاق ثورة ١٩١٩ : الرجل الذى قاد ثورة ١٩١٩ فى الخفاء ثلاث سنوات كاملة ومع ذلك فقد حيل بينه وبين المكانة التى يؤهله جهاده، لم يشترك فى الحكم بعدها ، أو يلى منصباً أو يحرز ثروة . وقف من سعد والوفد موقف المعارضة وهاجم كثير من التصرفات الحزبية ، قاد عبد الرحمن فهمى (وكان قبل الثورة ضابطاً كبيراً ومدير الجيزة) المقاومة الشعبية ونظم المقاطعة الإجتماعية للجنة ملنر التى قدمت لتعرف وجهات نظر الشعب،وقد بهرت هذه المقاطعة أنظار العالم.ثم كان منفذاً لكل عمليات المقاومة التى تمت بعد ثورة ١٩١٩ من إغتيالات للانجليز وإلقاء القنابل على مواكب الوزراء الخونة وكبار الحكام،وقدمه البريطانيون إلى المحاكمة فى أكبر قضية وطنية عرفتها مصر هى : (قضية الاغتيالات السياسية) وقد كشف التحقيق من بطولات عبد الرحمن فهمى فى جمعية الانتقام التى تألفت لتهديد الخونة وإلقاء القنابل وتوزيع المنشورات، كان بيته بالقصر العينى من أكبر معاقل الثورة ، وإن لم يكتب عنه فى تاريخ الثورة شيئاً ، فذلك لأنه لم يكن من رجال المسرح وإنما كان من الذين يعملون خلف الستار ويحركون جميع الأشباح . لقد كان هو المحرك للقوة الوطنية بعد سفر أعضاء الوفد إلى مؤتمر الصلح وقد أرسل إليه اللورد اللنبى عندما اشتدت الحركة وقال له : أنه مسؤول عما ينشر فى الصحف من منشورات تثير الخواطر وحمله تبعة ما يحدث من أحداث وحدد إقامته ، ولكنه ظل يعمل بوسائل وصفت بأنها مما يعجز عنها الجن . وحكمت المحكمة عليه فى ٦ أكتوبر ١٩٢١ بالإعدام فيقبله بالابتسام ، واستهان به ، وثم عدل إلى السجن ١٥ عاماً وأفرج عنه فى ربيع ١٩٣٤. فلما خرج من سجنه لم يعتكف بل عمل فى ميدان جديد ، لقد قاد الحركة العمالية وكتب فى الصحف وظل قوى المعارضة فى سبيل الوطنية الصادقة حتى توفى عام(١٩٤٢).

عبد السلام ذهنى

فى شهر يناير ١٩٣٤ فاجأ المستشار عبد السلام ذهنى المحكمة المختلطة ـ وهى إذ ذاك معقل من معاقل الاستعمار والنفوذ الأجنبى ـ بإصدار أحكامه باللغة العربية بعد أن ظلت هذه المحاكم تصدر أحكامها باللغات الفرنسية والإنجليزية والإيطالية أكثر من ثلاثة أرباع قرن . وقد هزت هذه المفاجأت من المستشار المصرى الجرىء دوائر الاستعمار . وظلت حديث الصحف خلال عام كامل امتنع خلاله رئيس المحكمة المختلطة عن إعطاء المستشار ذهنى قضايا جديدة ، ومع ذلك فقد ظل عبد السلام ذهنى صامداً للموقف الذى شغل كل صحف العالم إذ ذاك، وقال فى جرأة وثقة واعتداد « إن كنت فى تمسكى باللغة العربية أقوم بواجب قانونى ، إلا أن هذا التمسك له رابطته الوثيقة بإحياء اللغة العربية وتكريم اللسان المصرى القومى والترجمان العربى » وقال رداً على سؤال لأحد زملائه الأجانب : « لم يدفعنى إلى عمل غير ضميرى وواجبى . ويكفى أن يكون من بين الأسباب التى تدفعنى إلى تدوين هذه الأحكام باللغة العربية أنى أحيى هذه اللغة التى عدت فى المحاكم المختلفة وكأنها ميتة لا وجود لها ، وأنا أريد أن تكون لغتنا القومية موجودة وهى أحق من غيرها بالشيوع والاستعمال، وعبد السلام ذهنى : اسكندرى المولد، واسع الثقافة، نال الليسانس من باريس ١٩٠٦ ، وعمل محامياً فى بنى سويف ثم نال الدكتوراه من ليون ١٩١٤ ونال ١٩٢١ الدكتوراه فى العلوم السياسية . وفى عام ١٩٢١ تولى تدريس المواد القانونية باللغة العربية فى مدرسة الحقوق ، ثم أختير لمنصب القضاء عام ١٩٢٧ فظل به حتى إذا بلغ منصب المستشار بمحكمة الاستئناف فى ١٠ يناير ١٩٣٤ استهل عهده بأن كتب أحكاماً جديدة باللغة العربية . وقد عرف فى منصب القضاء برحابة الصدر وطول الأناة ، وله ثلاثة عشر مصنفاً بلغت صفحاتها ٦٨٠٠ صفحة باللغة الفرنسية منها كتاب عن (مسئولية الحكومة باعتبارها صاحبة الولاية العامة) وعن القطن المصرى له أهميته فى الحياة الإجتماعية والإقتصادية.

عبدالعزيز الثعالبي

جاهد فى سبيل بلاده عن طريق السياسة والصحافة فقد اشترك فى أول حزب تكون لتحرير تونس ومقاومة الاستعمار . ثم عاد فأسس الحزب الوطنى الإسلامى . وكتب المقالات النارية فى صحف المنتظر والمبشر والرشاد وجميعها عطاب .

ورأى أن أفق الدعوة لتحرير البلاد قد يتسع فى خارج الوطن فسافر إلى بلاد العالم العربى وأوربا لنشر الدعوة ضد الاستعمار وكشف الحقائق للضمير الإنسانى .

وشارك فى حرب طرابلس ١٩١١ وعمل على مساعدة المجاهدين ضد إيطاليا بارسال البعثات الطبية من تونس . فنقم عليه المستعمرون واعتقلوه ثم أخرجوه حيث ذهب فى رحلة جهاد وكفاح إلى أوربا والشرق مرة أخرى .

وعاد مرة أخرى إلى وطنه وأسس صحيفة « الإرادة » ثم اعتزل السياسة جملة وحاول فى خلال اعتكافه أن يعاود الكفاح غير أن صحته حالت دون مواصلة العمل .

وفى خلال إقامة الثعالبى فى القاهرة كان قلمه قويا فى مواجهة الاستعمار وكان لسانا لبقا بليغا ولا غرو فهو أحد أبناء جامعة الزيتونة التى خرجت طائفة من عباقرة المغرب .

وقد عاش الثعالبى يدعو إلى الحرية وإلى الوحدة الإسلامية والرابطة العربية واشتغل بالأدب والعلم وله مؤلفات نافعة وآراء سديدة فى مقدمتها كتابه « روح القرآن » .

ولد عام ١٨٧٤ وتوفى عام ١٩٤٤ فى تونس .

عبدالعزيز آل سعود

لا تمر ذكرى المغفور له عبدالعزيز آل(١) سعود إلا وتتمثل فى النفس صورة البطولة العربية فى أوج عظمتها وقوتها حينما قام باسترداد ملك آبائه وهاجم الرياض فى أربعين رجلا فى مغامرة جريئة فقد وصل إلى حدود الرياض أول الليل فترك من قومه هنالك عشرين رجلا على مسافة ساعتين من الرياض ، وتقدم بالعشرين الآخرين فلما وصل الشمسية ترك عشرة منهم ثم تسلق سور البلد وطرق باب البيت المجاور لقصر عامل بن الرشيد ومنه تساق إلى البيت المجاور للحصن ومضى يعد الخطة للهجوم على قصر عجلان حاكم المدينة .

وانبثق الفجر وانفتح باب القصر .. وأخرج العبيد الخيل فاقتحم عبدالعزيز القصر وتبعه من رجاله خمسة عشرة فقط وكنوا فى داخله وبعد دقائق خرجَ عجلان ليرى الخيل كعادته فصادفوه فى الطريق فراعه منظرهم فهم يريد الرجوع فأدركه عبدالعزيز بطلقة فلم تقتله ، فتصارع الرجلان إلى أن أطلق أحد رجال عبدالعزيز طلقة أودت بحياة عجلان . ثم تبادل رجال عبدالعزيز وحرس القصر النار وسلم الحرس أخيراً . وماكادت الشمس تعلو فى الأفق حتى أذن المؤذن أن الحكم لله ثم لعبدالعزيز عبدالرحمن فشملت البلاد فرحة هزتها من أعماقها فقد عاد إليها آل سعود وظل كتاب التاريخ يذكرون قصة هذه المغامرة على أنها من أروع قصص التاريخ . ومضى عبدالعزيز يكافح ويجالد ويغالب الخصوم حتى استتب له الملك فأمن طريق الحج . وبدأ معركة الاصلاح الضخمة فى داخل مملكته ، فسار فيها شوطاً طويلا ، وعندما اختاره الله إلى جواره حمل اللواء الملك سعود أطال الله عمره فمضى فى الشوط إلى غايته ودفع عجلة العمل الضخم بقوة وإيمان .

رحم الله عبدالعزيز وأمد فى عمر سعود . (١٣٧٣هـ — ١٩٥٣م)

عبدالعزيز جاويش

موقفان يسجلان بطولة عبدالعزيز جاويش ويكتبان اسمه بحروف من نور . موقفه من قضاة دنشواى بكتابة مقالة الذى أثار الدنيا وأهاج رئيس الوزراء فى ذلك الوقت وهو الذى كان قاضى دنشواى وقدم بسببه إلى المحكمة .

ومقاله عن الإنجليز عام ١٩٠٨ حين قال أن الانجليز لا تاريخ لهم يستحق القراءة ولا أفكار لهم تستحق الدراسة ولا فلسفة تستحق البحث . اللهم إلا مذهب دارون وسبنسر والأول لا قيمة للانسان عنده والثانى لا قيمة عنده إلا للأشياء المادية . ولد من أسرة مغربية فى الاسكندرية فى ٣١ أكتوبر ١٨٧٦ ودرس فى الأزهر ودار العلوم وسافر فى بعثة إلى انجلترا وعمل أستاذاً فى جامعة أكسفورد . ورأس تحرير جريدة اللواء فى ٢ مايو ١٩٠٨ بعد وفاة مصطفى كامل وقدم عبدالعزيز جاويش إلى المحاكمة مرتين . وأبعد إلى تركيا عام ١٩١٩ وساهم بقسط ضخم فى جهاد طرابلس ضد الغزو الإيطالى فاشترك فى جميع التبرعات وتهريب الذخائر والقواد . وأقام خلال الحرب العالمية الأولى منفيا فى ألمانيا هو وأسرته حيث قاسى شظف العيش صامداً صابراً ، لا يقبل أى إغراء من الإنجليز للتفاهم .

واشترك فى الحملة التى أعدت ١٩١٥ من الجيش التركى لتخلص مصر من الاحتلال الانجليزى .

وفى أثناء إقامته فى انجلترا اتفق مع أحد أمراء الهنود على إنشاء أسطول إسلامى وفى خلال الفترة من ١٩١٥ — ١٩١٨ زار ألمانيا وتركيا والشام ثم عاد إلى مصر عام ١٩٢٣ .

وله مؤلفان غاية فى القوة ، وقد كان رأس مدرسة فكرية ضخمة وقد سجل له طه حسين فضله عليه حين وجهه للسفر إلى أوربا وقد عاش حياته كلها للكفاح والجهاد . وتوفى عام (١٩٢٩) .

عبدالقادر الجزائرى

لا يذكر المغرب العربى فى جهاده إلا وتتردد على الخاطر صورة مجاهد عظيم من مجاهديه كافح طويلا هو «عبدالقادر الجزائرى» الذى وقف فى وجه العدوان الفرنسى على الجزائر مجاهداً قوى البأس وفارساً ماهراً أمضى خمسة عشر عاما فى الحرب والكفاح لا يلين حتى نفدت أقواته فسلم مضطراً.

وكان عبدالقادر قد شغف بالعلم والتصوف منذ شبابه . وكانت له مكتبة حافلة بالآثار العلمية والدينية فلما استولى الفرنسيون على الجزائر عام ١٨٣٠ أعلن الحرب عليهم وقاد القبائل لمقاومة العدو وإخراجه من البلاد وانتصر فى عدة مواقع ..

ثم اتجه إلى الإصلاح الداخلى وإعداد العدة للحرب فانشأ معامل الأسلحة وصب المدافع وصنع البارود . ثم عاود الكرة عليهم عام ١٨٣٥ فحاصرته الجيوش الفرنسية وظل يقاومها ويوقع بها بجوار جبال الاطلس . وامتدت الحرب إلى عام ١٨٤٦ وانحازت بعض القبائل إلى جهة مراكش حيث أغرت فرنسا سلطانها — إذا ذاك — بتأييدها ضد عبدالقادر فجاءته الجيوش من الأماكن المختلفة وهنا حاقت به الهزيمة فحمل إلى فرنسا ثم نقل إلى سوريا عام ١٧٥٦ حيث أمضى فى دمشق بقية أيام حياته . ولكنه — وهو سماح الخلق الشهم المجيد — وقف موقفاً كريماً فى فتنة عام ١٨٦٠ وبذل قصارى جهده بواسطة المغاربة المقيمين فى دمشق — وهم جالية ضخمة — فى انقاذ ما يستطيعون من المارون فكان الناس يفرون إليه من تلقاء أنفسهم ويقيمون فى بيته وأقام ينفق على الملتجئين إليه ويقدم لهم ما يحتاجون اليه . وحاول الأكراد الهجوم على داره فدافعهم فى قوة وظل الأمير عبد القادر خلال سبعة أيام متوالية نصيراً للمظلومين وكان يقضى أكثر الليل ساهراً والبندقية فى يده حرصاً على حماية من هم فى حماه وكانوا حوالى عشرة آلاف من المسيحيين .

وقد عكف عبدالقادر فى منفاه على المطالعة والصلاة والتدريس وأقام كريماً مؤمناً بوطنه يرنو إلى تحريره من بعيد حتى وافته منيته وقضى إلى رحمة الله .

عبدالقادر الحسينى

الشهيد العربى الذى قدمه إيمانه إلى العمل من أجل فلسطين والعروبة وختم حياته بالموت فى سبيلها ، وهو نفس الشاب العربى الذى تعلم فى الجامعة الأمريكية فى القاهرة فما كاد يحل يوم تسليم الشهادات حتى أعلن فى جموع الاحتفال أن هذه الجامعة تحارب الدين والعروبة وتحاول أن تجعل من طلبتها خداماً للاستعمار ؛ هكذا استهل عبدالقادر الحسينى حياته بمعركة فى سبيل الوطن .

ثم مضى يخوض المعارك ، وليس هذا غريباً ، فقد كان والده موسى كاظم الحسينى أول من قاد معركة الجهاد فى فلسطين ضد اليهود - وعندما عمل مساعداً لأمور الأراضى حيث اكتشف أن مهمة هذه الإدارة هى سلب أراضى أبناء فلسطين لبيعها لليهود استقال منها وانضم للحركة الوطنية وقد اشترك فى الثورة الفلسطينية عام ١٩٣٦ وعمل مع سعيد بن العاص فى منطقة الجليل والقدس حيث انتصر فى كل المعارك التى خاضها ومنها معركة القبو وقد أسره البريطانيون ولكنه استطاع أن يفر ، فسافر إلى بغداد وسوريا وظل يعمل على تدريب المجاهدين حتى سنة ١٩٣٨ عند ما عاد إلى فلسطين وهاجم مستعمرات اليهود . ثم عمل مدرساً بالكلية الحربية بالعراق ، وعند ما اندلعت ثورة رشيد الكيلانى فى العراق عام ١٩٤١ ساهم فيها واعتقل عامين ، ثم طاف بالسعودية وجاء القاهرة حيث ألف جيش الجهاد المقدس ونظم الكتائب السرية فكان أول من دخل فلسطين عام ١٩٤٧ بعد صدور قرار التقسيم ، وفى أول ابريل ١٩٤٨ كانت معركة القسطل (تبعد ٦ كيلوات من القدس) عندما حاول أن يحتل هذا التل ليتحكم فى هذا الطريق الحيوى ، وكان قد علم أن اليهود استولوا على القسطل فطالب ببعض السلاح فلما عجز عن الحصول عليه ، عاد إلى القدس وجمع نفراً من الجنود المخلصين وتوجه بهم إلى القسطل وليس فى أيديهم غير القنابل اليدوية والبنادق الخفيفة واستطاع أن ينتصر ولكنه استشهد - ولد بالقدس ١٩٠٧ وتوفى ١٩٤٨ .

(٨ ابريل ١٩٤٨)

عبدالقادر المغربى

« عند ما اتصلت بالسيد الأفغانى وأنعمت النظر فى دراسة تعاليمه انتقلت فى حياتى الفكرية طوراً جديداً . وهو أن نفهم النص الدينى فهما صحيحاً . مراعى فيه قوانين اللغة ، ونستوثق من مطابقة النص للكتاب والسنة ثم نجزأنا على النص يحيح بما فهمنا من النص سواء أوافق رأى غيرنا أم لا » .

هذا هو اتجاه عبدالقادر المغربى العالم الأديب الشامى الذى ولد فى اللاذقية عام ١٨٦٧ محافظا أشد المحافظة ، ثم اتصل بالسيد حسين الجسر عالم الشام العظيم قبل نهاية القرن التاسع عشر وكان ذا نزعة إصلاحية فكان من ألمع تلاميذه وكان زميله ووصيفه رشيد رضا ثم تأثر المغربى بجريدة العروة الوثقى وما جاء فيها من مبادىء وتعاليم . ولكنه لم يلبث أن اتصل بالشيخ الأفغانى نفسه حيث سافر عام ١٨٩٢ إلى القسطنطينية وظل فى جواره سنة كاملة أفاد منها فوائد جليلة وعاد إلى طرابلس عاكفاً على دراسة آثار الشيخ محمد عبده ومضى يدعو إلى الإصلاح الدينى والإجتماعى والسياسى ثم قدم القاهرة وانضم إلى ركب محمد عبده زمنا ثم انصرف إلى الصحافة فكتب فى المنار والظاهر والمؤيد مقالات كان لها دوى وأثر وقد أعلن المغربى هجومه على السلطان عبدالحميد وعهده وقال فيه شعراً جريئاً حاراً وقدكان من أثر هذا اعتقاله عام ١٩٠٤ وقد استطاع بعدذلك أن يفلت من أيدى معتقليه مهاجراً إلى القاهرة وظل يحرر بالمؤيد إلى أن أعلن الدستور العثمانى عام ١٩٠٨ حيث عاد إلى سورية وأنشأ فى طرابلس جريدة البرهان مضى فيها على طريقته ودعا إلى دعوته وقد أوقفها فى أوائل الحرب العالمية الأولى ثم اشترك فى إنشاء الكلية الصلاحية فى القدس ثم حرر جريدة الشرق عام ١٩١٦ فى دمشق ثم ترك الصحافة أواخر عام ١٩١٨ وعكف على الدراسات الإسلامية وتفسير القرآن ثم رأس المجمع العلمى العربى بدمشق واشترك فى مجمع اللغة العربية بالقاهرة واختير عضواً فى المجمع العلمى العراقى ببغداد فأمد المجامع الثلاثة بأعماله . وقد عرف بطول باعه فى علوم اللغة العربية وأسرارها . عاش تسعة وثمانين عاما وتوفى ٧ يونيه ١٩٥٦ .

عبدالله بن الزبير

أول مولود مسلم بعد الهجرة . شب فى حجر النبوة أبوه الصحابى الذى شهد المعارك كلها وأمه ذات النطاقين . أرسله عثمان فى جماعة لموافاته بأخبارهم ، ولما وصل إلى أفريقية لم ترقه خطة ابن أبى سرح فى قتال الأعداء . وتولى خطة الحرب فانتهى بهزيمة خصومه وقتل ملكهم جرجير . وقد عرف معاوية لعبدالله ابن الزبير ، شدة بأسه فى القتال فلما جهز جيشا لفتح القسطنطينية عام ٤٨هـ كان عبدالله فى طليعة المشتركين من الصحابة إلى جوار عبدالله بن عباس وعبدالله ابن عمر وأبى أيوب الأنصارى . وقد عارض سياسة عبد الملك بن مروان ، وكان يطمع فى أن يعيد إلى الحجاز مجدها ويجعلها مركز الخلافة ، وقد أعلن دعوته بالخلافة بعد موت الحسين فى كربلاء ٦١هـ وانتشرت دعوته فى العراق ومصر ، فسير إليه الحجاج بن يوسف الثقفى قوة حاصرت مكة وضربتها بالمنجنيق وضاق بأمر أنصاره الذين تفرقوا عنه فذهب إلى أمه يشكوا إليها فقالت له يابنى إن كنت على حق فامض لما تؤمن به ، قال أخاف أن قتلونى أ .

قالت : إن الشاة لا تخاف سلخها بعد ذبحها .

كان تقيا ورعا ، صواما ، طويل الصلاة ، عظيم الشجاعة ، وبلغ من شجاعته أنه بعد أن تفرق عنه أنصاره حمل على أعدائه وكان يضرب بسيفين .

وهو الذى قال لمعاوية ، عندما ذهب إلى المدينة ليأخذ البيعة عنوة وقسراً لابنه يزيد : نخيرك بين ثلاث خصال : تصنع كما صنع رسول الله (يريد أن يدع المسلمين ليختارو خليفتهم) أو كما صنع أبو بكر (يوصى بخليفه) أو كما صنع عمر (أن يضع الاختيار بين بضعه نفر) . قتل ٦٩٣م .

عبدالله بن عباس

أبيض مفرط فى الطول . مشرب بصفرة . جسيم وسيم . صبيح الوجه ، يخضب بالحناء . روى عن مسروق أنه قال : إذا رأيت ابن عباس قلت أجمل الناس . فاذا نطق قلت افصح الناس . فاذا تحدث قلت أعلم الناس . كان متواضعا فى غير ضعف . كريما فى غير سرف . قيل شتمه رجل فقال : أنك لتشتمنى وفى ثلاث : انى لا سمع بالحاكم من حكام المسلمين يعدل فى حكمه فاحبه ، ولعلى لا أقاضى إليه أبدا . وانى لاسمع بالغيث يصيب البلاد من بلدان المسلمين فافرح به ، ومالى بها سائمة ولا راعية . وانى لآتى على آية من كتاب الله فوددت أن المسلمين كلهم يعلمون فيها مثل ما أعلم . وقيل : نعم ترجمان القرآن ، ابن عباس ، وقد أوتى من سرعة الخاطر ودقه الفهم ما جعله المصدر وقال : إنه كان ليبلغنى الحديث عن رجل فآتى بابه وهو قائل (أى فى القيلولة) فاتوسد ردائى على بابه ، يسفى الريح على من التراب فيخرج فيرانى فيقول يا ابن عم رسول الله ما جاء بك . هل ارسلت إلى فآتيك . فاقول لا : أنا أحق أن آتيك فاسألك عن الحديث . وقد بلغ من عمق فهمه للسياسة أنه عارض الحسين فى الخروج ، ونصحه بعدم السفر وقال أنه لا يستبعد أن يكذبوك أو يخذلوك . وكان قد أبعد نفسه عن معارك السياسة ، واكتفى بالعلم والفقه وكان معاوية يقدره رغم اختلافه فى الرأى وقد أشركه فى الجيش الذى أعده لفتح القسطنطينية عام ٤٨ . وقد كان محبا لعثمان وكان عثمان يثق به . وقد اشترك فى فتح مصر وأبلى بلاء حسنا وكان حريصا على أن يعفر وجهه بتراب الغزو فى سبيل الله كما أرسله عثمان فى فتح بلاد طبرستان بقيادة سعيد بن العاص . وقد ولاه على البصرة فانتقل إليها بعلمه . وكان على ميسرة جند على فى صفين قال عنه عمر : إنه فتى الكهول له لسان سئول وقلب عقول . وقال على : انه لينظر إلى الغيب من ستر رقيق لعقله وفطنته . توفى ٦٨ هـ

عبدالله نديم

فى مثل هذا اليوم من عام ١٨٩٦ مات عبدالله نديم بعد حياة « عريضة » كانت صفحة من جهاد مصر فى سبيل الحرية ومقاومة الظلم . كانا لسانا ذلقا وقلما بليغاء استطاع أن يجمع بين الخطابة والكتابة فى فترة من أدق فترات الكفاح الوطنى فكان خطيب الثورة العرابية الذى أجج النار فى صدور الأحرار. فلما هزمت الخيانة كلمة الحق ومضت يد الاستعمار الباغيه تطبق على أعناق أنصار عرابى اختفى نديم فى زى وزى قماش سنوات من عمره شريداً لا يقر ينتقل من مكان إلى مكان حيث يترصد الظلم وهو يفر منه ناجيا بحياته . وفى خلال هذه الفترة كان يقاسى أنواناً من الضيق والمسغبة والحرمان .

ثم يتاح له بعد ذلك أن يظهر فاذا به يعود إلى جلاد المستبد أو صراع المستعمر ويحس الخصم بأن صوته قد علا . فيطلب إليه النزوح فيذهب إلى الإستانة حيث يلاقى صراعا من نوع آخر . ويتصل بجمال الدين الأفغانى . وكان ذلك بعد أن أصدر مجلته « الأستاذ » وقاوم حملات الإنجليز على اللغة العربية والإسلام .

صحب البارودى فى مصر والأفغانى فى تركيا . وقد لازم عرابى فى كفر الدوار والتل الكبير .

فلما اختنقت الثورة لم يتنكر لها . وقد وصف بأنه شهى الحديث حلو الفكاهة وان كان على قدر من الحماسة الوجدانية وأتاحت له خبرته ومعرفته بالناس حصيلة ضخمة من التجربة . وأبتدع أسلوباً من الكتابة جديداً يمزج فيه الجد بالهزل ويحمل روح الجرأة والدفاع عن الحق . وكانت مجلاته التبكيت والتنكيت والأستاذ من منارات الحرية . وقد أصدر فى قلب المعسكر مجلة الطائف . وكان يتحدث فى هذا العهد المبكر عن الحكومة النيابيه وانشاء بنك مصرى . تحيه له فى ذكراه .

١١ أكتوبر ١٨٩٦

عبدالله فكرى

أحد رجال الرعيل الأول للنهضة الفكرية المصرية : رفاعة الطهطاوى وعلى مبارك فقد عمل مع على مبارك واشترك فى إنشاء دار الكتب وعمل ناظراً للمعارف بعده ، أسندت إليه رئاسة الوفد العلمى المصرى الأول إلى مؤتمر المستشرقين بأستوكهلم ١٨٨٨ وقدم به همزية حسان بن ثابت المشهورة بعد أن حققها وشرحها .

وهو من طليعة كتاب الإنشاء فى أوائل القرن التاسع عشر ، وله شعر معروف وكان عمله الأساسى هو الترجمة فقد كان يجيد العربية والفارسية ، كما اشتغل بالتدريس ، وهو أول من دعا إلى إنشاء المجمع اللغوى ليضم (علماء اللغة وجهابذ الفنون) لمراجعة ما ينشر من مؤلفات ، واستطاع أن يدخل تحسينات على الكتابة الديوانية . فقد حررها من سلطان التعبيرات التركية كما نقح القوانين واللوائح التركية وخلص شعره ونثره من السجع والبديع والزخرف .

أتاحت له رحلته إلى استوكهلم أن يزور السويد والنمسا وفينا وميلانو والدنمرك وسويسرا ولندن وهولنده وليدن حيث طاف بدور الكتب والمطابع، وكون رأياً بشأن الثقافة الغربية وما نحتاج منها ، ومن رأيه أنه لا يحسن تقليد الأوربيين فى غير الفضائل وأن كل كمال حقيقى يرجع إلى أصل دينى ، ولا يجد مزية لتغيير العوائد بما ليس تحته طائل وما لا يتفق مع مصالحنا الحقيقية . وقد دعا إلى تطبيق حركة الأرض وبعض المسائل الفلكية على ما جاء فى الكتاب والسنة.

[ولد بمكة ١٨٤٣ : كان والده محمد بليغ مهندساً بالحملة المصرية التى أوفدت إلى هناك ، التحق بالأزهر وتلقى على الشيخان السقا وعليش حيث قرأ الفقه والحديث والتفسير والعقائد والمنطق وعمل بالديوان الحكومى مترجماً كما عمل وكيلا لوزارة المعارف فناظراً لها عام ١٨٨٢ فى وزارة محمود سامى البارودى فلما قامت الثورة العربية وسجن مع كثير من العلماء والأمراء نظم قصيدة استعطاف للخديوى فأفرج عنه — له (ك) المقامات الفكرية فى المملكة الباطنية(توفى ١٨٨٩)

أبو عبدالله

عندما انهزم «أبو عبدالله» آخر ملوك غرناطة أمام ملك أسبانيا «فرديناند» وسقطت عاصمة ملكه فى قبضة الأسبانيين عام ١٤٩١ أضطر إلى الخروج منها مع أسرته فلما بارحها وقف فوق جبل يشرف على المدينة وألقى عليها نظرة أخيرة وتساقطت الدموع من عينيه . وكانت أمه «عائشة» بجانبه فقالت له : أبك كما تبكى النساء ملكا لم تحسن الدفاع عنه كرجل وكملك ! وكان «أبو عبدالله محمد» هو آخر ملوك غرناطة وملوك الإسلام بالأندلس . وقد انتهى هذا الملك الضخم نتيجة للصراع والخلاف بين الملوك والحكام واستعانة بعضهم على البعض الآخر بالفرنجة الذين هم خصومهم مما جرأ فرديناند على الضغط والتسلط على هؤلاء الحكام بما انتهى إلى سحق كل قوة معارضة له . تولى عرش غرناطة فى ابريل ١٤٨٥ بعد أن قضى فى أسر ملك قشتالة ثلاثة أعوام وكان الصراع بينه وبين عمه (محمد بن سعد الزغل) ولم يبق فى يدهما إلا عدد قليل من المدن المتناثرة . ثم لم يلبث فرديناند أن هاجم «مالقة» أمنع ثغور الأندلس فسقطت بعد دفاع مجيد فى أغسطس ١٤٨٧ ثم استولى على ما بقى تحت سيطرة الزغل الذى جاز البحر إلى المغرب واستقر فى تلمسان . وكانت هذه الهزائم دافعة لعدد كبير من العرب أن يهجروا الأندلس فارين إلى المغرب هربا من سلطان الفرنجة . وقد مضى فرديناند فى خطته فأرسل إلى أبى عبدالله يطلب إليه تسليم «الحمراء» وهو بلاط الملك فى غرناطة على أن يبقى الملك العربى فى طاعته وتحت حمايته ولكنه رفض وجمع قادته وأعوانه الذين عاهدوه على الجهاد حتى الموت . وقد استطاع فى أول الأمر أن يسترد الحصون . ولكن فرديناند رأى أن يضرب ضربته الأخيرة فاندفع فى جيش ضخم فحاصر غرناطة (مارس فخرج ١٤٩١) إلى المغرب حيث مات عام ١٥٣٤م .

أبو عبدالله البتاني

« إن من أشرف العلوم منزلة علم النجوم لما فى ذلك من جسيم الحظ وعظيم الانتفاع بمعرفة مدة السنين والشهور والمواقيت وفصول الزمان وزيادة النهار والليل ونقصانهما ، ومواضع النيرين وكسوفهما وسير الكواكب فى استقامتها ورجوعها وتبدل أشكالها ومراتب أفلاكها وسائر مناسباتها ذلك رأى الحاسب المنجم « أبو عبدالله البتانى » من نواحى حران (٢٤٠ — ٣١٧) أطلق عليه الإفرنج (الباتاغاليوس) اشتهر برصد الكواكب وله باع طويلة فى علم الهندسة وهيئة الأفلاك وحساب النجوم ، قيل لا يعلم أحد من علماء العرب بلغ مبلغه فى تصحيح أرصاد الكواكب وامتحان حركاتها فى عصره وما تلاها من عصور. أبتدأ الرصد عام ٢٦٤ واستمر إلى عام ٣٠٦هـ فى الرقة على الفرات وأنطاكيا بسورية . واشتهرت أرصاده بدقتها ، وكان من المعجبين ببطليموس وعكف على دراسة تآليفه حتى تضلع فى علم الهيئة . ولقب (بطليموس العرب) وقد بين (البتانى) حركة نقطة الذنب للارض وأصلح قيمة الاعتدالين الصيفى والشتوى . وقيمة ميل فلك البروج على فلك معدل النهار ، وكان حسابه فى ذلك دقيقاً جداً . وهو أول من عمل الجداول الرياضية لنظرية (المماس) وله عدة أعمال أهمها (زيجه) المعروف باسم زيج الصابى وكتاب معرفة طوالع البروج فيما بين أرباع الفلك . وله رسائل فى الاتصالات وشرح مقالات بطليموس وكتاب تعديل الكواكب ويحتوى كتابه (زيج الصابى) على جداول تتعلق بحركات الاجرام التى هى من اكتشافاته الخاصة وقد أحصى الكواكب الثابتة لسنة ٢٩٩هـ . ومن قوله أنه لما أطلع على اختلاف الكتب الموضوعة لحركات النجوم أجرى تصحيح ذلك على مذهب بطليموس ومن آثاره إخراج حركات الكواكب من الجداول لوقت انتصاف النهار من اليوم الذى تحسب فيه . توفى ٣١٧هـ ٩٢٩م . « الأزياج صناعة حسابية على قوانين عددية فيما يختص كل كوكب عن طريق حركته » .

أبو عبيدة

عندما قدم وفد نجران على النبى قالوا يا محمد إبعث لنا من يأخذ لك الحق ويعطيناه فقال : والذى بعثنى بالحق لأرسلن معكم القوى الأمين . ورددها ثلاثا ثم قال قم يا أبا عبيدة : إن لكل أمة أمين . وأمين هذه الأمة أبو عبيدة .

وتاريخ أبو عبيدة فى الإسلام يعطى صورة رائعة لهذا الرجل الذى كان موضع ثقة رسول الله وتقديره فقد كان من صفوة المهاجرين إلى الحبشة والذين اشتركوا فى بدر وأحد وحمل راية الرسول يوم فتح مكة وثالث ثلاثة يوم السقيفة .

وهو الذى قتل أبيه يوم بدر حيث كان فى صفوف المشركين إذ تصدى عبد الله الجراح لابنه أبو عبيدة فأعرض عنه أبو عبيدة . فتصدى له بعد ذلك مرات واندفع فى الرابعة يضربه بالسيف فقتل أبو عبيدة أباه وكان هذا من أروع صور الايمان بالدين الجديد . وفى أحد قاتل حول النبى . ونزع المغفر عن وجنة الرسول وسقطت ثنية أبى عبيدة ، ويوم السقيفة قدمه عمر بن الخطاب وقال له امدد يدك أبا عبيدة ابايعك بخلافة رسول الله .

ولما فتح حمص أخذ أهلها بالرأفة والرحمة فلما جلا عنها أعاد لأهلها الجزية ولما تولى الخلافة عمر نزع خالد من القيادة وولى أبو عبيدة الذى تلقى الأمر فكتمه حتى تنتهى المعركة الدائرة . كتمه عشرون ليلة حتى علم به من غيره .

وأقام فى الشام يؤسس الحياة ويبنى المجتمع ويضع روحه القوية فى الإنشاء وهو على طابعه النفسى فى الزهد والتقشف والترفع عن الدنايا . وظل بين جنده الذى يحبه حتى بدأ طاعون عمواس يتفشى فى الجند . وعلم عمر بالامر فاراد أن يحتال له ليرده فكتب له خطابا يستدعيه وفهم أبو عبيدة غرضه وقال يرحم الله عمر يريد أن يستبقى ما ليس بباق وجاء عمر يزوره ويطلب إليه أن يعود فروى له حديث الوباء وأنه إذا كان فى أرض فلا يدخلها من كان خارجها ولا يخرج منها من كان فيها وعاد عمر وهو يبكى وودعا إياه فلما جاءه الموت قال لمن حوله أن قولوا لعمر أنه لم يبق من أماناتى شىء إلا وقد قمت به وأديته إليه ولم يكن فى بيته إلا سيفه وترسه .

توفى ١٨هـ ٦٣٩م

عبد اللطيف البغدادى

« أوصيك ألا تأخذ العلوم من الكتب . وإن وثقت بنفسك من قوة الفهم . وينبغى أن تكثر اتهامك لنفسك . ولا تحسن الظن بها . وأن تعرض خواطرك على العلماء . وعلى تصانيفهم ، وتتثبت ، ولا تتعجل فمع العجلة العثار . ومع الاستبداد الزلل . ومن لم يعرق جبينه إلى أبواب العلماء ، لم يعرق فى الفضيلة . ومن لم يحتمل ألم التعلم لم يذق لذة العلم . وإذا تمكن الرجل من العلم ، وشهر به خطب من كل وجهة وعرضت عليه المناصب . وجاءته الدنيا صاغرة وأخذها وماء وجهه موفور وعرضه مصون ، هذه عصارة من تجارب عبد اللطيف البغدادى الرحالة الجوال الذى طاف بالعالم العربى وزار مصر وأمضى بها زمنا ثم رحل إلى بيت المقدس حيث قابل صلاح الدين . ودرس فى الأزهر حينا . ثم سافر إلى دمشق ، حيث درس هناك علوم الطب وبرز فيها وقال إنها صناعة تحتاج إلى علم وفن .

وقد قرأ البغدادى كتب ابن سينا فى الطب ودرس قانونه المشهور ، وتركت رحلته إلى مصر أثراً كبيراً فى نفسه ، حتى أنه ظل يذكرها فى دروسه وتصانيفه ورسائله زمنا طويلا فقد تحدث عن النيل والأهرام واسماها معجزة الدهر . وقال عن قراقوش أنه رجل عظيم خلد أعمالا باهرة فى مصر وبنى من حجارة الأهرام نحو أربعين قنطرة كانت من العجائب . ووصف عامود السوارى . وزار جامعة الاسكندرية التى بناها الاسكندر .

وقد وصف صلاح الدين فقال إنه بطل يملأ العين روعة والقلب محبة . وقد ولد البغدادى فى بغداد وأقام فى مصر وتعاطى التطبيب فى حلب وقام برحلة إلى كاخ وديرك فى منغوليا ومن مؤلفاته الإفادة بأرض مصر وشرح فصول إبقراط وعاش بين عامى ١١٦٢ — ١٢٣١م .

عبدالمحسن الكاظمى

قالوا : رأيناه يحضر الحفل العام أو المجلس الخاص وتعارق مناسبة يدعى لأن ينشد فيها شعراً فما هو إلا أن يطرق اطراقه تسكن أطرافه فيها لحظة ثم يأخذ فى الانشاد فلا تلمح أثر الارتجال فى تلك القصائد الطوال المجودة ولا تلمح أثراً للتكلف والجهد فى ذلك الشاعر العربى الذى يفيض شعره عن بديهة وارتجال وكأنه الهام ، ذلك هو الشاعر العربى العراقى عبدالمحسن الكاظمى ، من طلائع شعراء الحرية ودعاتها فى أرض العرب، والذى هاجر من وطنه فى سبيل الحرية فعاش فى مصر بقية حياته غريبا فقيراً عزوفا عن الكسب بالشعر أو الهوان بالعطاء . اتصل بالسيد جمال الدين الافغانى عندما نفى من ايران فأقام معه قليلا فكان لهذا الاتصال أثره فى أن جعل من الشاب الوديع ربيب النعمة بطلا من أبطال الحرية يتغنى بأناشيدها ويرفع لواءها . ولقد نال الكاظمى ما نال دعاة الحرية من كيد وحاق به الخطر من كل جانب فهاجر من وطنه عام ١٨٩٧ إلى إيران فالهند وانتهى به المطاف إلى مصر ١٧٩٩ فبقى بها حتى توفى . أول ما ألف قصيدة غزلية عدد أبياتها ٥٥ بيتاً ، أيها الرامى وما أجرى دماء، وعندما قدم مصر كان يتجه إلى أوربا ولكنه بقى بها وأقام وقد لقى الحفاوة والتقدير من أهل الفكر والادب وكان أول ما نظم فى مصر مصوراً حيرته ومشاعره :

إلى كم تحيل الطرف والدار بلقع　　أما شغلت عينيك بالجزع أدمع
أأنت معيرى عبرة كلما ونت　　يحفزها برح الغرام فتسرع

وقد وصف شعر الكاظمى بأنه من الطراز الأول فى روعة أسلوبه وفى سلطانه على القلوب ، وقد أحب مصر ولم ينس العراق : ولد عبدالمحسن الكاظمى عام ١٢٨٩ ببغداد فى محلة الدهانة وينتهى نسبه من جهة الأم إلى الإمام موسى الكاظمى جد الشريف الرضى ، درس الفارسية فى أول شبابه توفى يونية ١٩٣٥ .

عبدالملك بن مروان

قال الاصمعى : أربعة لم يخلفوا فى جد ولا هزل . الشعبى وعبدالملك ابن مروان والحجاج بن يوسف وابن القريه . ومن كلام عبدالملك أنه سئل من أفضل الناس . قال من تواضع لله رفعه . وزهد عن قدرة . وانصف عن قوة وقيل معاوية أحلم وعبدالملك أحزم . وقال عند وفاته : والله لو ددت أنى كنت منذ ولدت إلى يومى هذا حمالا . كونوا بنى أم بررة . كونوا فى الحرب رجالا وللمعروف مناراً وإن المعروف يبقى جوده وذكره، تولى الخلافة وهو فى التاسعة والعشرين من عمره وعرف بالقدرة على تصريف الامور بالحزم من غير عنف . جمع كلمة المسلمين ودفع العصبية عن تمزيق وحدتها . ومن هذا قوله « لست بالخليفة المستضعف . ولا بالخليفة الواهن ألا وإن من كان قبلى من الخلفاء كانوا يأكلون ويطعمون من هذه الأموال . ألا وأنى لا اداوى أدواء هذه الامة إلا بالسيف حيث تستقيم لى قناتكم . تكلفوننا أعمال المهاجرين ولا تعملون مثل أعمالهم . ألا وإنا نحتمل لكم كل شىء وثوبا على أمير أو نصب رآية، وقد رد الامة إلى وحدتها وقوتها . وفى عهده فتحت هرقلة وغزا أرمينية وصنهاجة بالمغرب . وانتشر الإسلام فى ربوع الغرب وما وراء النهر . ووصف بأنه المؤسس الثانى للدولة الاموية وفى عهده استقامت الامور وهدأت الاحوال وضرب الدينار الإسلامى لأول مرة فضبط الخراج والجزية ودعم المعاملات التجارية . وعرب الدواوين بعد أن كانت بالفارسية فى العراق واليونانية فى مصر والشام وهو أول من كسا الكعبة بالديباج . وعرف بالنسك والزهد قبل ولايته الخلافة . يكثر من الصلاة والخشوع . وقيل ما أحسن منه محدثا ولا أعلم منه مستمعا قال الشعبى : ما جالست أحداً إلا وجدت لى عليه الفضل إلا عبدالملك بن مروان فإنى ما ذكرته حديثا إلا زادنى فيه ولا شعراً إلا زادنى منه . توفى عام ٨٦هـ

عثمان

« .. استعينوا على الناس وكل ما ينوبكم بالصبر والصلاة . وأمر الله أقيموه ولا تداهنوا فيه ، وإياكم والعجلة فيما سوى ذلك . وارضوا من الشر بأيسره . فإن قليل الشر كثير ، وأعلموا أن الذى ألف بين القلوب هو الذى يفرقها ويباعد بعضها عن بعض . سيروا سيرة قوم يريدون الله لئلا تكون على الله حجة »

من أصحاب رسول الله الأول : الخليفة الراشد الفقيه الذى عرف أحكام الدين ، وروى عن النبي مائة وخمسين حديثا ، وأعلم الصحابة بالمناسك . وهو سفير الإسلام الأول للوفاق بين المسلمين وأهل مكة . والكاتب الذى يجيد الكتابة ، أعتمد عليه النبي فى تدوين الوحى ، وكتب للصديق الوثائق الهامة ومنها وثيقة مبايعة عمر عندما أغمى على أبى بكر وهو يمليها فأسرع عثمان فكتب أسم عمر بن الخطاب حتى لا يختلف الصحابة وكان قد خشى أن يكون أبو بكر قد توفى فلما أفاق أبو بكر شكر له هذا الصنع . قال عبد الرحمن بن حاطب : ما رأيت أحداً من أصحاب رسول الله إذا حدث كان أحسن حديثا من عثمان أبن عفان إلا أنه كان يهاب الحديث . وقد ساح فى الأرض ورحل إلى الشام وهاجر إلى الحبشة وعاشر غير العرب ، وكان على إلمام بالبادية ولى الخلافة بعد عمر ، فلما بويع وصعد المنبر ارتج عليه وقال : أنتم إلى إمام فعال أحوج منكم إلى أمام قوال . وفى عهده فتح المغرب . وأذن لمعاوية فى غزو البحر . وسير جيشا إلى قبرص ، وجمع الناس على مصحف واحد ، ثم لم تلبث أن وقعت الفتنه بينه وبين أهل الكوفة وأهل البصرة الذين خرجوا ناقمين حتى منعوه من الصلاة وحاصروه فى بيته ، وتطورت الثورة حتى هوجم وقتل . وكان حين قتل صائما يتلو القرآن فى مصحفه . وقد امتدت خلافته أثنى عشرة سنة إلا اثنى عشر يوما وعمره ثمانون عاما ودفن ليلا . وكان ذلك عام ٣٥ هجرية .

عثمان دجنه

من أبطال السودان : قضوا على تجارته فى مستهل حياته ، كان يقود زورقا فيه من الرقيق مائة سودانى وسودانية : ثم زجوا به فى السجن وحكم عليه بغرامة فادحة . وفى عام ١٨٨١ أخذ يضرم نار الفتنة فى (سواكن) الثغر المصرى فلما لم ينجح قصد إلى بربر والأبيض والتحق بالمهدى .

ثم أصبح بطلا من أبطال حرب المهدى فى شرق السودان بين ١٨٨٣ ، ١٨٩٨ ولم يلبث أن أصبحت له الكلمة النافذة فى شرق السودان سنين عدة ، وكانت المدينة تسقط بعد المدينة فى يده ، ثم سقطت الخرطوم فى قبضة المهدى عام ١٨٨٥ وقتل غردون وامتدت سلطة الدراويش إلى جميع نواحى السودان .

فلما انهزم الدراويش فى معركة ١٨٩٩ فر عثمان دجنة هاربا إلى الجبال وقد استولى عليه اليأس . وعاد إلى شرق السودان يحاول الهرب إلى الحجاز إلى أن قبض عليه بالقرب من سواكن فى داخل إحدى المغارات فى ٤ يناير ١٩٠٠ .

وسيق عثمان دجنة إلى سواكن حيث رحل على ظهر سفينة فى البحر الأحمر إلى السويس ثم نقل إلى سجن طره .

وفى عام ١٩٠٨ أرسل إلى وادى حلفا حيث أودع فى بيت صغير تحت الحراسة بعد أن قضى خمسة عشر عاما فى النضال وخوض المعارك .

وقد عاش فى معقله يرعى الغنم . وقد عرف عثمان دجنه بالشخصية القوية الجبارة . قيل أن اللورد كتشنر دخل عليه ذات يوم ، وهو فى عنفوانه ، حتى يلتمس منه إطلاق سراحة ولكن عثمان دجنه أهمل زائره الكبير وتجاهله .

وفى عام ١٩٢٤ أطلقت الحكومة البريطانية سراحة وردت عليه حريته .

وفى ٤ ديسمبر ١٩٢٦ توفى بعد أن أمضى حياة عريضة .

عـــرابى

يعد عرابى فى نظر التاريخ المصرى الحديث أول من ضرب معولا فى صخرة الظلم . ولكن الردة التى أصابت الحركة الوطنية بعد ذلك أخرت تحطيم هذا الصنم أكثر من سبعين عاما .

والحق أنه ليس فى تاريخ مصر شخصية احتملت من عنت تزييف التاريخ فى خلال خمسين عاما الماضية ما احتمله عرابى. فقد رمى بالخيانة والجهل والغرور.

ومنذ عهد مبكر فى تاريخه كان يتلفت إلى الوطن وينظر إليه. ويرجو أن تتاح له الفرصة لخدمته فلما جاء يوم ٩ سبتمبر ١٨٨١ كان يوماً حاسماً فى تاريخ مصر كلها فهو اليوم الأول الذى يقف فيه أول مصرى ليرفع رأسه وليواجه الخديوى فى جرأة ويرد عليه ويعارضه وليسجل له التاريخ له هذه العبارة الخالدة « لقد خلقنا الله أحراراً ولم يخلقنا تراثاً ولا عقاراً فوالله الذى لا إله إلا هو إننا سوف لا نورث بعد اليوم .

وكان هذا إيذانا بخطة واسعة فى المقاومة لهذا العرش الذى سنده الاستعمار فتألب مع بعض المأجورين على ثورة عرابى الخالصة لمصر الحرة . وعرابى من الشخصيات الجذابة . ذات الطابع الذى يؤثر فى الجماهير . وله إشعاع تؤيده مقدرة خطابية . وعاطفة أصيلة . فقد كان يسحر ألباب الناس حين يتكلم ويستشهد بآى القرآن ، وقد أكسبته الأحداث تجربة وخبرة صادقتين .

وعندما وقف فى وجه الانجليز والخديو كانت الأمة كلها من ورائه ولو لاخيانة أذناب الخديو ونقص بعض الخطط لانتصر عرابى وقد أمضى فى منفاه سبعة عشر عاماً ، فلما عاد قاسى أياما أشد من النفى فقد انصرف عنه الناس وكانوا يتحامون لقاءه ويتحاشون مقابلته حتى لا يسخطوا « ولى النعم » .

توفى فى ٢١ سبتمبر ١٩١١ .

عروة بن الزبير

قائد من أعظم القواد . وعالم من أكبر العلماء : من الأسرة التى خاصمت بنى أمية وناصبتها الحرب ، وهو شقيق الشهيد عبدالله بن الزبير ، وابن الزبير بن العوام أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأمه اسماء ذات النطاقين. عندما تمنى الناس من أمور الدنيا تمنى أن يكون عالما وأن يدخل الجنة ، فكان أحد الفقهاء السبعة فى المدينة يقرأ ربع القرآن كل ليلة ، فاذا كان أيام الرطب ثقب حائطه حتى يتيح للناس أن يدخلوا حديقته فيأكلون ويحتملون . وكان قد قصد إلى الخليفة الوليد الذى جمع له الأطباء من كل مكان ليداووه من داء فى ساقه ، وكان أن قرروا قطع هذه الساق ، ولكن كيف ! عرضوا عليه الخمر ليسكروه فلا يحس بالألم فرفض . وقال لا أستعين على قضاء الله بمعصيته . وأرادوه على أن يشرب المرقد (البنج) فقال لا : وقبل أن يقطعوا ساقه وهو يصلى ! قال لهم سأدخل فى ذكر الله فاذا رأيتمونى استغرقت فشأنكم بها . فلما رأوه استغرق قطعوا اللحم بالسكين المحماة بالنار ، حتى إذا بلغوا العظم نشروه بالمنشار وهو يكبر . . ثم عمدوا إلى تعقيم ساقه فحموا الزيت فى مغارف الحديد ، حتى إذا غلى كووه بها فاغمى عليه . فلما أفاق من غشيته رأى ساقه فى أيديهم . . وقال : أما والذى حملنى عليك أنه ليعلم أنى ما مشيت بك إلى معصية قط .

وادخلوا له رجلا ضريرا حتى لا يرى أن مصابه أعظم من مصاب غيره . فقال : اللهم أن كنت أخذت طرفا ، لقد أبقيت اطرافا ، ولله الحمد على ما أخذت وأعطيت وكان ذلك عام ست وثمانين للهجرة . وله فى وادى العقيق بئر طيبة ، نظم فيها الشعراء قصائدهم . كان أحد الفقهاء السبعة فى المدينة . لم يدخل فى الفتن . وقدم مصر فتزوج وأقام بها سبع سنين . وعاد إلى المدينة فتوفى بها عام ٩٣هـ - ٧١٢م .

عزالدين المسبحى

المؤرخ الأمير : الذى عنى بدراسة مصر فى عهد الفاطميين : هو الامير المختار (عز الملك محمد بن عبدالله) ولد بالفسطاط بمصر عام ٩٧٧م وتلقى ثقافة أدبية واسعة متعددة النواحى ، بدأ حياته جندياً ورجل إدارة ، وعمل فى خدمة الحاكم بامر الله وتقلد أعمال القيس والبهنسا من أعمال الصعيد ، كما ولى ديوان الترتيب وقد توثقت بينه وبين الحاكم بأمر الله صداقة متينة ، قيل كان رافضا من غلاة الشيعة الذين يقدسون على بن أبى طالب ويحبونه أبلغ الحب ، وكان الحاكم على مذهبه يصطفى غلاة الشيعة أبناء مذهبه . وكان إلى ذلك مثقفا ثقافة واسعة فى معارف عصره ، محدثا راوية شغوفا بعلم النحو الذى كان الحاكم شغوفا به ، ووضع فيه أكثر من مؤلف ، وقد ظل متصلا بالحاكم مقربا إليه حتى توفى عام ٤١١هـ ، هنا لك اعتزل الحياة العامة وانقطع للبحث والتأليف حتى نهاية حياته . وقد أمضى تسع سنوات وضع منها كثيراً من المؤلفات : أبرز كتبه (التاريخ الكبير) فى ١٣ ألف ورقة وهو الذى يطلق عليه اسم : أخبار مصر وفضائلها وعجائبها وطرائفها وغرائبها وما بها من البقاع والآثار وسير من حل بها ، وهو مخطوط فى مكتبة الاسكوريال ، كما ألف فى التاريخ والجغرافيا والادب والاجتماع والفلك ، كما ألف فى الطعام والشراب والفرق والاديان والعبادات والنجوم والحساب وغرائب الاخبار والاسفار والنوادر وله كتاب فى السؤال والجواب ومختار الاغانى وله التلويح والتصريح فى معانى الشعر ، حتى لقد قيل أنه ألف ٣٠ مؤلفاً لم يصل منها الينا ألا كتابه التاريخ الكبير وقد أثبت أبن خلدون أسماء مؤلفاته فى تاريخه الكبير ، وقد سجل فى كتابه الحوادث الدموية التى وقعت فى عصره وصور كيف كان الحاكم يفتك بالزعماء والكبراء ، وظل كتابه طويلا أوفى مرجع لمؤرخى مصر الإسلامية وكان إلى ذلك شاعراً مجيداً وله ديوان شعر جيد (٩٧٧ — ١٠٢٩م) .

عز الدين عبد السلام

أبرز مواقف عز الدين موقفه من أمراء المماليك حيث صمم على بيعهم وصرف ثمنهم فى مصالح المسلمين ، وقال لهم فى ذلك : إن الملك الصالح اشتراهم من بيت المال ، ولذلك فلا يجوز أن يحكموا مصر وهم أرقاء ، ولابد أن يعقد لذلك مجلس وينادى عليهم وبذلك تعتقون .

وقد عارض الأمراء أولا . ولكنه أصر ، وصمم ، فلما أصروا غضب الشيخ وحمل حوائجه على حمار وأركب عائلته حماراً آخر . ومضى حتى بلغ خارج القاهرة ، هنالك لحق به العلماء والتجار فردوه ونادى على الأمراء واحداً واحداً وباعهم وقبض ثمنهم وصرفه فى وجوه الخير .

ولما أراد السلطان قطز أن يأخذ من الناس ضرائب جديدة ليستعين بها على قتال التتار . اعترض عليه وقال إنه لا يجوز أن يؤخذ من الرعية شىء إلا بعد أن يبيع العلماء ما عندهم من المطارف أولا .

وكان الشيخ عز الدين قد جاء مصر بعد أن اختلف مع السلطان فى دمشق فقد عقد نجم الدين صلحا مع الفرنجة وسلم إليهما صيدا . وقلعة الشقيف من حصون المسلمين . ودخل الفرنج دمشق لشراء السلاح فشق ذلك على الشيخ مشقة عظيمة . وأفتى الناس بتحريم مبايعتهم لأنهم يقاتلون المسلمين . فاعتقلوه .

وعرف عز الدين بموافقة الجريئة أمام ظلم السلاطين فى مصر والشام . واشترك محاربا خلال إقامته بمصر فى مقاومة الفرنجة فى المنصورة (١٢٥٠م) . واستطاع ابطال المكوس ورفع المظالم ورفض هدية السلطان وكانت ألف دينار وأنكر ولاية شجرة الدر وقد أقام بمصر عشرين عاما وبلغ مرتبة الاجتهاد ، كما لبس حرقة التصوف . وكان ينادى الملوك بأسمائهم وأبطل صلاة الرغائب ونصف شعبان . وسلمت إليه الفتيا . وأسقط شهادة الجائر وعزل نفسه من القضاء .

توفى ٦٦٠هـ ١٢٦٢م

عز الدين القسام

اسم لامع فى تاريخ الجهاد الفلسطينى ، أحد الأبطال الابرار الشهداء الذين قادوا المعارك الأولى مسلحين بالإيمان والفداء . لم يكن من فلسطين بل من سورية غير إنه كان أول من حمل السلاح فى سبيل فلسطين وأطلق الرصاصة الأولى فى فجر الحركة ، استطاع وهو الشيخ الأزهرى أن يرسم خطط معارك المقاومة والدفاع ، فكان طليعة لما جاء بعده من معارك المقاومة فى تاريخ فلسطين الطويل: العالم الازهرى الفقيه، سليل أسرة فى جبلة الادهمية من اللاذقية، كان والده شيخ الزاوية فى مدينته ، معلم ومعرب ومرشد ، وفى هذه الزاوية ترعرع عز الدين ثم قدم إلى القاهرة فى أوائل القرن ، والتقى على الشيخ محمد عبده ثم عاد فاشتغل فى وطنـــه بالتعليم حتى انتهت الحرب عام ١٩١٨ ونزل الفرنسيون ساحل سورية محتلين ، هنالك نادى عز الدين بأن الجهاد واجباً . ثم حارب مع الثوار الذين تزعمهم عمر البيطار ، وحاول الفرنسيين أغرائه بتعيينه قاضيا شرعيا فى اللاذقية فرفض ، واستمرت المعارك مع الفرنسيين عاما ونصف ، ثم غادر دمشق إلى حيفا حيث عين مدرساً بمدرستها ، وكان إماماً يلتف الناس حوله حيث دعاهم إلى الجهاد فى سبيل تحرير فلسطين .

ولم يقف أمره عند الدعوة إلى الجهاد بل حمل اللواء وتقدم الذين آمنوا به ، ودعاهم إلى شراء الاسلحة والاستعداد للعمل ، فباعوا بيوتهم وحلى زوجاتهم ، وتسلحوا . . ، ومضى يقود هذه الكتائب فى عديد من المواقع حيث أدال من اليهود فى جنين وهضابة وغيرها ، وكانت تعاليمه : قتال الانجليز فقط دون ضرب العرب المجندين .

وفى معركته الاخيرة ، كان معه ثمانية قاتلوا حتى نفذ ما عندهم من عتاد فاستشهد مع أربعة من رجاله . ودفن فى بلدة الشيخ إلى جوار حيفا فى ٢٠ نوفمبر ١٩٣٤

عطاء

واحد من أولئك الأئمة الذين امتلأت قلوبهم شجاعة فى الحق وجرأة فى إسداء النصح للملوك والأمراء . كره فضول الكلام وآمن بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . وعاش زاهداً منصرفاً عن البريق والثراء والعطاء. وقد أوغل فى الفقه فعد من الأئمة المشهود لهم بالفتيا حتى قيل أنه ما من أحد فى عصره طلب بعلمه ما عند الله إلا ثلاثة : عطاء وطاوس ومجاهد .

كان يدخل على الخليفة من بنى أمية فيعظه ويذكره حتى يبكيه ، ومما يروى أنه دخل على عبدالملك بن مروان وهو يحج ذات عام فقال له : « اتق الله ياأمير المؤمنين فى حرم الله ورسوله وتعهده بالعمارة . واتق الله فى أبناء المهاجرين والأنصار فانك بهم جلست هذا المجلس . واتق الله فى أهل الثغور فانهم حصن المسلمين . وتفقد حال المسلمين فانك وحدك المسئول عنهم ، واتق الله فيمن على بابك ولا تغفل عنهم . ولا تغلق دونهم بابك » .

فلما انتهى تلقاه عبدالملك باسماً هاشا وقال يا أبا أحمد : سألتنا حوائج غيرك وقد قضيناها فما حاجتك . قال عطاء : مالى إلى مخلوق حاجة .

وقال مثل هذا لهشام بن عبدالملك حتى تركه يجهش بالبكاء ..

وكذلك عاش عطاء فقيراً وكذلك كان كبير النفس . لا يسأل أحد شيئاً . وقد أغناه عنهم اعتزازه بالله وإيمانه وزهده . وكانت حلقته فى المسجد خلال عشرين عاما عامرة حيث يفتح للناس آفاق العلم والدين والفكر . وقد تلقى علمه عن ابن عباس وعائشة وأبى هريرة وأبى سعيد الخدرى وابن عمر وكان تلاميذه عمرو بن دينار وقتادة والزهرى ومالك بن دينار .

وقد طال عمر عطاء فعاش ثمانين عاما . شهد الحياة الإسلامية فى أول عهد عمر حتى نهاية الدولة الأموية وشارك فى هذه الحياة مشاركة فعالة فكان رمزاً على هذه الطائفة من الزهاد والجرءاء فى الحق الذين ملأوا صفحات التاريخ بقوة المعارضة فى مواجهة الملوك والخلفاء ..

عقبة ابن نافع

منذ وطئت أقدامه أرض المغرب فى عهد عمرو بن العاص وهو يحلم بالفتح والغزو .. كان فى أعماق روحه ايمان بأنه سيشق قلب القارة حتى يصل إلى المحيط وعاش سنوات طويلة ينتظر الفرصة المؤاتية يدرس ويبحث ويسأل ويستطلع ولذلك فما أن ولى أمر الفتح حتى اتجه إلى بناء « القيروان » حاضرة للمغرب واسكنها الجند ومضى فى عشرة آلاف يزحف ويخترق تونس والجزائر . ذهب إلى بلاد الزاب وفى طريقه انتصر على الروم وحاصر مدينتهم فى « أربه » وظل ينتقل من نصر إلى نصر حتى وصل طنجه وهناك وقف عقبة ونظر إلى الشاطىء الآخر حيث تستوى أسبانيا وفكر فى اقتحام البوغاز . ولكنه فضل أن يتجه جنوبا إلى بلاس السوس الادنى ثم سار متجها غربا يفتح البلاد حتى وصل شاطىء المحيط . وكانت لحظة رهيبة فى حياته . ودفع حوافر فرسه فى البحر حتى كاد يغمره الماء . وهو يتطلع إلى المحيط باتساعه ولا نهائيته وقال كلمته الخالدة : « والله لو أعلم أن وراءك أرضاً لذهبت إليها غازيا فى سبيل الله » وعاد عقبة وقد ارتاحت نفسه وامتلأ قلبه بشعور جياش بالغبطة وهكذا تتجلى شخصيه عقبة فى إيمانه بالجهاد : وأن أخذ عليه أنه لم يرسم خطة حربية منظمة بل كان يندفع فى طريقه دون أن يترك حاميات كافية فى البلاد المفتوحة ، ولذلك كانت لا تلبث أن تعود إلى الرومان مرة أخرى وهو فى مجموعة خطوط حياته يعطى صورة فرسان الاساطير فى اندفاعه نحو المحيط . وشق قلب أفريقيا وهى صورة المجاهد لا الفاتح . المجاهد الذى ألقت إليه الظروف أن يصل إلى المغرب فيعيش فيه ويتمنى أن يقطعه بالعرض فيتحقق له ذلك ويصل إلى الغاية . ويشعر بأنه قد أعذر إلى الله فى التوقف عن الفتح حيث حال دونه العباب الضخم الذى لا تصل العين إلى نهايته .

على عبد اللطيف

قليل من المجاهدين من كتبت له قسوة واقع «على عبد اللطيف» فى ظلمة السجن وألم المرض وعذاب النفى والتشرد . فقد وقف وهو الفرد الاعزل يدعو إلى تحرير الوطن فالتف حوله الكثيرون الذى ألفوا معه جمعية اللواء الابيض التى أزعجت الانجليز فى السودان عام ١٩٢٤ وما بعده حتى أصبحت شوكة فى ظهر الاستعمار .

كانت مفاجأة خطيرة عند ما استطاع شباب السودان الحصول على توقيع ٨٠٠ ألف من زعماء القبائل ورجال العشائر الذين يطالبون بخروج الانجليز من ديارهم . وقد أفشى سر هذه الرسائل قبل وصولها إلى الباخرة التى كانت ستحملها إلى مصر والقى القبض على الرسول وهب الشعب كله ينفس عن مشاعره فى أول صيحه فى سبيل الحرية .. ودخل على عبداللطيف السجن فلم يرده عن دعوته إلى الحرية فعاد إليه مرة ومره لا يثنى الاضطهاد عزمه ولا يفل ساعده ، ثم خيف من اتصال روحه بأرواح أخوانه المجاهدين فأبعد من الخرطوم إلى واو عاصمة بحر الغزال وترك لحياة قاسية ومعاملة شاذة فى خلال سبع سنوات طوال . ولكن المسغبة والتعذيب لم يرداه عن إيمان الصادق . وكان ذلك على غير ما يرضى الاستعمار فزيد التعذيب الذى خلف له عاهة ومرضاً واضطرابا فى النفس والعقل وعاش على عبداللطيف بقية حياته بين السجن والمستشفى حتى قضى لم يهنأ بحياته ولم ينعم بأسرته وأولاده ولم يخلف قرشاً .. ولكنه أوقد نوراً يضىء وناراً لا تنطفىء . وخلف أثراً لا يمحى وترك ذكراً باقيا لا يقوى الدهر على انكاره أو تجاهله : تحيه له فى ذكراه :

٨ يونيو ١٩٢٤

على مصطفى مشرفة

عندما هوجم فى البرلمان فى العهد الماضى قال : أن ما قيل يعتبر مدحا لنا ،

وإذا أتتك مذمتى من ناقص فهى الشهادة لى بأنى كامل

فقد لقى من حاسديه متاعب جمة ، وذلك لشدته فى الحق وكراهيته للرياء والوساطة . وقد شغل كرسى الأستاذية للرياضة التطبيقية زهاء ربع قرن من الزمان .

عرف بشخصية قوية لانظير لها ، ذكيا ألمعيا نادر المثال . ثاقب الفكر بعيد النظر حازما . إذا اقتنع برأى سار فى تنفيذه إلى آخر الشوط . كان منزله منتدى علميا . وكانت الموسيقى هوايته المفضلة ، وقد عرف بحماسته فى نشر الثقافة العلمية باللغة العربية . ويطمع فى أن يدرس فى كلية العلوم باللغة العربية . وقد كون اللجان فى الكلية لترجمة المصطلحات العلمية . وأنشأ قسما للترجمة بالكلية . وله كتابان يضمان نحوا من ٥٠ حديثاً فى مختلف فنون العلوم وقد أسس مع نفر من العلماء المجمع المصرى للثقافة العلمية وانتخب رئيساً له . واشترك فى تأسيس الأكاديمية المصرية للعلوم . والمجلس القومى للبحوث . والجمعية المصرية للعلوم الرياضية والطبيعية . وقد اشترك فى أكثر من ثلاثين هيئة ونشر أكثر من ثلاثين بحثا مبتكراً فى نظرية الكم والنسبية والطاقة الذرية . وعين سنة ١٩٣٦ عميداً لكلية العلوم فكان أول عميد مصرى لها . ولد بدمياط فى ١١ يوليو ١٨٩٨ تخرج فى مدرسة المعلمين العليا ١٩١٧ . حصل على بكالوريوس العلوم فى جامعة لندن ١٩٢٠ . دكتور فى الفلسفة ١٩٢٣ . دكتور فى العلوم ١٩٢٤ . وهو أول مصرى حصل على هذه الدرجة العلمية الرفيعة . وقد عمل مدرسا بمدرسة المعلمين العليا أثر عودته من البعثة . ثم نقل إلى الجامعة سنة ١٩٢٥ بمجرد أنشائها . فعين أستاذنا مساعداً للرياضة . وتوفى فى ١٦ يناير ١٩٥٠ وقد ناهز الحادية والخمسين من العمر .

العلاء بن الحضرمى

قام بأول معركة بحرية فى تاريخ الإسلام من تلقاء نفسه دون إذن أمير المؤمنين أبى بكر الصديق هى : معركة « دارين » فقد نازل الأسطول الفارسى بسفن صغيرة الحجم صنعت على عجل وبجنود أقل دراية من أعدائهم وظفر بخصومه بعد تجربة قاسية آزره فيها جنوده الأقوياء الذين عاهدوه على الموت وأخلصوا له . وقد أقض مضاجع الفرس وامبراطورهم كسرى يزدجرد وكان العلاء من قادة الجيوش الإسلامية الأحد عشر التى بعث بها « أبو بكر » فى يوم واحد لحرب المرتدين وقد ظل يطارد « قبائل ربيعة » حتى أشرف على الخليج الفارسى ، وهناك قاتل قبيلة عبد القيس ، وظفر بها بعد معركة رهيبة كلفته التخلى عن كثير من رجاله الذين سقطوا صرعى فى ساحة الهيجاء وداستهم سنابك الخيل . وبعد أن انتهت المعركة . وكتب له النصر ، بلغ العلاء أن الحطم بن ضبيعة قائد جند الاعداء قد جمع بعض حاشيته ولحق بجزيرة دارين فى الخليج الفارسى . ثم جاءت الانباء بأن الاسطول الفارسى تعهد بحمايتهم والقتال دونهم حتى الموت وسمع ذلك العلاء فغضب وثارت ثائرته ولكنه كظم غيظه . وراح يعد لغزو الجزيرة الفارسية التى تمردت عليه وتحدته ، وآوت عدوه اللدود . وكان لابد للعلاء من ركوب البحر بجنوده لاول مرة ، فاوصى بصناعة ما يقرب من مائة سفينة شراعية . وأعد السفن الشراعية وأنزلها إلى البحر . واشرف على توزيع جنوده . ثم ركب معهم بعد أن أخذ عليهم العهد والميثاق . وانساب الاسطول العربى فى عرض الخليج يحمل جنوده البواسل ، وسفينة العلاء الكبرى تحمل علم الإسلام وتسير فى المقدمة ، ورماح الجنود وحرابهم مشرعة وسيوفهم مسلولة فلما بلغوا نشب القتال وحمى الوطيس ، وسالت الدماء على وجه الماء ، وحافظ الأسطول العربى على نظامه وتمزق شمل الأعداء وحلت بهم الهزيمة الساحقة وقتل قائد الأسطول الفارسى واغرقت سفنه الكبرى فتم للمسلمين النصر ونزل العلاء بجنوده إلى جزيرة «دارين» فاحتلها بعد مناوشة صغيرة مع جنوده . توفى ٦٤٢م

على

مفتاح شخصية «الورع» فهو لا يعرف البغى ولا الغدر . وفى نفس الوقت لا يتملق ولا يشترى الضمائر ولا يسأل عن رغبات الطامعين .

ربى فى أحضان الإسلام الأول . فكان ثانى اثنين دخلوا الدين الوليد بعدان آمنت . خديجة رضى الله عنها» وخاض المعارك كلها إلى جوار الرسول . ونام فى فراشه ليلة الهجرة وكتب عقد الحديبية . وتلا صدر براءة فى العام الذى حج فيه أبو بكر بالناس . لم يصارع أحداً إلا صرعه

أحبه الرسول وآخاه بنفسه مرتين وزوجه من ابنته فاطمة بعد الهجرة . وأرسله الرسول فى أثر "قوم بعد أحد . وفى خيبر امتنع حصن «مصياف» على المسلمين فأعطى الرسول الراية لعلى ففتح الله له .

وفى نهاية حكم عمر ، وقد بلغ الاربعين كان واحداً من الذين جعل فيهم البيعة والشورى . قيل « قضية ولا أبا حسن لها » فقد كان مستشار عمر وأبى بكر وعثمان .

ولى الخلافة والفتنة مضطربة من حوله بعد مقتل عثمان فبدءت أسباب الخلاف بينه وبين طلحة والزبير وعائشة ثم معاويه . فحارب الأولين وانتصر عليهم فى موقعة الجمل . وكاد أن ينتصر فى موقعه صفين على معاوية لولا خدعة المصاحف حيث ارغم على قبول التحكيم . ثم تمرد أنصاره عندما رغب إلى معاودة قتال معاوية .

عندئذ أراد القدر أن يضع حداً لحياة الرجل الورع حين تآمر ثلاثة من الخوارج على قتل على ومعاوية وعمر ففشلت محاولات عمرو ومعاوية وقتل على. قيل أنه لم يواجه الزمن ويتطور معه بعد أن دفع عثمان بالناس إلى الأمصار وهو قول مردود فإن طبيعته التى جبلت على المروءة والعدل والشجاعة كانت طابع حياته الذى لا يتغير .

عمر لطفى

عندما ترد كلمة « التعاون » على الألسنة يقفز إلى الخاطر رائد التعاون الأول : عمر لطفى الذى دعا إلى التعاون عام ٧ ١٩ فكانت صيحته جريئة وجديدة . وقد لفتت دعوته الأنظار وبدأت تقاومها حكومات الاستعمار وفى مقدمتها حكومة مصطفى فهمى صنيعة الاستعمار .

وكان رأى عمر لطفى أن « التعاون » هو الحل الوحيد السريع للازمة الاقتصادية الخانقة التى كانت تمر بها مصر أذاك .

وقد سافر عمر لطفى إلى إيطاليا حيث قابل « لويجى لوتسانى » أبى التعاون الإيطالى فلما عاد مضى يرتاد القرى والنجوع والدساكر يتحدث مع الفلاحين ويدعوهم إلى إنشاء جمعيات تعاونية . وعمر لطفى هو ثمرة المدرسة الوطنية التى عرفتها مصر بعد الاحتلال البريطانى . وقد شب فى ذلك الجو المشحون بآثار الاستعمار البريطانى وهزيمة عرابى ونفيه . وسمع وقع خطى جمال الدين الأفغانى على أديم الحياة المصرية ، وما كان لها من آثار ، وقرأ مجلة الأستاذ لعبد الله نديم وهو شاب ، ثم رأى مصطفى كامل وقاسم أمين ومحمد عبده ، بل إنه تخرج فى يوم واحد مع محمد فريد فى مايو ١٨٨٧ . ومن عصارة هذه الصيحات امتلأت روحه بالوطنية الصادقة فقد رأى وطنه مهينا وكرومر يضغط عليه بقوة ويذيقه ألوانا من التعذيب وشهد الفلاحين وهم يساقون إلى السخرة بالكرباج . وعندما وقع حادث دنشواى عام ١٩٠٦ هزه هزا واضطرمت نفسه حزنا وألما حول هذه الطاقة الوطنية التى تملأ نفسه إلى عمل نافع إيجابى ، ثم أهل عام ١٩٠٧ فاذا بالأزمة تعصر الفلاحين عصراً وتأخذ برقابهم وكان لا بد من حل . ووجد عمر لطفى الحل فى التعاون فدعا إليه وكان عمر لطفى قد شغل بعض المناصب حتى لغ وكيلا لمدرسة الحقوق ، كما أسس نادى المدارس العليا . توفى عام ١٤ نوفمبر ١٩١١

عمار بن ياسر

« صبرا آل ياسر ان موعدكم الجنة » تلك هي دعوة النبي لعمار وأبوه ياسر وأمه سمية بنت خياط : أول شهيدة في الاسلام ، كانت مولاة لأبي حذيفه ابن المغيرة من بني مخزوم . وكان ياسر من تهامه من أرض اليمن . فلما قدم إلى مكة حالف أبا حذيفه وتزوج مولاته . وقد أسلم الثلاثة من الرعيل الأول وعذبوا .

وقد قيدهم أبو حذيفة وأخرجهم إلى الأبطح وألقى بهم في رمال الصحراء المتقدة ورفض الثلاثة - بالرغم من التعذيب البالغ - أن يعودوا إلى دينهم الأول ومر النبي وهم يعذبون . فقال كلمته الخالدة . فلما جاء أبو جهل يهددهم بالقتل اسمعته سمية ، كلاما قاسيا في هبل ومناة فرفع حربته وضربها ضربة قاصمة في مكان العفة . ومات أبوه ياسر من الألم .

واضطر عمار أن يعلن الكفر ويسر الاسلام . فلما ذكر ذلك النبي قال له: كيف تجد قلبك قال : أجد قلبي مطمئنا بالإيمان . قال إن عادوا فعد .

وهاجر عمار إلى الحبشة ثم عاد . ثم هاجر إلى المدينة وآخى النبي بينه وبين حذيفه بن اليمان واشترك في كل الغزوات وشهد المشاهد كلها وأبلى فيها وقاتل يوم اليمامة فأبلى أحسن البلاء .

ثم ولى أميراً على الكوفة في عهد عمر . وأثر أن النبي قال له : تقتلك الفئة الباغية وقد طعنه أبو الغادية فلما أوشك أن يموت امتلأ وجهه بشرا وقال : اليوم ألقى الاحبه : محمد وحزبه .

وكان قد انضم إلى علي واشترك في موقعة الجمل ثم في صفين وكان ينادي : الجنة تحت البارقة . ومات وعمره ٩٤ سنة عام ٣٧هـ .

عمادالدين زنكى

يقف « عماد الدين زنكى » فى صف نور الدين وصلاح الدين ، فقد حقق انتصارات كبيرة ظهر عمادالدين فى وقت تفرق فيه العرب ، وتمكن الفرنجة من احتلال وطنهم . وقد حمل لواء العمل الأول ، لجمع الجموع ، وحشد الحشود ، ودافع وهاجم وانتصر . وغذى فى ابنه نور الدين قوة روحية عارمة كانت أعظم ما عرف فى معركة كفاح الصليبيين . ويعد « عمادالدين زنكى » القائد الذى مهد الطريق وأعد الخطوط العامة للوحدة العربية الكبرى التى تحققت من بعده على يد ابنه نورالدين وأتمت قوتها وأثرها بقيادة صلاح الدين الايوبى .

انقض بجنوده على اللاذقية ونثر أشلاء جنودها فوق السهول . وأسر منهم الألوف الذين فروا تاركين ذخائرهم وغنائمهم .

ثم لم يلبث الفرنجة أن تجمعوا له مرة أخرى وعلى رأسهم ملك القسطنطينية فنصبوا المجانيق أمام حلب . عمل عماد حيلته فخوف ملك الروم من الفرنجة وأوقع بينهم ، فوقع بينهما الشقاق وفر ملك الروم تاركا الذخائر فتبعه عماد الدين واستولى على الغنيمة .

ثم عمل على إنقاذ « الرها » من أعدائها المغيرين ، فخدعهم عن وجهته واتجه إلى حمص وديار بكر ثم لم يلبث أن استدار لهم فسقطت المدينة فى يده وعادت إلى العرب . وكان فى حروبه مثلا عاليا للكرامة والوفاء والرحمة .

أعادها بسماحة الإسلام فقد انتصر عليها ولكنه لم يقتل غير المحاربين . ورفض أن يأسر المرأة والطفل والشيخ .

وقد عجز خصومه عن قتله فى المعركة السافرة . والخلاص منه . فتآمروا عليه ، واغتالوه بعد أن عجزوا عن حربه والانتصار عليه فمات شهيدا ١١٤٦م .

عمر مكرم

يقول الجبرتى : وعندما علم عمر مكرم نقيب الأشراف بوصول الفرنسيين لم ينتظر إلا قليلا حتى صعد إلى القلعة فأنزل منها بيرقا كبيراً أسمته العامة (البيرق النبوى) فنشره بين يديه من القلعة إلى بولاق وقد تجمعت حوله الألوف المؤلفة تهتف بالجهاد وتتأهب لعمل حاسم فى سبيل مقاومة دخول الفرنسيين إلى القاهرة وعندما وصل نقيب الأشراف إلى بولاق تجاه امبابه غرس بيرقه على ربوة عالية ودعا إلى حمل الفؤوس لحفر خندق كبير يحول دون دخول الكفار » . وبذلك كان عمر مكرم فى مقدمة الصفوف للقتال عندما نودى أن الوطن فى خطر فلما انتهت معركة الأهرام بالهزيمة . ودخل الفرنسيون القاهرة رفض البقاء بها وهاجر إلى يافا وترك أملاكه وماله نهبا للفرنسيين . ورفض أن يفاوض فى تسليم بلده وركل بقدمه منصب عضوية الديوان الذى أنشأه نابليون . وقد بقى عمر مكرم فى منفاه مختاراً حتى وصل نابليون إلى يافا . وأمر باعادته معززاً إلى القاهرة فعاد إليها واعتزل فى بيته بعد ثورة القاهرة الثانية عام ١٨٠٠ ومن ذلك اليوم لم يقض فى مصر أمر لم يكن عمر مكرم رائده . فقد كان مؤجج الثورة ضد حكم المماليك عام ١٨٠٤ وقائد مقاومة الوالى التركى « خورشيد » عام ١٨٠٥ وهو الذى اختار محمد على بعد أن أخذ عليه العهد والميثاق ، ولكن محمد على خان عهده وقاوم المعارضة ، وكان عمر مكرم مقصد الأهالى فى المطالبة برفع مظالم الوالى الجديد ، فألب عليه وأغرى قادة المقاومة الشعبية به بعد أن منحهم من المال والأرض . وقد قاوم عمر مكرم هذه المنح ورفضها وظل قوى الشخصية فى مواجهة محمد على على أساس الميثاق . عندئذ نفاه إلى دمياط بعد أن عزله عن نقابة الأشراف وذلك بعد أربع سنوات من حكمه . واستقبل عمر مكرم النفى راضيا صابراً وأمضى هناك تسع سنوات لا يباح له فيها الاختلاط بالناس . فلما عاد إلى القاهرة تجمع الناس حوله فأعاد محمد على نفيه إلى طنطا وهو فى سن السبعين فتوفى فى نفس العام (١٨٢٢) .

عمر المختار

هذه ذكرى رجل حارب الطليان المستعمرين لبلاده عشرين عاما لم يكل ولم ينبعث إلى نفسه الكلل أو الجبن أو الرغبة فى الاستسلام ، حتى لقد حاربهم وهو مربوط على ظهر جواده بالحبال . وقد كان طبيعيا أن يقضى عليه الاستعمار بالاعدام شنقا . ولكن دمه الطاهر لم يذهب هدراً . بل ظل وسيظل يؤجج فى نفوس الأحرار جذوة الحرية فى كل مكان .

ومنذ أن هاجم الايطاليون برقة عام ١٩١١ إلى أن استشهد فى ١٦ سبتمبر سنة ١٩٣١ وهو دائب على الكفاح حتى أنه اشترك فى جميع المعارك التى خاضها العرب والترك فى حرب طرابلس . ولما انهارت كل مقاومة وثبت الايطاليون اقدامهم ، كان هو وحده الصامد فى الميدان . فقد ظل يثير القلق فى نفوس الايطاليين يحرض ويعد ويكافح ويقاتل . ولم يتراجع أمام القوات التى جردت لمحاربته بل واجهها وسجل الانتصارات باهرة عليها . واستطاع بسلاحه البدائى أن ينتصر على الآلات الحربية الحديثة .

وقد سجل له التاريخ أنه خاض أكثر من مائة معركة وجرت محاولات لاغرائه لم تفلح وانصرف من حوله كل انصاره ماعدا القليل منهم ومع ذلك ظل ثابتا كالطود . ولما قتل فرسه من تحته وقبض عليه قال كلمته الخالدة الذين أو عزوا إليه بأن يطلب العفو من جلاديه قال لهم : لو أنكم أطلقتم سراحى لعدت إلى محاربتكم من جديد .

وقد أعدمه الإيطاليون وهو مكبل بالحديد زيادة من الانتقام . ولكنه فى عالم البطولة والكفاح خالداً لا ينمحى .

عمر بن عبد العزيز

بينما كانت الخلافة الاسلامية تشق طريقها بقوة إلى الملك العضود بمظالمه واخطائه وانصرافه إلى الترف واللهو يجيء. فجأة هذا الرجل ليعود بالحكم إلى عهد عمر بن الخطاب فى محاولة جبارة لم يقدر لها البقاء الطويل إلا أنها كانت صفحة مجد فى تاريخ بطل فقد كان عمر بن عبد العزيز صورة لم تتكرر للخلفاء والولاة، فقد زهد منذ اليوم الاول فى مراسم الخلافة ورد المراكب المطهمه وضم فراش الخلفاء إلى بيت المال وعاد إلى بغلته وحصيره .. وأتى له بالجوارى فخيرهن وردهن إلى أهلهن ، وطلب إلى زوجته فاطمة أن ترد ما معها من مال وحلى إلى بيت المال ورد الحقوق إلى أربابها وبدأ بنفسه فتنازل هما ورثه من قطائع وضياع فحرق سجلاتها وأعادها للشعب بل أن عمر جمع بنى مروان وطالبهم بشطر أموالهم وتقديم نصفها لبيت مال المسلمين . وبدل عمر حياة الناس ، فأسعدهم وتحول المجتمع فى عهده عن اللهو والترف .. وكان فى حوائج الناس يستعمل المصباح فإذا حدثه أحد فى شئون الخاصة دعا بسراجه من بيته .

كان فى شبابه أنيقا يرخى شعره ويسبل ازاره ويتبختر فى مشيته فلما تولى الخلافة هجر الترف وأحب الخشونة فى ملبسه ومطعمه وكان بصورة من أروع صور الزهد لم يعرفها التاريخ الا لسميه عمر بن الخطاب. يصف نفسه فيقول: كانت لى نفس تواقه فكنت لا أنال شيئاً إلا تاقت إلى هو أعظم منه فلما بلغت نفسى الخلافة تاقت إلى الآخرة وقال عندما ولى الخلافة « من أراد أن يصحبنى فليصحبنى بخمس يدلنى من العدل إلى مالا اهتدى إليه ويكون لى على الخير عونا: ويبلغنى حاجة من لا يستطيع أبلاغها ولا يعاب عندى أحداً ، ويؤدى الامانة التى حملها منى ومن الناس » .

عمر بن الخطاب

القوى الصارم . الجرىء العادل . الواضح الرأى . الواهد المهيب . الذى يعلن رأيه فى حرية ولو اختلف مع الرسول . ولطالما أكرم الرسول رأيه . كان قوياً فى الجاهلية وقوياً فى الإسلام .

يبدو فى أوضح صورة وقد تقلد سيفه وذهب يسأل عن محمد وقد عزم أن يقتله ثم ينحرف به الطريق إلى منزل أخته ليسمع القرآن فيزيده ذلك إمعانا فى الذهاب إلى محمد ولكن ليعلن إيمانه . وهى نقطة التحول فى حياته كلها عرف؛ بالصراحة والصرامة فقد جابه المشتركين منذ اليوم الأول لإسلامه فقد كان إسلامه قوة للمسلمين وبه خرجوا لأول مرة حيث صلوا عند الكعبة وهاجر المسلمون خفية عمر فقد هاجر جهرة وتحدى أن يخرج أحد وراءه .

ضاعف العقوبة لأهله عندما ولى الخلافة . وضرب سعد بن أبى وقاص بالدرة عندما رآه يقتحم الصفوف ليصل إليه . وأقام الحد على ابنه حتى بعد موته . وحمل الدقيق على كتفه للمرأة التى لا تجد ما تطعم به أولادها ونادى سارية فى العراق من فوق منبر المدينة وأحصى ثروات الولاة واقتسمها معهم وعزل خالداً عن قيادة الجيش وهو فى أوج نصره حتى لا يفتتن به الناس وبعث من حرق باب وآلى الكوفة وقال أنه لا يجوز لبيت الوالى أن يكون له باب . وعس بالليل وكشف عجلة الأم فى فطام أمها ليكتب فى بيت المال فكتب للرضيع منذ أن يولد . وراجعته المرأة فى الصداق فقال أصابت إمرأة وأخطأ عمر . وفى الحرب كان يمر على البيوت يقرأ الرسائل ويقضى لأهلها الحاجات . ويذهب فيحرس التجار خارج المدينة بالليل . وكان من قوله : لو أن عنزة بشاطىء الفرات عثرت لخشيت أن يحاسبنى الله عنها . وفى عام الرمادة امتنع عن طعام غير الزيت . وخفق الرجل المتبختر بالدرة كما خفق المصلى المفتعل الخشوع .

عمرو بن العاص

فاتح مصر . الداهية الذى رفض تسلم خطاب عمرو بن الخطاب حتى دخل الفرما وكان عمر قد أنذره عندما أقره على فتح مصر أن يرتد عنها إذا وصله أمره .

أسلم متأخرا واشترك فى عدد من المعارك ضد المسلمين .

قال عمر بن الخطاب : لقد عجبت من ذهنك وعقلك كيف لم تكن من المهاجرين الاولين فأجاب عمرو : وما أعجبك ياعمر فى رجل قلبه فى يد غيره لا يستطيع التخلص منه إلا إلى ما أراد الذى هو بيده ، وصدقه عمر .

وحين خرج من مكة يريد المدينة لقى خالد وعثمان بن طلحة فدخل ثلاثتهم على الرسول .

عرف بالموهبة العسكرية والفطنة السياسية . اشترك فى عدد من الغزوات والعمليات الحربية .

طلب فتح مصر ووصفها للخليفة بأنها أكثر الارض أموالا . وكان قد ارتادها تاجراً فى الجاهلية . وبلغ العريش عام ١٨ فلما وصل الفرما حاصرها أكثر من شهر لما كانت عليه من قوة ومنعه . فلما فتحها بارحها إلى القنطرة فالصالحية حتى دخل بلبيس . ولما وجد ابنة المقوقس فى بلبيس ردها إلى والدها معززة فأعجب هذا التصرف أهل مصر . واستطاع بمعونة الزبير وعبادة ومسلمة والمقداد ، كل واحد بألف ، أن ينتصر على جيش الروم فى عشرين ألفا وكانت الموقعة الفاصلة حول حصن « بابليون » الذى ظل يقاوم سبعة أشهر .

اشترك مع معاوية بن أبى سفيان فى حرب على ونجا معه من القتل فلما ولى معاوية الخلافة أقره على حكم مصر .

غلام زرافة

وصفه التاريخ بأنه أعظم بحار مسلم وأطلق عليه فى الكتب الافرنجية « ليون الطرابلسى » .

اندمج منذ شبابه الباكر فى العصابات الإسلامية التى كانت تهاجم الشواطىء واشترك فى كثير من الغزوات والحملات التى وجهت للاغارة على شواطىء بحر الأرخبيل واتخذ طرطوس عطا لرحاله ، وروع بقوته ورجاله الدولة البيزنطية .

وسار عام ٢٩١ هجرية من طرطوس نحو بلاد الروم ففتح مدينة تسالونيكا بالسيف عنوة فقتل خمسة آلاف رجل وأسر مثلها . واستنقذ من أسرى المسلمين مثلها . وغنم ستين من مراكب الروم بما فيها من المال والمتاع والرقيق . وكان قد خرج فى أربعة وخمسين سفينة . ومن أبرع مواقفه أنه حين هاجم مدينة تسالونيكا بإقامة السلالم وأطلاق المجانيق ردهم أصحاب المدينة بسيل من الأحجار والسهام فبعث غلام زرافة فأضرم النار تحت أبواب المدينة من الشرق ثم ربط عدة سفن كل سفينتين معا وأقام فوق كل منهما برج خشبى مرتفع واتجهت هذه الأبراج نحو الأسوار المنخفضة فأشرفت على ابراج المدافعين ثم قذف المسلمون حراس المدينة بوابل من السهام والنار اليونانية فاضطروا إلى مغادرة الأبراج فاقتحم بحارة السفن السور وانقضوا على باقى الأبراج واقتحموا أبواب المدينة وكان ذلك فى سبتمبر ٩٠٤ ميلادية .

وكان غلام زرافة قد ولد من أبوين نصرانيين فى جنوب أسيا الصغرى وأسلم وقد أكسبته حياته فوق سطح البحر منذ حداثته قوة وجرأة وشجاعة فكان لا يهاب موقفا . وقد استطاع أن يوالى هجماته على السواحل ومعه قوته العاتية فترك ذكرا ضخما لا يزال مقروءا فى تاريخى ابن الأثير وابن خلدون .

الغزالى

مفتاح حياة الغزالى « البحث عن الحقيقة » وقد كلفه ذلك مشقة وأهوالا كبارا فقد أمضى عمره باحثاً منقباً ، مسافرا متنقلا ، حتى وصل إليها أخيراً .

حاول الوصول إلى « الحقيقة » عن طريق العقل والمنطق فعجز ، وحاول عن طريق العلم والفلسفة فأخفق ثم أهتدى إليها أخيراً عن طريق السنة .

كان فى قلب بغداد وفى صدر المدرسة النظامية يتألق كعالم وباحث ، ولكنه كان فى صميم نفسه يعانى موجة عاصفة من الشك وإذا به فجأة وعلى غير انتظار ينقطع عن الدرس ، وينعقد لسانه عن الكلام وتنصرف رغبته عن الطعام ويدخل فى مرحلة عجيبة من الغيبوبة والنهويم .

وترك بغداد ، ومضى يجوب البلاد . يعتكف عن الناس ويخلص نفسه لرياضة طويلة المدى .

وفى المنارة الغربية من المسجد الأقصى عكف على كتابة فصول مؤلفه الضخم « الأحياء » . لقد أهتدى بعد طول التأمل إلى حل أزمته حيث عاد إلى بغداد ليبدأ حياة من نوع آخر تقوم على الوجدان والروحية والتصوف ثم اهتدى إلى السنة .

ولد بطوس وهاجر إلى خراسان حيث اتصل بالعلماء ثم رحل إلى نيسابور وقصد إلى بغداد ثم ذهب إلى المدينة فالشام فمصر ثم عاد مرة أخرى إلى بغداد وقد أتاحت له الرحلة تجارب عميقة فى آداب الزواج والحب والتجارة والصداقة والمعاملة ضمنها كتابه « الأحياء » .

« والغزالى » هو أول كاتب فى الأدب العربى سجل اعترافاته ويومياته وتحدث بصراحة عن أزمته النفسية وهو الفن الذى عرفه الأدب الغربى بعد وله أكثر من مائتى مصنف .

توفى ٥٠٥ هـ ١١١١ م .

فريد وجدى

فى ٥ فبراير من عام ١٩٥٤ . قضى إلى رحمة الله هذا البحاثة العالم الصامت الذى عاش أكثر من أربعين عاما ينتج ويبحث ويدرس . ولكى تعرف مدى أثره فى الأدب والصحافة والفكر المصرى تذكر أن الأستاذ العقاد بدأ حياته الصحفية فى جريدته الدستور ١٩٠٨ تقريباً ولكن العمل الضخم الذى لا يمكن أن ينسى للعلامة فريد وجدى والذى يسجل له أثره العميق فى الثقافة العربية هو « دائرة معارف القرن العشرين » فى ٢٤ مجلداً ضخما تناول فيها كل الثقافات والدراسات والموضوعات التى كانت متداولة فى مفتتح القرن وقد عمل فى إعداد هذه الدائرة الضخمة منفرداً أكثر من ثلاثين عاماً حيث انتهى عام ١٩٣٠ واشترى لها مطبعة خاصة .

وأبرز أعمال فريد وجدى هى دراساته الإسلامية التى جمع فيها بين العلم والدين وعالج المسائل الفلسفية الدينية فيسرها للقارىء الوسط وجعلها مقبولة واضحة المعالم . وكتابه « الإسلام دين عام خالد » وهو مجموعة من الأبحاث نشرها فى جريدة الجهاد فى ابان انتشار حملة التبشير وتوسع أعمال المبشرين فى الشرق وأفريقيا عام ١٩٣٣ وما بعدها رد بها فى تخرصات المبشرين ويقول فريد وجدى أن أبرز حادث أثر فى مجرى حياته هو أنه أحس بعاصفة شك فى مطلع شبابه ازاء مسائل الكون والخالق ثم درسها دراسة علمية صحيحة فكون عقيدته فيها على أساس سليم وأفاده الشك استقلالا فى الرأى واعتماداً على النفس وقد قصر « فريد وجدى » عمله على هذا الميدان . كان همه تصفية ما بين الفلسفة والدين من مسائل . وتبسيط هذه المعالم المعقدة التى استحدثها مفكرو المسلمين فى العصور الوسطى فبعدوا بها عن بساطة الإسلام الأولى جريا وراء المذاهب اليونانية واقتباسات مدرسة الاسكندرية وأثرها . وقد كان لهذه الاتجاهات أثرها فى تناقض العقائد والفلسفة وأثرها الرجعى فيما بعد عندما قامت الدعوة إلى إغلاق باب الاجتهاد والايغال فى التقليد .

ابن الفوطى

مؤرخ العراق بعد سقوط بغداد ، كشف عن آثاره العلامة محمد رضا الشبيبى ، سبق ابن خلدون بأكثر من مائة عام. وهو معدود من الفلاسفة والمحدثين والحفاظ . عرف بالمزاج الصوفى ، وتذوق الموسيقى والجمال والشعر والفنون . ولذلك عنى بترجمة عدد من أعلام الموسيقى وله بها خبرة . كما هام بالصور الجميلة . وكان إلى ذلك وراقاً . حسن الخط . وصف خطه بأنه دقيق متصل بعضه ببعض وقد جعلت الوراقة تصانيفه غزيرة المادة . واشتهر بدقة النظر فى المخطوطات وما يمتاز بعضها عن بعض ، وهو لاشك قد استطاع أن يتميز بأسلوب خاص اختلف فيه عن أنداده وتحرر فيه من التقليد ، كما تحرر من مبالغات التاريخ وتهويلاته ، وأتاح له عمره الطويل « ولد ٦٤٢ توفى ٧٢٣ ﻫ » أن يشهد أعظم حركة فى التاريخ، هى حركة سقوط بغداد فى أيدى المغول. وابن الفوطى لم يؤرخ ناقلا عن الكتب ، وإنما كتب ماشاهد من أحداث عاينها ومواقع عاصرها وهو فى ذلك شبيه بالجبرتى فى عصرنا . وقد طال عمره حتى شهد أيام المغول وأخذ أسيراً بعد فتح بغداد وشاهد أعظم ملوكهم وأقطاب دولهم من أيام هولاكو إلى زمان السلطان أبى سعيد وقد زار أشهر عواصمهم ودرس حالة عصره ، واتصل برجال العلم والسياسة وحكام المغول . وشاهد بغداد منذ معركة المغول ٦٥٦ﻫ إلى أواخر القرن السابع. وصفه الشبيبى : « بأنه بمثابة لوحة حساسة من هذه الألواح الناقلة ترتسم على صفحاتها شتى الحوادث والأشخاص وكان حركة دائبة مدة تناهز سبعين سنة ، فما كان يفوته وصف مشهد أو تدوين حادثة أو ترجمة شخص فى أوضح أسلوب وأجمل عبارة » . ولد عبد الرزاق بن أحمد الفوطى البغدادى من أسرة بغدادية متوسطة وأسر فى سن الرابعة عشرة وحمل إلى أذربيجان ، وأفرج عنه نصير الدين الطوسى ووجهه إلى دراسة العلوم الرياضية وأسند إليه الإشراف على خزانة كتب دار الرصد وفيها بدأ التأليف وظهر ميله لكتابة التاريخ وقد ضاعت كل مؤلفاته المائة حتى عثر الشبيبى على الجزء الرابع من معجم الآداب فى معجم الأسماء والألقاب

أبو الفداء

هذا الملك الكاتب المؤرخ : « المؤيد عماد الدين أبو الفداء إسماعيل » صاحب حماه ابن السلطان الأفضل نور الدين . برع فى الفقه والتاريخ وشارك فى مسائل العلوم واشتهر بكتابيه الشهيرين (الأول) المختصر فى أخبار البشر المعروف بتاريخ (أبى الفداء) قال إنه اختصره من الكتب المطوله . وأورد لمراجعه نحواً من ٢٠ كتابا من أمهات كتب التاريخ تبلغ أكثر من مائة مجلد . من بينها الكامل وتجارب الأمم ووفيات الأعيان وتاريخ اليمن والقيروان .

وقال أنه أورد فى كتابه هذا شيئا من التواريخ القديمه والإسلامية يكون تذكرة تغنيه عن مراجعة الكتب المطولة . وقد ذكر فيه تاريخ العالم منذ بدأ الخليقة إلى السنوات التى عاصرها و (والثانى) تقويم البلدان الذى قال إنه ألفه عن حاجة حقيقية بعد أن طالع الكتب المؤلفة فلم يجد فيها كتابا وافيا» لأن بعضا منها أطنب فى صفات البلاد كابن حوقل غير أنه لم يضبط الأسماء ولم يذكر الأطوال والاعراض وكالشريف الإدريسى وابن خرداذبه ، وأشار إلى أن الكتب التى ضبطت الأسماء وحققتها لم تتعرض إلى الأطوال والأعراض قال(ومع الجهل بها يجهل سمت تلك البلدان) لذلك جمع ما تفرق فى الكتب المذكورة من غير أن يدعى الإحاطة « بجميع البلاد أو بغالبها » .

عرف المترجم له بالنبالة والفضل وتقدير أهل العلم والفكر ، آوى إليه أثير الدين الابهرى فرتب له ما يكفيه ، وأعان جمال الدين محمد بن نباته المؤلف كل سنة بستمائة درهم .

ولأبى الفداء جوانب فكرية متعددة فهو محب للطب والحكمة ، وأجود ما كان يعرفه علم الهيئة وقد أتقنه وبرع فيه ، وله شعر كثير ، وله مؤلفات أخرى غير مشهورة مثل (الكناش) .

وقد زار مصر ، وخدم فى صدر شبابه الملك الناصر فى الكرك « ٦٧٢ — ٧٣٢ » توفى عام (٦٧٣ — ٧٣٢) .

أبو فراس الحمدانى

قال الصاحب بن عباد « بدىء الشعر بملك وختم بملك » يعنى امرؤ القيس وأبا فراس . ووصفه الثعالبى بأنه فريد دهره وشمس عصره ، أدبا وفضلا وكرماً ومجداً وبلاغة وبراعة وفراسة وشجاعة . شعره مشهور ، بين الحسن والجودة والسهولة والجذالة والعذوبة والفخامة والحلاوة . شهد له بالتقدم ، وقد صحب سيف الدولة فى غزواته . وكانت له مواقف بطولة وانتصار فى دفع خصوم العرب من الروم فى تلك المواقع المتوالية التى خاضها سيف الدولة فقد كان يدفع بابن عمه أبى فراس إلى كل موقعة من مواقع الشدة التى يتمثل فيها الخطر فيندفع مؤمناً صادقا ويعود منتصرا وربما يكون ذلك بالجيش الأول تموضه ببطولته وفروسيته مردداً قوله :

إذا كان منا واحد فى قبيلة علاها واحد ضاق الخناق حماها

إنه الحارث بن سعيد بن حمدان الملقب بأبى فراس (٣٢٠ — ٣٥٧ هـ) ابن عم ناصر الدولة وسيف الدولة، فارس وشاعر ، شهد له المتنبى ، بالتقدم وأسره الروم فى بعض الوقائع ، وهو جريح قد أصابه سهم بقى نصله فى فخذه ونقلوه إلى قرشية ثم منها إلى القسطنطينية ، وفداه سيف الدولة ، وقيل أسر مرتين : الأولى بمغارة الكحل وقيل أنه ركب فرسه وركضه برجله فأهوى به من أعلى الحصن إلى الفرات والثانية أسره الروم فى « منبج » وحملوه إلى القسطنطينية وأقام فى الأسر أربع سنوات وله فى الأسر أشعار كثيرة .

وقيل لما مات سيف الدولة عزم أبو فراس على التغلب على حمص فاتصل خبره بأبى المعالى بن سيف الدولة وغلام أبيه قرعويه فأنفذ إليه من قاتله فأخذ وضرب ومات فى الطريق ، وقيل إنه جرت بينه وبين أبى المعالى وحشة فانحاز أبو فراس إلى بلد قرب حمص فجمع الأعراب من بنى كلاب وغيرهم وسيرهم فى طلبه .

الفتح بن خاقان

قيل إنه واحد من ثلاثة لم يرقط ولم يسمع بأكثر من محبتهم للكتب والعلوم منهم : الجاحظ وإسماعيل بن إسماعيل القاضي والفتح بن خاقان (وزير المتوكل) أبو النصر الفتح بن محمد بن خاقان القيسي الأشبيلي صاحب كتاب قلائد العقيان . جمع فيه من شعراء المغرب طائفة كبيرة وله كتاب : مطمح الأنس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، وله كتاب : الصيد والجوارح . كان شاعراً فصيحاً موصوفاً بالشجاعة والكرم أحبه المتوكل واستوزره وأمره على الشام وله أخبار في الجود والوفاء ، كان يضع كتاباً في كمه فإذا خرج المتوكل لأمر أخرج كتابه ومضى يقرأ فيه إلى أن يعود ، وله خزانة كتب جمعها على بن يحيى المنجم ، وكان يستقبل في داره فصحاء العرب وعلماء البصرة والكوفة .

قال الجاحظ أبو الخطاب بن دحية في كتابه (المطرب في أشعار أهل المغرب): إنما لقيت جماعة من أصحابه وحدثوني عنه بتصانيفه وعجائبه ، ولكنه كان خليع العذار في دنياه . وقيل أنه لما عزم على تأليف كتابه (قلائد العقيان) جعل يرسل إلى كل واحد من ملوك الأندلس ووزرائها وأعيانها من أهل الأدب والشعر والبلاغة ، يسأل انفاذ شيء من شعره ونظمه ونثره ، وكانوا يعرفون شره وثلبه فكانوا يخافون وينفذون إليه ذلك ومعه صرر الدنانير فكل من أرضته صلته أحسن في كتابه وصفه ، وكل من تغافل عن بره هجاه وثلبه .

وقالوا كثيراً بالتناقض بين خلقه وكتاباته : ووصفوا خلقه بالرقة بما وصف كلامه في مؤلفاته كالسحر الحلال والماء الزلال ، وقيل قتل ذبحاً في مسكنه بمراكش ٥٢٩ أمر بقتله أبو الحسن علي بن يوسف بن تاشفين .

الفضل بن عياض

« أحق الناس بالرضاء عند الله تعالى أهل المعرفة بالله ، لا ينبغى لحامل القرآن أن يكون له إلى مخلوق حاجة ـ لم يدرك من أدرك بكثرة صيام ولا صلاة وإنما أدرك بسخاء الأنفس وسلامة الصدر والنصح الأمة ـ خير العمل أخفاه ، أمنعه من الشيطان وأبعده عن الرياء ـ لا عمل لمن لا نية له ولا أجر لمن لا حسبة له ».

كان (أبو على الفضل بن عياض بن مسعود) فى أول أمره شاطراً يقطع الطريق بين أبيورد وسرخس، ثم أصبح صوفياً زاهداً بلغ من أمره أن قال أبو على الرازى عنه: صحبت الفضيل ثلاثين سنة، ما رأيته ضاحكاً ولا مبتسما إلا يوم مات ابنه على ، فقلت له فى ذلك قال: إن الله أحب أمراً فأحببت ذلك الأمر وكان ولده شابا سريا.

ولد بأبيورد ، وقدم الكوفة وسمع الحديث بها ثم انتقل إلى مكة وجاور بها إلى أن توفى عام ١٣٧ هـ . حدث سفيان بن عيينة، قال: دعانا الرشيد فدخلنا عليه ودخل الفضل آخرنا مقنعاً رأسه بردائه فقال : ياسفيان وأيهم أمير المؤمنين فقلت هذا وأومأت إلى الرشيد فقال له : يا حسن الوجه ، أنت الذى أمر هذه الأمة فى عنقك ، لقد تقلدت أمراً عظيما ، فبكى الرشيد .

وقال له الرشيد : ما أزهدك : قال : أنت أزهد منى ، لأنى أزهد فى الدنيا وأنت تزهد فى الآخرة ، والدنيا فانية والآخرة باقية : وفشل الرشيد فى أن يمنحه شيئاً ، وهو يوزع بدراته على العلماء والشعراء ـ حدث سفيان بن عبيد قال له : يا أبا على أخطأت ألا أخذتها وصرفتها فى أبواب البر فأخذ بلحيتى وقال: يا با محمد: أنت فقيه البلد والمنظور إليه وتغلط هذا الغلط ، لو طابت لأولئك لطابت لى. ومن كلامه . إذا أحب الله عبداً أكثر غمه . وإذا أبغض الله عبداً وسع عليه دنياه . وقال. ترك العمل لأجل الله هو الرياء ، والعمل لأجل الناس هو الشرك، أنى لأعصى الله تعالى فأعرف ذلك فى خلق حمارى وخادمى ، لوكانت لى دعوة مستجابة لم أجعلها إلا فى إمام لأن صلاح الإمام أمن العباد .

قتيبة ابن مسلم

أحد الأعلام الذين كان كل منهم علامة على مرحلة من مراحل الطريق الطويل وعنوان صفحة من صفحات المجد الاثيل . وإذا كان عقبه بن نافع قد اندفع فى قلب أفريقيا حتى وصـــل المحيط ودفع حوافر فرسه فى المـــاء فأن قتيبة المسلم المغامر قد اندفع من مزارع الزيتون فى الشام حتى وصل حدود الصين ولولا أن قتيبة كان من المجاهدين الذين وهبوا أنفسهم للفداء لما ذهب إلى أقصى الارض . ولما قطع هذا الطريق الطويل يفتح الحصون ويزلزل القلوب ويذل الاعداء كان الجهاد امنيته فما أن ولاه الحجاج على خراسان حتى بدأ يتطلع إلى الفتح فخرج إلى بلخ ثم أغار على الصغد ، وقاتلهم قتالا شديداً فانهزموا وتفرقوا . ثم واصل فتوجه حيث فتح بخارى بعد قتال جبار . ثم سار إلى فرغانه فأستولى عليها . وبلغ خجنده فاشتبك مع أهلها فى حرب طاحنة ثم جاز منها حتى أشرف على كاشان . وهكذا ظل يقطع الطريق فى قلب آسيا متجهاً إلى الصين . فقد كان ذلك أمله . وبعث إليه الخليفة يشجعه على المضى فى طريقه ويقول له « اتمم مغازيك وانتظر ثواب الله . فسار إلى حدود الصين على رأس جيش كثيف وأرسل إلى ملكها وفداً فأعادهم الملك ساخراً وقال لهم قولوا لصاحبكم ينصرف فأنى قد عرفت حرصه وقلة أصحابه وإلا ابعث عليكم من يهلككم ويهلكه . قال هبيره كيف يكون قليل الاصحاب من أول خيله فى بلادك واخرها فى منابت الزيتون وكيف يكون حريصا من خلف الدنيا وغزاك . أما تخويفك أيانا بالقتل فأن لنا آجالا إذا حضرت فأكرمها القتل فلسنا نكرهه ولا نخافه : فلمـــا أحس الملك بأنهم جادون قال له ما الذى يرضى صاحبك قال له هبيره أنه حلف إلا ينصرف حتى يطأ أرضكم ويختم ملوككم ويأخذ الجزية . قال الملك فأنا نخرجه من يمينه فنبعث إليه بتراب من تراب أرضنا فيطؤه ونبعث بعض أبنائنا فيختمهم ونبعث إليه بجزية يرضاها . ثم دعا بصحاف من ذهب فيها تراب وبعث بحريرة وذهب وأربعة غلمان أبناء ملوكهم ثم إجاز الوفد فساروا حتى قدموا عليه .

قطـــز

واحد من أعلام المسلمين المجاهدين المماليك الذين قاموا فى سبيل مجد مصر والعرب والإسلام بدور ضخم وشارك فى عدد من المعارك التى دفعت بها مصر عدوان الفرنجة والتتار . قاتل فى دمياط وسار على رأس الجيش إلى عين جالوت، بعد أن أمن الثغور المصرية من هجمات الصليبيين وردم مصب النيل فى دمياط حتى لا تعبر السفن وأقام حامية ضخمة من جيشه فى ثغر الاسكندريه وفى عين جالوت عندما التقى المسلمون والتتار اندفع قطز بقواته وأطلق من حنجره تلك الصيحة المدوية الخالدة :

« واسلاماه . . واسلاماه » فأثارهم المجاهدين ودفعهم إلى الاستماتة فى سبيل النصر .

وسقط من فوق فرسه خلال المعركة ولكنه وثب وثبة رائعة على فرس آخر تنحى له عنه أحد المحاربين وواصل حمل الراية والاندفاع فى صفوف العدو حتى قتل القائد التترى كتبغا وبعث برأسه إلى القاهرة . وكان قتل القائد هزيمة للجند الذى تفرقت صفوفهم وانفرط عقدهم .

وكان قطز يجل شيخ الاسلام عز بن عبد السلام الذى كان يورث قلوب المجاهدين بعبارات الإيمان والشهادة والفداء غير أن قطز لم يلبث بعد أن عاد منتصراً أن ذهب ضحية مؤامرة دبرها له بيبرس مع فريق من أعوانه فقتلوه فى الطريق .

قراقوش

أن ما يسجله التاريخ له عنه بعيد كل البعد عما تسجله الأسطورة وقد وصفه صلاح الدين بأنه الراجح الرأى الناجح السعى ، الكافى الكافل بتذليل الجوامح وتعديل الجوانح . وهو الثبت الذى لا يتزلزل .

وقال عنه ابن مسعود : كان ذا همة عالية ، كان بهاء الدين قراقوش ساعد صلاح الدين ووزيره الادارى الحازم . وقد أولاه ولاية مصر فترة غيابه فى دمشق فوطد الامور ، وقام بأعظم الأعمال الإنشائيه .

وانشأ قلعة الجبل على سفح المقطم عام ١١٧٤ وحفر بئرها العجيبة لتمدها بالماء . وبنى سوراً عظيماً يضم القلعة ومدينتى مصر والقاهرة وأزال عدداً كبيراً من القبور والمساجد التى تعترض خطط السور . وبنى قناطر الجيزة العظيمة على النيل على مقربة من الأهرام .

ولما استولى صلاح الدين على ثغر عكا ندب قراقوش لاصلاحه فاعاد بناء أسواره وقلاعه وكان يحشد مئات الالوف من العمال والأسرى والعبيد التى تعمل قسراً حتى اشراف الغرقاء .

ولعل هذا هو الذى جعل اسم « قراقوش » رمزاً على الظلم الصارخ .

وقيل أن اسم قراقوش معناها بالتركية « النسر الاسود » . وقد أسره الفرنجة فافتدى نفسه بعشرة آلاف دينار وقال ابن خلكان أنه برىء مما نسب إليه وأن ما قيل عنه موضوع لا حقيقة له « وقره قوش » كلمة تركية معناها « العقاب » الطائر المعروف .

وقد عاش قراقوش بعد وفاة صلاح الدين حتى مات عام ١٢٠١ .

وقد نسبت إليه رسالة الفاشوش ، غير أن ابن خلكان رفضها وقال إنها من كتابة الأسعد بن مماتى .

ابن القيم

الرجل الذى حمل دعوة أستاذه ابن تيمية وأذاعها وحماها ، وكان قلمها البارع وكاتبها اللامع . فقد غلب عليه حب ابن تيمية حتى كان لا يخرج عن شيء من أقواله ، فانشر عليه عما صنفه من التصانيف واعتقل معه وأهين وطيف به محمولا على جمل مضروباً بالدرة ، فلما مات ابن تيمية أفرج عنه وامتحن محنة أخرى بسبب فتاوى ابن تيمية أيضا .

عرف بأنه جرىء فى الرأى ، لا يحابى ، يصدع بالحق ، يقيد نفسه بالأدلة الصحيحة ، كان يطيل الصلاة ، ويجلس للافتاء ، وكان إذا صلى الصبح جلس مكانه يذكر الله حتى يتعالى النهار ويقول بالصبر والتيسير .

كشف زيف مفاهيم الفلاسفة الماديين وقاوم الفكر اليهودى والنصرانى المنحرف وأتيح له أن يقرأ كثيراً فقد جمع الكتب فحصل منها علما لا يحده ، حصر ، وكان طويل النفس فى كتاباته ، يسهب جداً ويورد النصوص ويرد عليها ويدلل من كلام شيخه ، وملكته فى الكتابة قوية وعبارته عذبة وسياقه جميل ، ويقوم رأيه على الدليل والانصاف ، لم يعول على المقولات التى لا دليل عليها وقد هاجم الفرق كالصوفية والجهمية واعتبرها خارجة على الإسلام .

ومن مؤلفاته أعلام الموقعين ، وطريق السعادتين ، وشرح منازل السائرين ، ومصائد الشيطان ، وحادى الارواح إلى بلاد الأفراح ، والصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة .

هو محمد بن أبى بكر بن أيوب : ولد ٦٩١ هـ ١٢٩٢ م فى دمشق أخذ الفرائض عن أبيه والأصول عن الصفى الهندى وابن تيمية ، برع فى جميع العلوم وفلق الأقران واشتهر فى الآفاق . له مصنفات كثيرة فى الفكر الإسلامى وقضاياه فى مقدمتها أعلام الموقعين وبدائع الفوائد وحادى الارواح .

ومن كلماته قوله : لا بد للسالك من همة تسيره وترقيه . وعلم يبصره ويهديه ، ومن قوله : بالصبر والفكر تنال الإمامه فى الدين ولابد للسالك من همة تسيره وترقية وعلم يبصره ويهديه (توفى ٧٥١ هـ ١٣٥٠ م) .

ابن قتيبة

قال ابن خلدون : سمعنا من شيوخنا فى مجالس التعلم أن أصول الأدب وأركانه أربعة دواوين : وهى أدب الكاتب لابن قتيبة، والكامل للمبرد، والبيان والتبيين للجاحظ، والنوادر لأبى على القالى. » هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى . سمى الدينورى لأنه كان قاضيا بدينور . ولد عام ٨٢٨ ﻫ بالكوفة وأخذ عن أبى حاتم السجستانى اللغة والنحو والشعر . اشتغل بالتدريس فى بغداد — توفى عام ٨٨٩ ﻫ له مصنفات متعددة منها أدب الكاتب وطبقات الشعراء وعيون الاخبار وغريب القرآن وغريب الحديث ومشكل القرآن ومشكل الحديث ودليل النبوة والنقفية والخيل والاشربة ونسب إليه كذباً كتاب الإمامة والسياسة . وكتابه عيون الاخبار فى عشرة أجزاء : السلطان والحرب والسؤدد والطبائع والاخلاق والعلم والزهد والاخوان والحوائج والطعام والنساء . نشره بروكلمان فى برلين عام ١٩٠٠ .

وقد افتتحه بقوله :

« لم نزل نلتقط هذه الأحاديث فى الحداثة والاكتهال عمن هو فوقنا فى السن والمعرفة وعن جلسائنا وإخواننا وعمن هم دوننا غير مستنكفين فان العلم ضالة المؤمن من حيث أخذه نفعه » . صنف « أدب الكاتب » لأبى الحسن عبيد الله ابن يحيى بن خاقان وزير المعتمد على الذين للمتوكل على الله . كما صنف كتاباً فى الرد على المشبهة . وله كتاب معانى الشعر فى ١٢ مجلداً .

توفى وهو على القضاء ، قيل أكل هريسة فأصابته حرارة . ثم صاح صيحة سمعت من بعد ثم أغمى عليه ومات .

قال نقاده « إن كتابه : أدب الكاتب خطبة بلا كتاب وكتابه اصلاح المنطق كتاب بلا خطبة » .

القرطبي

عرف بتفسيره الضخم الذى طبع بالقاهرة فى ثلاثين مجلداً ، قال عنه الذهبى أنه امام متفنن ، متبحر فى العلوم ، له تصانيف مفيدة تدل على سعة اطلاعه ، قال عنه صاحب شذرات الذهب : أنه كان إماماً علماً من الغواصين على معانى الحديث، حسن التصنيف ، جيد النقل ، ترك مؤلفات شتى أهمها كتابه فى التفسير (جامع أحكام القرآن) ، ليس من الذين يقفون عند حد النقل بل يعمل فكره فى الاستدلال والاستنباط ، بدأ تفسيره بخطة واضحة رسم فيها منهجه قال : لما كان كتاب الله هو الكفيل بجمع علوم الشرع الذى استقل بالسنة والفرض رأيت أن أشتغل به مدى عمرى ، بأن أكتب فيه تعليقاً وجيزاً يتضمن نكتا من التفسير واللغات والاعراب والقراءات والرد على أهل الزيغ والضلالات وشرطى: هو إضافة الأقوال الى قائلها ، والأحاديث إلى مصنفيها وقد أضربت عن كثير من قصص المفسرين إلى مالا بد منه » وقد راجع وبحث كل ما سبقه من أعمال المفسرين كما بحث ترتيل القرآن وقراءاته وفضائله له كتاب (دعاء التذكار فى أفضل الأذكار) ما زال محفوظا بدار الكتب ، وله مؤلفات مخطوطة أخرى منها: التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة . وله شرح أسماء الله الحسنى . ولد محمد بن أحمد بن أبى بكر بقرطبة بالأندلس وتلقى ثقافة واسعة فى الفقه والنحو والقراءات وهاجر إلى مصر واستقر بها وأقام فى منية ابن خصيب (المنيا) بالصعيد ، وقضى حياته بين العبادة والتأليف وتوفى بها ٦٧١ وترك ولده شهاب الدين أحمد . ويرى القرطبى أن إيقاف التفسير على السماع فاسد ، يقول : باطل أن يكون المراد ألا يتكلم إنسان فى القرآن إلا بما سمعه ، إنما النهى عن تفسير القرآن يحمل أحد وجهين : أحدهما أن يكون له فى الشىء رأى وإليه ميل من هواه والوجه الثانى أن يتسارع إلى تفسير القرآن بظاهر العربية من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق بغرائب القرآن ويعمل فكره فى الاستدلال ولا يكتفى بالنقل .

القزوينى

« كيف يقوم هذا الحيوان الضعيف (النحل) بعمل هذه المسدسات المتساوية الاضلاع التى يعجز عن مثلها المهندس الحاذق مع الفرجار والمسطرة . ومن أين له هذا الشمع الذى اتخذت منه بيوتها المتساوية التى لا يخالف بعضها بعضاً كأنها أفرغت فى قالب واحد . ومن أين لها هذا العسل الذى أودعته فيها ذخيرة للشتاء وكيف عرفت أن الشتاء يأتيها وأنها تفقد فيه الغذاء وكيف اهتدت إلى تغطية خزانة العسل بغشاء رقيق ليكون الشمع محيطاً بالعسل من جميع جوانبه فلا يجففه الهواء ولا يصيبه الغبار » .

(هو أبو عبد الله بن ذكريا بن محمود القاضى من سلالة أنس بن مالك . ولد ٦٠٥ م فى قزوين ورحل إلى دمشق وهو شاب ، تعرف إلى ابن العربى والابهرى وتولى قضاء واسط والحلة فى زمن المستعصم العباسى وسقطت الكوفة وهو فى هذا المنصب كان إماما فى الحديث عارفاً بعلومه . طاف العراق ومكة والشام ومصر . أبرز كتبه : (عجائب المخلوقات وعجائب الموجودات) فى ثلاثة عشر مجلداً ضم أبحاثا مستفيضة فى الجغرافيا والفلك وتحدث عن السماء والأفلاك والقمر والكواكب والبروج والملائكة و لزمان والرياح والبحار ومخلوقات الحيوانات والأرض والنباتات والطيور والمعادن — وهو دائرة معارف واسعة ترجم إلى الفارسية وطبع فى الهند كما ترجم إلى الألمانية والفرنسية.

ومن أهم ما ذكره فيه مما لا يعرفه زمنه : « النفط » . وقال أنه يطفو على الماء. وله كتاب آثار البلاد وأخبار العباد جمع فيه ما عرف وسمع وشاهد من خصائص البلاد والعباد وله (آثار البلاد وأخبار العباد) . وقد أتاحت له هذه المؤلفات مكانة مرموقة حتى أطلق عليه لقب هيرودوت العرب . كان حجة فى القضاء والفقه وله تفسير للقرآن . والقزوينى بفتح القاف وسكون لزاى وكسر الواو وسكون الياء المثناة من تحتها نسبة إلى قزوين وهى أشهر مدن العجم (توفى ٦٨٢)

القلقشندى

من كتاب الموسوعات العربية الذين خلفوا كتابا من الكتب الجامعة وهو من الاعلام الذين رسموا الخطوط الأساسية للانشاء العربية وفنون الكتابة والصفات التى يجب توافرها فى الكاتب وقدم لهؤلاء الخامات الأساسية التى تلزمهم فى صناعتهم بما ييسر لهم العثور على المعلومات الأولية بغير جهد كبير .

يقول : كنت فى حدود سنة ٧٩١ عند استقرارى فى كتابة الإنشاء بأبواب الشريفة السلطانية وقد انشأت مقامه بنيتها على أن لا بد للانسان من حرفة يتعلق بها ومعيشه يتمسك بسببها ، وإن الكتابة هى الصناعة التى لا يليق بطالب العلم من المكاسب سواها ، ولا يجوز العدول عنها إلى ما عداها . وجنحت فيها إلى تفضيل كتابة الإنشاء وترجيحها وتقديمها على كتابة الاموال وترشيحها.

(هو أحمد بن على القلقشندى ، ولد فى قلقشندة إحدى قرى مديرية القليوبية على بعد ثلاثة فراسخ من القاهرة ونشأ بالقاهرة فتفقه ومهر فى الكتابه وصناعة الإنشاء . أفضل تصانيفه (صبح الأعشى) فى قوانين الإنشاء فى ١٤ مجلداً ضم فنونا كثيرة فى التاريخ والأدب ووصف البلدان والممالك ، ضم فصولا فى فضل الكتابة ومدلولها وصفات الكتاب وآدابهم وحقيقة ديـــوان الإنسان وما يحتاج إليه الكاتب والمسالك والممالك وذكر الخلفاء والديار المصرية والاسماء والكنى والألقاب والفواتح والخواتم واللواحق والمكاتبات والولايات والبيعات والعهود والوصايا الدينية والمسامحات) .

وله : حلية الفضل وزين الكرم فى المفاخرة بين السيف والقلم .

وله : قلائد الجمان فى التعريف بقبائل عرب الزمان ، وفى ١٨

الكسائي

قال الخليل بن أحمد : وأجمل فى النحو « الكسائي » محدثى ومن بعده القراء ما عشت سرمداً ، ذلك أن الكسائي فى سبيل إيمانه بالعلم ضرب فى الفيافى والقفار باحثا جامعا للغة من أفواه أهلها . وجرت بينه وبين سيبويه وأبو يوسف محاورات وأبحاث : هو « على بن حمزة بن عبد الله بن عثمان » ولد ١١٩هـ نزباحمشا بلدة بالجزيرة بين دجلة والفرات . قرأ القرآن وتعلم علوم اللغة واتجه إلى تعلم القراءات على شيخه حمزه بن حبيب الزيات وخرج إلى البصرة ولقيه الخليل ابن أحمد : الذى تتلمذ عليه ، قال من أين أخذت علمك هذا : قال من بوادى الحجاز ونجد وتهامه ، وكان خرج فى رحلته دون أن يعلم أحداً من أهله وغاب وطالت غيبته فاقاموا عليه النوآئح . وقد عاش فى البادية زمنا حتى شجت وجهه وبرزت عظامه ثم دفعه الحنين إلى وطنه ورأى وفاء منه إلا يرد منزله حتى يقابل أستاذة حمزة فى المسجد .

وقالوا : أنه انفذ فى هذه الرحلة خمس عشر قنينة من الحبر فى الكتابة سوى ما حفظ . وكان فصيح اللسان ضرب فى علوم العربية والقرآن بسهم وافر ، وله عشرات المؤلفات منها كتاب القراءة — متشابهات القراء — العدد — النوادر الوسط — الهجاء — المصادر .

وقد حمله الرشيد من طائفة المجالسين المؤانسين له وقبل جرفته التيارات السياسية فى عصره . وسمى الكسائي لأنه دخل الكوفة فجاء إلى المسجد ،وتقدم مع آذان الفجر فجلس وهو ملتف بكساء من البرد أسود ، فلما صلى حمزة قال من تقدم فى الوقت يقراء قيل له الكسائي أول من تقدم (أى صاحب الكساء) .

(توفى ١٨٩ هجرية) .

كمال الدين يونس

قال ابن خلكان إنه « من كان يدرى فى الحكمة والمنطق الطبيعى والإلهى . وكذلك الطب . ويعرف فنون الرياضة من أقليدس والهيئة والمخروطات والمتوسطات والمجسطى ، وأنواع الحساب المفتوح منه والجبر والمقابلة وطريق الخطأ بين الموسيقى والمساحة معرفة لا يشاركه فيها غيره ، إلا فى ظواهر هذه العلوم دون دقائقها والوقوف على حقائقها واستخرج من علم الأوفاق طرقا لم يهتد إليها أحد » ذلك هو كمال الدين يونس ، أحد عباقرة علماء العرب ، الذى ولد فى الموصل (١١٥٦) وتفقه على والده فى النصف الثانى من القرن الحادى عشر الميلادى ثم قصد إلى بغداد وأقام بالمدرسة النظامية ، ثم عاد إلى الموصل حيث عكف على الاشتغال بالعلوم الدينية والعقلية . وكان يدرس فى المسجد ، ويرجع إليه الأمراء والملوك فى المسائل العلمية ، وقد استعان به ملوك الأفرنج فى مسائل النجوم ، وقد أرسل إليه الامبراطور فردريك الثانى فقصد إليه فى ثياب رثة ، وما عنده خير من أموال الدنيا . وحل المسألة الهندسية التى طرحها على العلماء وكان هو صاحب الرأى الأصح ، وكان متواضعا ذو روح علمى صحيح ، سما العلم بنفسه وصقل روحه ، آمن بأن العلم يزكو بالانفاق ، ولذلك كان يجيب على كل ما يصله من مسائل من بغداد أو غيرها . وقد عنى بتاريخ العرب وأيامهم ، فقد كان يحفظ الشىء الكثير من أشعارهم ووقائعهم بالجملة فان مجموع ما كان يعلمه من العلوم لم يسمع عن أحد ممن تقدمه أنه جمعه وقد سبق كمال « غاليلو » فى معرفة بعض القوانين التى تتعلق بالرقاص . وقال عبد اللطيف البغدادى إنه لما لم يجد فى بغداد من يأخذ من علمه ويملأ عينيه ويحل ما أشكل عليه قصد إلى الموصل (٥٨٥ ﻫ) حيث لقى فيها كمال الدين يونس فوجده متبحرا فى الرياضيات والفقه عالما . وقال معاصروه إنه يدرى أربعة وعشرين فنا دراية متقنة .

أبو الكلام أزاد

أنه أكبر المتعمقين فى دراسة اللغات العربية والأردية والفارسية . وزعيم جمعية علماء الهند — وقد أشرف على دائرة المعارف التى عملت على إحياء التراث العربى النفيس . أحد صانعى التاريخ فى الهند فى الثلاثين عاما السابقة لاستقلال الهند . وهو خامس خمسة فى تاريخ الهند : غاندى وباتـــل ونهرو وجناح وأبو الكلام ازاد . خاض جميع المعارك واشترك فى جميع المفاوضات التى انتهت باستقلال الهند ، ومنذ عام ١٩٢٠ عمل مع غاندى وظل معه طوال حياته ، وقد وصفه غاندى بأنه أعظم العلماء معرفة بالاسلام وأنه باحث متعمق فى اللغة العربية وأن وطنيته تبلغ قوة إيمانه بالاسلام . وقد عرف بأنه الخطيب الذى يهز المشاعر فى الاجتماعات والمحافل . وهو الزعيم المبرز فى حزب المؤتمر الهندى الذى كان رئيسا له عام ١٩٢٣ وأعيد انتخابه عام ١٩٣٩ ثم أصبح وزيراً للتعليم عشرات سنوات حتى توفى فى ٢١ فبراير ١٩٥٨ وهو من المؤمنين بالهند جملة واحدة وأسرة واحدة . ولد فى ١١ نوفمبر ١٨٨٨ فى مكة المكرمة من سلالة الشيخ جمال الدين الذى كان يحظى بتقدير فى بلاط الامبراطور أكبر ثم عاد والده إلى كلكتا حيث تلقى تعليمه . وحفـــظ القرآن واجاد اللسانين العربى والأردى .

وقد حضر إلى مصر فاندمج فى الأزهر ، ثم عاد إلى كلكتا بعد عامين وتأثر باليقظة السياسية فى البنغال .

وأنشأ عام ١٩١٢ مجلة الهلال الأسبوعية باللغة الأردية ، ووقع بامضاء « ازاد » وقد فسر القرآن ولاقى تفسيره رواجا فى جميع أنحاء العالم الاسلامى

وقد بلغ أبو الكلام ازاد حداً عاليا من الثقافة حيث تعمق فلسفات الشرق والغرب وأثر بقوة قلمه فى الحركة الوطنية فى الهند والمناطق المجاورة لها .

عبد الكريم الخطابي

بلغ قمة البطولة فى معركة « أنوال » فقد قاوم الفرنسيين بقواته المحدودة وألحق الهزيمة بجيش قوامه ٢٠٠ ألف جندى كامل العدة والعتاد . وكان نتيجة معركة أنوال (١٩٢١) أن اهتزت أسبانيا رعبا وفزعا واهتزت الدول الاستعمارية وبدأت فرنسا تجهز ١٠٠ ألف جندى لتطبق بهم من الشرق والغرب . وانتصر عبد الكريم على الأسبان ، هنالك عمدت فرنسا إلى خدعة ماكرة فقد وحدت صفوفها مع أسبانيا فأحكما معا الحصار على الوطنيين فى (مايو ١٩٢٤) وقاوم عبد الكريم ما وسعته المقاومة ، ولم يستسلم إلا بعد أن نفدت مؤنته ولم يعد هناك سبيل للمقاومة . . ولقد عاش فى معارك طوال حياته فقد احتل الأسبان شمال المغرب عام ١٩١٢ فهب والده للدفاع عنها واشترك معه وظل يحارب من بعده ١٩٢٤ وقد سجن فى فجر جهاده ووضع فى قلعة أحد عشر يوما فحاول الهرب فكسرت ساقه وفرض عليه السجن الانفرادى من جديد بضعة شهور . وقد عرف بالحذر واليقظة والكتمان ، لا يبوح بخطته إلا عند تنفيذها ، وعندما اعتقلته فرنسا ١٩٢٦ قدمت له عهداً مكتوبا بالأمان ولكنها لم تلبث أن أسرته ونفته إلى جزيرة ريفيون حيث قضى عشرين عاما بها ، ثم تقرر نقله ١٩٤٧ إلى منفى آخر وأعلنت فرنسا كذبا أنها أطلقت سراحه شريطة أن يقيم فى باريس، فلما بلغت الباخرة بور سعيد فى ٢٩ مايو ١٩٤٧ ، نزل الأمير إلى الشاطىء وآثر الإقامة فى مصر وقد عرف عبد الكريم أنه رجل حرب وجلاد ، وهو إلى ذلك زعيم مجاهد يهز القلوب ويفعل بالنفوس فعل السحر ، وكان موضع إعجاب جنوده ، وحب شعبه عاش عامـــلا فى ميدان الكفاح السياسى فى سبيل إكمال تحرير بلاده . وكان فى أول شبابه قد أعلن فى صراحه أنه ينادى بالجهاد ضد الحلفاء وقدم استقالته من الوظيفه لإداء الواجب الوطنى .

كامل كيلانى

قال أحمد شوقى يصف كامل كيلانى « : إنه كعقرب الثوانى قصير ولكنه سريع الخطى . منتج يأتى بدقائق الامور . » بدأ حياته الادبية وفق أسلوب يوحى بأنه الطبيعى بين صفوف الادباء . وكان اتجاهه إلى التاريخ أغلب حيث كتب عن ملوك الطوائف ومصارع الخلفاء ومصارع الاعيان . ولكنه اتجه إلى الشعر فقال شعراً ما زال يخفى أطليه ويحتفظ به . ثم بدأ يراجع ابن زيدون وابن الرومى . ثم اتصل بالادب الاندلسى واتجه بعد ذلك بعنف إلى المعرى حيث عاش معه طويلا وتأثر به حتى غدا رفيقه فى كل لحظات حياته . ولكن كامل كيلانى قفز مرة واحدة إلى فن قصص الاطفال بعد أن أنفق صدراً من حياته وأرسى أمكانياته الفكرية جميعا فى جوها وكرس لها وقته وجهده منذ أكثر من ثلاثين عاما . وقد بلغ به الجهد أن توقف بصره فجأة ثم رده الله إليه فى شبه أعجوبة أسطورية مصدرها إيمانه وشغفه بالعمل الذى كان رائده الاول وابرع فرسانه وهناك ميادين كثيرة اقتحمها رواد أبرار وما يزالون يمسكون بزمامها : التاريخ القومى والرافعى . وقضية قناة السويس ومصطفى الحفناوى . الحوار وتوفيق الحكيم . قصص الاطفال وكامل كيلانى . ولم يكن الاتجاه جديداً عنده أو دفعة مصدرها الإحساس بالفراغ فى مجاله ، ولكن كيلانى كان قد عاش مع الاسطورة منذ فجر حياته ؛ قرأ ذات الهمة وعنترة وسيف بن ذى يزن وفيروز شاه وحمزة البهلوان والظاهر بيبرس وهى فى مجموعها ١٧٠ كتابا تبلغ مائتى ألف صفحة . وقد تمددت هذه الرؤى وتجمعت واختلطت فى أعماقه وعاشت فترة حضانة طويلة ثم لم تلبث أن انبعثت فى عمل ضخم بلغ حتى الآن ألف قصة لم يطبع منها أكثر من مائتين . وقد أعانه على ذلك الجهد دأب متصل واطلاع واسع ، والمام وافر باللغتين الفرنسية والانجليزية إلى عمق فى اللغة العربية لا يقل فيه عن مقام الخليل بن أحمد أوسيبويه إلى ذهن لماح يجمع بين المتشابه والمتناقض على السواء يحب فى العربية شخصيتين : المعرى وجحا ولعل أبرز أعماله الاخيرة هو تقديم القصة مع ترجمتها الفرنسية والانجليزية حتى ينتفع بها من الدار البيضاء إلى أندونيسيا .

الليث ابن سعد

قال ابن وهب : لقيت ثلاثمائة عالما وستين ولولا مالك بن أنس والليث ابن سعد لضللت فى العلم . وقال الشافعى : ما فاتنى أحد فأسفت عليه ما أسفت على الليث . وقال : الليث أفقه من مالك ولكن أصحابه لم يقوموا به، وفى رواية « ضيعه قومه » . وكان ابن وهب يقرأ عليه مسائل الليث فرت به مسألة فقال رجل من الغرباء : أحسن والله الليث ، كأنه كان يسمع مالكا يجيب فيجيب هو. فقال ابن وهب الرجل : بل كان مالك يسمع الليث يجيب فيجيب هو . والله الذى لا إله إلا هو ما رأينا أحداً قط أفقه من الليث .

وقال الليث : كتبت من علم بن شهاب الازهرى علماً كثيراً وطلبت ركوب البريد إليه إلى الرصافة فخفت أن لا يكون ذلك لله تعالى فتركته. وقال. صلاح بلدنا إجراء النيل وصلاح أمرها ، ومن رأس العين يأتى الكدر ، فاذا صفا رأس العين صفت العين . وكان يقول لأصحابه . تعلموا الحلم قبل العلم .

ولد أبو الحارث الليث بن سعد بن عبد الرحمن ، عام ٩٤ هـ فى قلقشنده من قرى مديرية القليوبية . مولى قيس بن رفاعة وأصله من أصبهان سمع من نافع مولى عمر فى مكة ورحل إلى العراق فأخذ من علمائه كان دخله فى العام خمسة آلاف دينار توزع فى الصلات. قال منصور بن عمار : أتيت الليث فأعطانى ألف دينار . وأهدى إليه الإمام مالك صينية بها تمر فأعادها مملوءة ذهبا . وكان يتخذ لأصحابه الفالوزج . وقيل لم تجب عليه زكاة قط، وكان منفقا يهب الالوف وكانت له فلك تجرى فى البحر ، وقال رجاء بن قتيبة : قفلنا مع الليث بن سعد من الاسكندرية وكان معه ثلاث سفائن . سفينة فيها مطبخه وسفينة فيها عياله وسفينة فيها أضيافه . رد هبة الرشيد وكان قد أمر له بخمسة آلاف درهم وقال ادفعها لمن هو أحوج منى . كان أبرز أعماله الفقهية الاتجاه إلى الناحية الخلقية الروحية مغرماً بحفظ الحديث والشعر عن الولاية والقضاء . مات عام ١٦٥ .

لسان الدين الخطيب

جادك الغيث إذا الغيث همى   يا زمان الوصل بالأندلس
لم يكن وصلك إلا حلما   في الكرى أو خلسة المختلس

هذه زفرته الحارة التي أرسلها عندما اضطر إلى الهرب مخلفا أرض أندلس الحبيبة على نفسه بعد أن وقع في قبضة السلطان الجديد لولا أن سلطان المغرب مهد له في مدينة فاس أرضا صالحة خصبة . ذلك أنه كان مقربا إلى أبو الحجاج يوسف فلما خلفه ابنه اختلف معه وأراد التنكيل به وتأزم الوضع في غرناطة ضد لسان الدين ، وحمل الفقهاء والعلماء من أعدائه ضده ، يرسلون عنه هجر القول ويروجون حوله التهم . وقد قاد الفتنة العمياء ضد تلميذه « ابن زمرك » الذي نشأ وترعرع على يديه ويعود لسان الدين وهو لا يدرى ماذا حدث، ويجتمع له العلماء يقررون مصيره . وحملت إليه الفتيا وهو في السجن : لقد أفتوا بقتله وجاءه قوم غلاظ يحملون المشاعل . وكان في الثالثة والستين من عمره وتقدم منه أحدهم ليخنقه ولكنه كان ثابت الجنان .. فلما قتل أخرجت جثته وأحرقت واتشحت ابنته بالبياض حدادا . إنه لسان الدين أبو عبدالله المشهور بابن الخطيب : أهله من الجنية الذين وفدوا على الأندلس بعد الفتح . ولد عام ٧١٣ في مدينة لوشه لقب بالخطيب لأن جده سعيد كان عالما وواعظا وخطيبا . تعلم الكتابة والشعر على يد أستاذه ابن الجياب . تقلد الوزارة وديوان الانشاء للسلطان أبي الحجاج فكان موضع ثقته . كما سفر في بلاد المغرب عند السلطان أبي عنان المريني ملك المغرب رأس وفد أندلسي للاستنصار به على مقاومة ملوك الفرنجة . ولما ساءت العلاقات بين بلاط غرناطة وبلاد فاس بالمغرب كان ضحية هذا الخلاف فعزر وعذب أمام الملا . ثم دس عليه من قتله خنقا عام ٧٧٦ هـ . من كتبه الاحاطة في أخبار غرناطة ، وأعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام .

محمد بن القاسم الثقفى

هزته أنباء الهزيمة التى منى بها من ساروا إلى ثغر السند فمضى مندفعا إلى هذا الوجه غازيا فى سبيل الله فاتحا فى عشرين ألفا . حيث مضى متتبعا الساحل حتى وصل إلى الديبل بعد أن قطع صحراء كرمان ومكران . وقد نصب مجانيقه الضخم وراح يضرب الصنم الأكبر الذى أقامه أهل الديبل عظما أياه . وكان يرتفع فوق هذا الصنم ساريه ضخمة عليها راية حمراء واسعة الأطراف وبعد أن نفض الديبل . سار يريد زاهر عظيم السند وجيشه فاستولى فى طريقه على مدينة السرو . وعبر نهر مهران حيث واجه الملك وجيشه على ظهور الفيلة . وتصدت خيول العرب لفيلة الهند التى هربت بعد أن أمر محمد بن القاسم بمواجهتها بقذائف النفط الملتهب فهاجت وأحرقت هوادجها وألقت من كان عليها من الجند وقتل زاهر .

وقد تحقق النصر لمحمد بعد أن استولى على الملتان أعظم بلدان السند العليا ولما يبلغ الثالثة والعشرين من العمر .

وفى الوقت الذى لمع فيه اسمه وخفقت به القلوب مات الحجاج ووليه الوليد ابن عبد الملك وتولى الخلافة سليمان الذى كان يبغض الحجاج وأهله فجاء الأمر بعزله وقدم الوالى الجديد يزيد بن أبى كبشة فأخذ ابن القاسم بالعنف فقيد فى الأغلال، ووضع فى المحبس والحديد فى يديه ورجليه وثار أهل السند من أجل ابن القاسم ولكن خصومه أمعنوا فى التنكيل بـه فنقلوه إلى مدينة واسط ليظل سجينا فى اصفاده . ليسام العذاب صباح مساء . وقد تلقى محمد السجن والعذاب صابرا محتسبا شجاعا . وانتهى الأمر بأن ألصقت به تهمة أخذ بها وقتل . ويقال أنه وضع فى أديم بقرة ثم خيط عليه الأديم وحمل إلى دمشق ففاضت روحه ...

محمد الفاتح

سجل محمد الفاتح إسمه فى أبرز صفحات التاريخ بحادث واحد فرد ضخم عجز عنه خلفاء الإسلام قرونا طويلة . هو فتح القسطنطينية وهو أمر لم يكن بتخيله متخيل لأنه أقرب إلى المستحيلات .

كانت القسطنطينية رمز الحضارة الغربية وملاذ الديانة المسيحية فمنذ وقعت فى قبضة الأتراك بدأت صفحة جديدة التاريخ وكان محمد هو كلمتها الأولى .

عرف منذ شبابه بحبه التفوق وميله للسيطرة والطموح وحسن معالجة الأمور وكان مثله الأعلى الاسكندر المقدونى . ورث عن أبيه الجلد والشجاع وشدة المراس والصبر على المكاره وشغف منذ صباه بأمور الحرب وحصار المدن وعرف بعزوفه عن الترف وأحب الخشونة فى طعامه وملبسه وأخذ نفسه بالعظيم من الأمر . فلم تكن له محظيات . ولم يألف مجالس الندماء . وكانت العزلة حبيبة إلى نفسه فطهرتها من عوامل الانحلال التى عرفتها قصور الملوك والخلفاء . عاش سنوات يدرس مختلف الاحتمالات لفتح القسطنطينية يكتم أسراره حتى بدأ التنفيذ فى قوة وأحكام .

ولعل أبرع ما فى خطته كلها نقل البواخر الحربية الضخمة من بحر إلى بحر ومن بوغاز إلى بوغاز وفق أسلوب لم يعرف من قبل فى الحرب . حتى لقد فاجىء العدو أعنف المفاجأة فعجز عن مقاومة خطة جريئة لم يكن يحسب حسابها .

وقد نجح الغزو من البر والبحر بالرغم من القلاع الضخمة وقوة العدو ولما دخل محمد الفاتح القسطنطينية إتجه إلى كنيسة أياصوفيا وقبل أن يدخل بابها سجد على الأرض شكراً لله . ثم حمل حفنة من ترابها ووضعها على رأسه فلما أتم صلاته ودعاءه نهض فدخل الكنيسة وأحالها مسجداً وجمع فيها رجاله . فصلوا صلاة الفتح وأصبح يوم ١٥ ابريل ١٤٥٣ يوما خالداً .

محمد السادات

هذا هو زعيم القاهرة عام ١٧٩٨ الذى أزعج الفرنسيون وقبض عليه وحكم عليه بالقتل . فلما نجا عاد فاشعل ثورة القاهرة عام ١٨٠٠ .

كان السادات جريئاً فى الحق لإيهاب السلطان . وقد عرف عنه أنه وقف فى وجه الظلم قبل الحملة الفرنسية وإزاءها وقد رفض عضوية الديوان الذى أنشأه نابليون لذلك اضطهده الفرنسيون وفرضوا عليه غرامة فادحة فرفض أن يدفعها فقبضوا عليه حيث وضع فى سجن القلعة وهو فى الخمسين من عمره . وترك ينام على الأرض ويتوسد حجراً . وفى خلال ذلك صودرت أملاكه ونهب منزله فلما لم تكف أمواله سداد الغرامة الى قدروها عليه . مضوا يعذبونه فى سجنه فكانوا يضربونه كل صباح وكل مساء خمس عشرة جلدة . وكانوا يضربونه أمام زوجته إمعاناً فى الظلم فكان يلقى ذلك كله قويا باسمه صابرا محتسباً حتى اجتمع أهل القاهرة مسلمين وأقباطاً وجمعوا الغرامة المفروضة عليه وقدموها حتى يفرج عنه ولكنه رفض أن يقبل المال وظل فى سجنه .

ولما أفرج عنه بعد قتل الجنرال كليبر ترضية للشعب ضيق عليه وأمر بأن لا يبرح منزله . ولكنه مع ذلك ظل يؤجج الثورة ضد الغاصبين فقبض عليه مرة أخرى ووضع فى سجن القلعة فظل به حتى خرج الفرنسيون من مصر .

والسيد السادات كان طوال حياته لسان صدق قاوم سلطان العثمانيين عام عام ١٧٨٦ وعارضهم وصارحهم بظلمهم وهو أعزل . ثم قاوم الفرنسيين ونالة فاضطهادهم وخاصم محمد على عندما تحول إلى ظلم الرعية توفى عام ١٨٠٨ .

محمد كريم

فى مثل هذه الايام من عام ١٧٩٨ استشهد هذا المصرى المجاهد بعد أن مضى يؤلب على الحملة الفرنسية التى كانت تحتل مصر إذ ذاك ويقاومها فى استبسال لا يفت من عزمته التهديد أو الوعيد ... وفى خلال عام منذ قدمت الحملة الفرنسية إلى مصر وهو يكافح دون ابن . ويجاهد دون هوادة . لا يعرف الأمن ولا الراحة . . يقدم ماله وجهده كله فى سبيل إقلاق هؤلاء المحتلين ... وتنغيص إقامتهم وتمزيق كل جبهة يحاولون إقامتها . كان محمد كريم هو المصرى الأول الذى التقى بالأسطول الفرنسى عند وصوله إلى الاسكندرية . ولم يضيع الرجل لحظة واحدة . فقد بدأ يعمل مع الصيادين والعمال فوق حصون الاسكندرية ليرد الفرنجة عن حمى الوطن .

وظل كريم يتلقى ورجاله نيران المدافع الموجهة إلى صدورهم دون أن يتزحزحوا ولكن أنى للبنادق والسيوف والحراب القديمة البالية .. وشظايا الأحجار فى مقاومة أسلحة نابليون الحديثة التى استطاعت أن تدك القلاع والحصون . ولكن محمد كريم لم يستسلم فبدأ معركة أخرى فى مداخل الإسكندرية لمقاومة قوات نابليون ... واستطاع أن يهزم الثائرين .. وحمل إلى نابليون الذى حاول إغراءه وكسبه إلى صفه .. بأن أطلق سراحه ورد إليه سيفه . ولكن انى لكريم أن يخون وطنه . لقد عاد إلى تغذية حركات المقاومة بكل ما يملك من قوة .. بالأسلحة والمال .. وهناك فى الصحراء بعيداً عن العيون كان يعمل دائبا لا يتوقف .. يعد المجاهدين ويدربهم ويقدمهم إلى صفوف المقاومة التى لم تنقطع يوماً واحداً . وتزعم كريم حركة واسعة فى سبيل المقاومة السلمية حين حاول كليبر احتلال دمنهور إذ سرعان ما اختفت دواب الحمل وقرب الماء .. ولم يجد الفرنسيون رجلا واحداً يعاونهم أو يقدم لهم شيئاً . وكان من نصيب الحملة الهزيمة المنكرة . ولم يلبث الفرنسيون أن قبضوا عليه وحاكموه محاكمة صورية وحكموا باعدامه إلا إذا افتدى نفسه بثلاثين ألف ريال . ورفض كريم المساومة وقال: إنى أضحى بنفسى فى سبيل وطنى . وقدم دمه فداءاً لمصر .

محمد عبيد

من حق البطل محمد عبيد علينا أن نذكره فقد دافع بحرارة وإيمان فى التل الكبير واستشهد فى هذه الموقعة ، وقدعشنا طويلا نذكر عرابى والبارودى وعلى فهمى. وننسى هذا الأميرالاى الشهيد الذى كان بطلا لواقعة قصر النيل أولى وقائع الثورة

فمنذ ما قبض على أحمد عرابى وعلى فهمى وعبد العال حلمى وأودعوا قشلاق عابدين نهض محمد عبيد بجنود الآلاى زاحفا على قصر النيل لاطلاق سراح زملائه وقد حقق هذا فكان أول نصر الثورة العرابية .

وقد عرف عبيد بالشجاعة والوفاء فظل سنداً لعرابى فى خطواته كلها حتى جاء يوم التل الكبير وهاجم الإنجليز معسكر المصريين فجأة . واضطرب بعض المجاهدين نتيجة لطابع الذعر ، وكان محمد عبيد كالطود . فقد أدى واجبه فى ثبات حتى النهاية وقاتل الإنجليز بحماسة وصدق على رأس آلايين من الجنود واستشهد مع جنوده فكتب صفحة من البطولة الصامتة القوية .

ومحمد عبيد من أبناء كفر الزيات وقد اتجه منذ شبابه إلى الجيش إيماناً منه بوطنه . وكان من خصوم عثمان رفقى الذى وضع اسمه فى قائمة المغضوب عليهم فظل وضعه أقل مما يستحق بكفاءته وجهاده ولكنه لم يلن ولم يذهب مذهب الزلفى بل ظل صامداً لمخاصمة هذا القائد الارناءودى الذى كان يكره مصر وكفاياتها ولم يكن عبيد يطمع فى مركز أو مظهر ولكنه كان يطلب الشهادة لوجه الوطن خالصه وقد أعطيها عن جدارة . . ولم يخلف عبيد ذرية . . وليس له قبر معروف. ولم تخلد ذكراه على أى وجه من أوجه التخليد لقاء ما قدم لوطنه من بطولة . وأننا لنرجو أن يتاح لهذه البطولات التى كافحت فى ظل المرحلة الاولى من ثورة مصر الكبرى أن تجد مكانها وذكراها . . وذلك بتحديد قبورها وتخليد أثارها

وقد سبق أستاذنا عبد الرحمن الرافعى فطالب بانشاء مقبرة لرفات الشهداء المصريين فى التل الكبير وهم يعدون بالألوف، تليق ببطولاتهم ومكانتهم فى تاريخ مصر

١٣ سبتمبر ١٨٨٢ .

محمد فريد

قال رسول المعتمد البريطاني لمحمد فريد وهو سجين :

ــ أنا أسعى للعفو عنك .

ــ هذا أمر مستحيل .

ــ أنا لا أطلب منك تغيير مبادئك بل تخفيف لهجتك .

ــ لا أوافق

وانصرف رسول المعتمد البريطاني وترك محمد فريد يمضي الشهور الستة التي حكم عليه بها لأنه كتب مقدمة ديوان « وطنيتي » . وخرج محمد فريد من سجنه ليكتب في حماسة ويواصل الكفاح دون أن يبالي شيئاً .

ولما أرسل له الخديو يقول له أنه يريد التعاون معه لمقاومة كتشنر ممثل بريطانيا أجاب فريد في صراحته وجرأته : إني على استعداد لأن أتعاون مع أي مصري غير أن الخديو لم يقدم للبلاد شيئاً . ويوم يقف الخديو في وجه بريطانيا سيجدني في جانبه ولكني لا أريد أن يكون الحزب الوطني وسيلة يلوح بها للانجليز حتى يعودوا إلى سياسة الوفاق ! » .

ومضى محمد فريد في طريقه يخطب ويدعو الناس إلى الدستور ويطالبهم بارسال العرائض إلى القصر مطالبين به مؤمنا بأنه لا يريد منه إلا وضع حد لاستبداد الخديو وطغيانه . ولكن إصراره على دعوته هذه قد دعا خصومه إلى التفكير في التخلص منه بالسجن أو الاغتيال .

وهاجر محمد فريد من مصر بلده التي أحبها وعاش في الخارج مهاجراً مغترباً فقيراً ينتقل بين تركيا وألمانيا وبلاد أوربا المختلفة يدعو لمصر ويدافع عن حقها وحريتها . وضحى فريد في سبيل مصر بكل ما يملك (ألف ومائتي فدان) وبضع عمارات وبضعة ألوف من الجنيهات ولما غادر مصر كانت كل هذه الثروة قد أنفقت ولم يترك منها لأهله شيئاً .

١٥ نوفمبر ١٩١٩ .

مصطفى كامل

فى ١٠ فبراير من عام ١٩٠٨ توقف قلب مصطفى كامل عن الخفقان .. وصمت اللسان الناطق وتوقف القلم الثائر .. وانطوت زهرة هذا الشباب عن أربعة وثلاثين عاما بعد جهاد موصول استمر أكثر من عشرة أعوام خصبة عريضة وضع خلالها بذوراً كثيرة فى تربة الوطنية المصرية فقد كان مصطفى أول صوت ارتفع بعد الاحتلال فأعاد الأمل إلى قلب رجل الشارع بعد أن أوشك على التقاعس والانطواء .. أعاده فى صورة عاطفية حلوة تهز القلوب وتأخذ الألباب .. هذا الصوت المجلجل الذى كان ينادى « بلادى .. بلادى .. لك حبى وفؤادى » والذى مضى يكتب ويخطب .. فأنشأ « اللواء » أول يناير سنة ١٩٠٠ فكان رائد الصحافة الوطنية الخالصة .. وذهب مصطفى يضرب فى أقطار أوربا فكان فكان أول مصرى يحمل علم الدعوة إلى الحرية فى باريس وبرلين وبروكسل .

وإذا ذكرت ثورة ١٩١٩ ، هذه الهبة القوية الضخمة التى هزت أوربا ، فإن الفضل الأول فيها راجع ولا شك إلى كفاح مصطفى وزميله الذى تلقى منه اللواء محمد فريد . وإذا ذكرنا « الجلاء » فإن مصطفى هو أول من ردد هذه الكلمة ثم اختفت هذه العبارة بعده عندما فرضت المدرسة الحزبية — التى ورثت أمجاد ثورة ١٩١٩ فبددتها — لغة جديدة مبهمة هى « الاستقلال التام أو الموت الزؤام » .

ولد مصطفى فى حى الصليبة فى ١٤ أغسطس سنة ١٨٧٤ ، فى هذه اللحظات الحرجة من تاريخ مصر ، فى أبان الصراع بين عرابى والخديو والإنجليز . فى الوقت الذى كانت بريطانيا تتأهب فيه لضرب مصر ضربتها ، وفى سن الثامنة من عمره وقف عرابى فى ميدان عابدين يقول للخديو الكلمة الخالدة « لسنا عبيداً ولن نورث بعد اليوم » ، ثم توالت الأحداث التى هزت مصطفى من الأعماق ودفعته إلى العمل . ولا ننسى أنه تلميذ عبد الله نديم .

١٠ فبراير ١٩٠٨ .

المراغى

أنه واحد من أعلام التجديد الدينى والنهضة الفكرية فى محيط الأزهر وأحد ثلاثة أو أربعة لمعوا فى هذا المحيط وكان لهم أثرهم الضخم العميق. وأبرز ما يتميز به المراغى أنه كان حصيفا ذكيا عميق الفهم للحياة يربط بينها وبين الدين فى قوة وفى رفق فلا ينفصل عن التطور، ولا يتخلف عن الحضارة. وهو من هذا النفر القليل من خريجى الأزهر وأبنائه الذين استطاعوا أن يزاوجوا بين الحياة والدين فى هذه الفترات التى قذفت الحضارة ببريقها الخاطف إلى الشرق وحار الناس فى الطريق الذين يسلكونه، أيمكن الجمع بين الدين والدنيا. أم سيلخفوا فى حدود قيودهم وتقاليدهم ومظاهرهم القديمة. أم يذهبوا مع الحضارة فى خطواتها السريعة المتلاحقة وقد كان المراغى آية الآيات فى تطويع الحضارة للدين وتذليل العقبات فى سبيل هذا اللقاء. وقد دفع الأزهر دفعة قوية وحرره من كثير من قيوده القديمة التى كانت تضطره إلى التوقف كثيرا وتعوقه عن التقدم وتحول بينه وبين مجاراة الحياة فى تطورها.

كان قاضيا فى السودان له مواقف مشهورة فى حفظ كرامة الدين وكرامته حين رفض أن يستقبل جورج الخامس إلا على قدم المساواة مع حاكم السودان وحين التقى به لم ينحن له مواقف أخرى فى تاريخ الثورة فى السودان حين كانت مشتعلة فى ١٩١٩ وكانت له مواقفه مع الأحزاب وزعمائها وكلها تدل على إعتداده بالكرامة وإجلال للدين. وله مواقف أخرى فى ميدان الحياة تدل على التجدد النفسى والاجتهاد والحيوية والمرونة، إلى أسلوب عربى نقى جديد، لا تعقيد فيه ولا غموض. وبيان ناصع واضح وموقف مشهود مع فاروق ذهب ضحيته فى ١٥ رمضان.

٢١ أغسطس ١٩٤٥.

مصدق

الرجل الذى كتب إسمه بحروف من نور فى تاريخ الشرق وتاريخ المقاومة للاستعمار : أبرز مواقفه تأميم البترول والحيلولة دون السيطرة الأجنبية .

المتقشف المريض . الذى يأكل قليلا . ويختلط فى كيانه المرض والحماسة الملتهبة والذى استطاع بأسلوبه العجيب أن يعيد سلطان إيران على آبار البترول .

بدأ مصدق كفاحه ضد الإنجليز منذ وقت باكر . عندما عاد من أوربا بعد حصوله على دكتوراه فى العلوم السياسية والاقتصادية، كان ذلك سنة ١٩١٩ حيث بدأ يهاجم الانجليز الذين وقعوا مع الشاه فى ذلك الوقت معاهدة تجعل إيران أشبه بالمستعمرة فأرسل إلى المنفى ثم أعيد عام ١٩٢٠ ليعين حاكماً لإحدى المقاطعات ولكنه سرعان ما اصطدم بالحكومة فى طهران اصطداما كان يهدد بحرب أهلية وفى عام ١٩٢٢ كان وزيراً للمالية . ولعله هو الرجل الوحيد الذى أعلن فى صراحة وجرأة رفضه لتعيين رضا خان إمبراطوراً لإيران وظل يقاوم الشاه ويعارضه . . ولما رأى أن سلطان الشاه قد ازداد إعتزل فى مزارعه ثلاثة عشر عاماً كاملة . . لم يقطعها إلا بزيارة لبرلين للعلاج .

وفى عام ١٩٤٠ عاود نشاطه ومضى ينتقم من الشاه عدوه القديم فقبض عليه ثم أفرج عنه بعد أربعة أشهر ونصف حيث خرج عاجزاً عن المشى .

وفى نفس العام دخل الروس والانجليز إيران . وبعد أربع سنوات كاملة قام مصدق بأول حركة سياسية بعد الاحتلال عندما أصدر بياناً دعا فيه إلى عدم منح أية امتيازات بترولية جديدة . فلما انسحب الروس والانجليز من إيران تفرغ لمقاومة أقدم خصومه الانجليز وألح على تأميم البترول .

وقد استطاع مصدق بعد اثنين وثلاثين عاما من كفاحه أن يؤمم البترول . . ولكن الرجعية كانت أقوى منه فذهب إلى السجن ليقضى ثلاث سنوات ولكن بعد أن عرف العالم كله عظمته وسجل التاريخ أثره الكبير فى رفع معنوية الشرق لمقاومة الاستعمار بقوة . .

محمد بن عبد الوهاب

تلميذ ابن تيمية ، الذى هو تلميذ أحمد بن حنبل ، دعا دعوة جديدة ، كان لابد أن يحتمل فى سبيلها كل عنت . لقد طوف بالبصرة وبغداد وكردستان وهمذان واصفهان وقم ، ثم اعتكف عن الناس بعد عودته ثمانية شهور ثم خرج عليهم بدعوته الجديدة . وقد كانت دعوته هى عودة الاسلام إلى بساطته الأولى ، ومحاربة الوساطة والشفاعة والقبور حربا لا هوادة فيها ، وقد عمل بعنف وقوة ومضاء فى استنكار استغاثة الناس بالقبور وسكانها ولما بدأ دعوته فى « العيينة » هجرها إلى الدرعية مقر آل سعود ، حيث وفق إلى ربط الدعوة بالسلطان حين اتصل بآل سعود . وقد خشيت الدولة العثمانية من نجاح محمد بن عبد الوهاب واكتساحه ، فأرادت أن تضربه بدعوة أخرى فى مصر ، فسيرت محمد على لمقاتلته ، وانتصر الوهابيون على محمد على ثم انهزموا ... ولكنهم لم يلبثوا أن عادوا مرة أخرى فحققوا رسالتهم ودخلوا مكة وهدموا الكثير من القباب . وقد انتشر المذهب الوهابى فوصل إلى الهند فأذاعه السيد أحمد خان وإلى المغرب فدعا إليه السنوسى وإلى اليمن فحمله الشوكانى . وفى كل مكان حل فيه محمد بن عبد الوهاب قوبل بالانكار والحرب وقد حدث له ذلك فى البصرة والاحساء ، وحاول البعض قتله ليلا فى حريملاء . وفى العيينة استطاع بفضل تعضيد عثمان بن حمد بن عمران أن يجهر بدعوته ، وأن يأمر بالمعروف وأن يشدد على الناس ويقطع الأشجار التى كانت تعظم ولكن عثمان لم يلبث أن أخرجه بعد أن هدده حاكم الاحساء بقطع خراجه فصار إلى الدرعية ١١١٦ واتصل بمحمد بن مسعود فاكرمه وعظمه واغتنم نصرته ، وقد تعاهد الرجلان على النصرة . وبايع الامير محمداً بن عبد الوهاب على الجهاد والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . وقد ظل أهل الدرعية يعملون حتى انتصروا فى نجد والاحساء وفتحوا الرياض . وقد توفى عام ١٢٠٦ .

مالك

لقيه الخليفة المنصور فى موسم الحج فقال له : يا مالك أنه لم يبق عالم غيرى وغيرك أما أنا فقد اشتغلت بالسياسة . فأما أنت فضع للناس كتابا فى السنة والفقه تجنب فيه رخص ابن عباس : وتشديدات ابن عمر . وشواذ ابن مسعود

ورفض مالك أن يذعن له . وعندما عاد فى الموسم التالى اجتمع به وقال : إنى عزمت أن آمر بكتبك هذه التى وضعت فتنسخ نسخا ثم ابعث إلى كل مصر الأمصار نسخة وآمرهم أن يعملوا بما فيها ولا يتعدوها إلى غيرها .

فقال له مالك : لا تفعل فإن الناس قد سبقت إليهم أقاويل وسمعوا أحاديث ورووا روايات وأخذ كل قوم بما سبق إليهم وعملوا به ودانوا به اختلاف أصحاب رسول الله وأن ردهم عما اعتقدوا شديد فدع الناس وما هم عليه .

ذلك هو « مالك بن أنس » فقيه المدينة الذى طبقت شهرته الآفاق فازدحم الناس إليه من كل فج . وهو صاحب المذهب المعروف باسمه .

وقد كان رائع الاسلوب فى تحقيق الأحاديث وبما قال : العلم لا يؤخذ من أربعه ويؤخذ من سواهم : لا يؤخذ من سفيه ولا يؤخذ من صاحب هوى يدعو إلى بدعة ولا من كذاب يكذب فى أحاديث الناس . ولا من شيخ له فضل وصلاح وعبادة إذا كان لا يعرف ما يحمل وما يحدث به .

وقد ورث مالك عصارات علم المدينة . فتبلورت فى دراسته أفكار عمر وعثمان وعبد الله بن عمر وعائشة وابن عباس وزيد بن ثابت ولم يخرج مالك من المدينة . وعاش يحرر كتابه « الموطأ » مدى ثلاثين عاما « يضيف إليه ويحذف منه كلما اتسع علمه وبلغ فى تحقيق بعض الروايات منزلة اليقين وهذا من شمائل العالم المتجدد مع الزمن .

محمود أبو العيون

الخطيب الذى أوقد حماس الشعب فى ثورة ١٩١٩ ، والكاتب الذى هاجم البغاء والعرى ، وقاد المظاهرات الشعبية . وتعرض للرصاص وألقى فى السجون والمعتقلات . كان مدرسا فى الأزهر إبان الحرب الأولى. فلما انجلت عن ذلك الغدر لحقوق مصر ثار هو وحفنة من زملائه دراز والبنكارى وعبد ربه مفتاح وجعلوا من الأزهر بؤرة الثورة وكان هو أقواهم حماسا وأنشطهم حركة وفى يوم ١٤ مارس ١٩١٩ اجتمعوا لتدارس الموقف ، فقد أطلق الإنجليز الرصاص على الخارجين من مسجد الحسين فقتل عدد كبير ، وما كاد الشيخ أبو العيون يلمح الجرحى والمصابين والقتلى حتى هزه الحادث ودعا إلى الأخذ بالثأر . وقال وأن هذه الدماء قليلة . ويجب أن تكون أكثر وأغزر ، ومضى يحرض على الانتقام ومنذ ذلك اليوم بدأ منبر الأزهر يغذى الثورة . ورأى الإنجليز خطره فاعتقلوه مرتين . وعلى منبر الأزهر التقى القمص سرجيوس ويوسف الجندى ونجيب اسكندر وعبد المجيد بدر وزكى مبارك ومحجوب ثابت . وفى يوم ١٨ ابريل خرجت من الأزهر مظاهرة رهيبة لم تستطع القوات البريطانية قمعها رغم ما لجأت إليه من وسائل العنف وقد سقط عشرات الشهداء . وقد أجمع خطباء الأزهر فى ذلك اليوم على إسقاط رشدى باشا فاضطر إلى الاستقالة . وفزع الانجليز لهذه القوة الحقيقة ، وطالبوا شيخ الأزهر - وكان الشيخ أبو الفضل الجيزاوى - بأن يكتفى بفتح الأزهر فى أوقات الصلاة فرفض . وقال أن من يعمل ذلك يخرج عن دينه ووطنه . وقد خدع أبو العيون وأصحابه الإنجليز فالتجأوا إلى مسجد ابن طولون حيث عقدوا مؤتمرهم ثم عادوا إلى الأزهر مرة أخرى فدخلوه من طريق سرى غفل عنه الانجليز هو زاوية العميان الملحقة بالأزهر وفوجىء الانجليز بمظاهرة ضخمة خارجة من الأزهر لم يحسبوا لها حسابا . وكتب الشيخ بعد الثورة بعنوان « مذابح الأعراض » داعيا إلى إلغاء البغاء وقد توفى ٢١ نوفمبر ١٩٥١ .

محمد كرد علي

في ٥ إبريل عام ١٩٥٣ لقي « كرد علي » ربه بعد حياة طيبة خصبة فقد بدأ يشتغل بالصحافة العربية عام ١٨٩٦ ومعنى هذا أنه أمضى أكثر من نصف قرن وهو يكتب . وقد كانت دعوته إلى الكشف عن دفائن المدنية العربية والحضارة العربية في وقت واحد ، في مختلف ميادين العلم والاجتماع والتاريخ والأدب ، وقد ظل يعمل هو في سبيل هذه الفكرة في مختلف المجلات التي أصدرها في دمشق ومنها المقتبس والظاهر ومن صحف القاهرة البلاغ والمؤيد .

وقد ظل قلمه حتى نهاية حياته الطيبة ينبض بالحياة ويتجاوب مع التطور وهذه عبارته في منهاجه كتبها عام ١٩٢٤ « إن مفاتيح كنوز الأجداد التي انتقلت إلى النشء بالإرث الصحيح لا غنية لهم عن معالجتها بالفتح لاستحالة ما فيها والاستظهار بمعنوياتها ثم بمادياتها لأن هذا الحاضر الذي يحاول بعضهم الاقتصار عليه هو ربيب ذلك الغابر ووالده ، بل سليلة وحفيده وطريده ، والجمود على القديم هو العقم بعينه ، وقطع الصلة مع المدنية الحديثة ، مضرة ومعرة » .

وقد تولى السيد كرد علي وزارة المعارف في بلاده . وظل طوال حياته رئيسا للمجمع العلمي في دمشق كما كان عضوا في المجمع اللغوي . وله أبحاث ممتازة منها كتابه القديم والحديث ، ومذكراته الضخمة التي صور فيها الحياة السياسية والاجتماعية والأدبية في سوريا في خلال حياته . وله في الحديث عن دمشق وجمالها والغوطة وأثرها في نفوس الشعراء والفنانين كتاب ممتع . ويعد كرد علي واحداً من أولئك الرواد القلائل الذين كتبوا قصة الفكر العربي الحديث .

وهو المبرزون من التلاميذ الشيخ طاهر الجزائري ، وهو منشئ مجمع اللغة العربية في دمشق ، وصاحب الجولات الواسعة في التاريخ والأدب وعجب الاسلام والعرب .

محمد عبده

مفتاح شخصيته معرفته لجمال الدين الأفغانى وصداقته له وإن كان قد اتجه وفق مقومات طبيعته الحماسية غير وجهة جمال فقد آمن جمال بالحكومة الثورية واعتقد محمد عبده أن الإصلاح يأتى بالتربية ولمحمد عبده حياتان تختلفان اختلافا واضحا . حياته قبل النفى وحياته بعده . كان فى الحياة الأولى مضطربا بين صديقه رياض وبين العرابيين . كان مع العرابيين فى أول الأمر ثم انصرف عنهم ثم عاد إليهم آخر الأمر فلما نفى عاش ستة سنوات بين سوريا وباريس واشترك مع جمال فى إصدار العروة الوثقى .

ثم سعى له للعودة إلى مصر فلما عاد عاش صديقا لكرومر وخصما للخديو وقد لعن ساس ويسوس وعضى ينشىء هو وسعد زغلول وقاسم أمين فى صالون نازلى فاضل جبهة كان لها أثرها فى نقطة التحول التى بدأت فى أول القرن العشرين وكان من أبرز نتائجها صدور كتاب تحرير المرأة .

ومضى الشيخ عبده يعمل على تنقية الدين من الشوائب وتقريب المسلمين من الحضارة الحديثة . وسعى إلى إصلاح الأزهر واشترك فى إنشاء مدرسة القضاء الشرعى وعرف بصراحته فى فتاواه الدينية للقرآن بما يطابق أحكام العقل ويحرر الإسلام من قيود التقليد ويأخذ الشيخ رشيد رضا على محمد عبده أنه ضيع الفرصة عندما طلب إليه الخديو عباس أن يطلق يده فى إصلاح الأزهر فى مقابل أن يطلق هو يده فى الأوقاف الأهلية وق . رفض الشيخ عبده هذا فكان أن أقصى عن العمل ، واستطاع الخديو بعد ذلك أن يطلق يده فى الأوقاف وفشل مشروع إصلاح الأزهر توفى (١٩٠٥)

المسعودى

كنت أمس أقرأ فى (مروج الذهب) قصة المسعودى حيث يصور رحلته فى أعماق بحار الصين والروم يراها أقل مما شاهد . والقلزم وما أصابه من أهوال يراها أقل مما شاهد من هول فى بحر الزنج وفيه السمك المعروف بالأروال حيث يبلغ طول السمكة نحوا من ٤٠٠ ذراع .

ويروى الادريسى فى نزهة المشتاق قصة عجيبة عن حلم رآه الخليفة الواثق حيث رأى فى المنام أن السد الذى بناه الاسكندر ذو القرنين والذى يقع بين بلاد المسلمين وديار ياجوج ومأجوج قد فتح فأرعبه المنام فأرسل على الفور سلمان الترجمان ليتفقد السد فسار من مدينة (سر من رأى) ومعه خمسون رجلا ومائتا بغل تحمل الزاد والمال . وانتقل عبر أقاليم أرمينية والسرير واللان إلى بحر قزوين فى ٢٦ يوما ثم ساروا إلى أرض كريهة الرائحة عشرة أيام حتى وصلوا إلى أقاليم فيه مدن خراب وانتهوا إلى جبل فيه السور المنشود يقطعه واد عرضه ١٥٠ ذراعاً وفى الوادى باب ضخم من الحديد والنحاس عليه قفل طوله سبع أذرع وارتفاعه خمس أذرع وفوق الباب بناء إلى رأس الجبل . وكان رئيس تلك الحصون يركب كل جمعة ومعه عشرة مع كل منهم مرزبة يضرب بها القفل ضربات ليسمع من يسكنون خلفه فيفهمون أن الباب حفظه .

وبعد : فأين مكان هذه القصة الغريبة من حقائق الجغرافيا .

ابن ماجد

هو الربان العربي الذى اتخذه فاسكو دى جاما و لذى طاف حول الارض من ماليندى على ساحل أفريقيا الشرقية إلى قاليقوت (كلكتا) فى الهند فكان صاحب الفضل الأول فى تحقيق الانتصارات الباهرة التى نسبت إلى دى جاما .

وقد أخذ ابن ماجد الذى وصف بأنه (أسد البحر الهائج) الملاحة أبا عن جد وكتب عدة رسائل عن الملاحة فى البحر الأحمر كان لها أثرها فى النجاح الذى حققته الملاحة البرتغالية فى القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلادين .

وتضمنت آثاره المكتوبة طريق سير السفن فى البحر بمعرفة منازل القمر . وهبوب الرياح . ومعرفة القبلة . وكيفية الاستدلال بمنازل القمر والبروج عن البلاد التى يقصدها المسافر .

وقد أورد فى مؤلفاته أسماء نجوم بنات نعش وسهيلا والناقة والجارين والعيوق والعقرب والنسر والاكليل والسماكين و هو (ابن ماجد) ثمرة كفاح الحضارة الاسلامية طوال تسعة قرون فى ركوب البحر فقد طافوا محيطات العالم . ومهروا فى صناعة السفن وصنعوا الخرائط والمصورات البحرية وحددوا الاوقات الملائمة لخوض البحار وأوقات هبوب الرياح . واتخذوا المنائر فى المرافق واستعملوا الابرة المغناطيسية وقد وصل الاسطول الاندلسى فى عصر عبد الرحمن الناصر إلى مائتى مركب وكذلك كان اسطول الموحدين فى المغرب ووصل أسطول مصر فى أيام المعز ٦٠٠ قطعة وتمكن العرب بأساطيلهم من فتح سردينيا وصقلية وقرطبة ومالطة واقريطش كما ساحوا بسفنهم فى المحيطين الهندى والهادى . وتضحك عندما تقرأ هذا التاريخ إذا رأيت عمر بن الخطاب يحول دون ركوب البحر ويعنف عرفجة بن هرثمة لركوبه فى غزوة عمان . ووصف عمرو بن العاص الناس فى البحر بأنهم (دود على عود) .

محمد بن الأحمر

كان أمله الذى يملأ نفسه ويسيطر عليه أن يجمع كلمة الأندلس وأن يدمج أرضها فى مملكة واحدة ، وقد تحقق له هذا الأمل واستطاع أن طد دعائم الأندلس فيستقر فيها ملك بنى الأحمر قرنين ونصف قرن .

إنه (محمد بن يوسف بن نصر) المعروف بابن أحمر سليل بنى نصر من أعرق البطون العربية . عرف بالتواضع مع العزم والذكاء . كما اتسم بالشجاعة والإقدام . وشغف بالجهاد والمقدرة على التنظيم والبراعة السياسية .

استولى على المرية عام ٦٢٥ م ثم دخل غرناطة بدعوة أهلها وجعل بها مقر حكومته . كان ذلك عقب الحرب الأهلية التى فرقت الأندلس العربية إلى حكومات وعروش وإمارات .

وقد رأى فرديناند الثالث عشر ملك قشتالة أن ابن الأحمر هو زعيم الأندلس الحقيقى ولذلك حاول تحطيمه وداهمه واستولى النصارى على حصن أرجونة وعدة أماكن أخرى ثم حاصروا (غرناطة) ذاتها ١٢٤٤ ولكنهم ردوا عن أسوارها بخسائر فادحة .

وفى العام التالى حاصره النصارى فاضطر إلى أن يؤمن بلاده شر العدوان ويضحى باستقلاله وقتا محتفظا بأراضيه حتى يوطد دعائم إمارته، فلما استكمل قواته واجه خصومه وجمع حوله حلفاءه بنى مرين وغيرهم واستطاع أن يحطم القيد وأن يحرر مملكته وإن يهزمهم عام ١٢٦١ وأن يحقق أمله فى جمع كلمة الأندلس . وأنشأ حصن الحمراء وعرف بأمير المؤمنين وهو مؤسس مملكة غرناطة وقد ملك بنو الأحمر غرناطة وجنوبى أسبانيا من ١٢٣١ — ١٤٩١ وأولهم محمد الغالب وآخرهم أبو عبد الله . توفى عام ١٢٧٢ .

معاوية

مفتاح حياته قوله : لو كانت بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت أبدا .. إذا شدوها أرخيتها وإذا أرخوها شددتها .

كان يستلهم ما يسمى بالمعرفة النفسية ومداخل القلوب ويعرف مقاتل الناس والنغمة التي يحبونها ويستعمل ذكاءه على أوسع نطاق في كسب القلوب . وقد استطاع بأسلوبه وحكمته ومرونته أن يوطد الملك لبني أمية أكثر من مائة عام .

وكان يصل في أسلوب حكمه إلى حد الانخداع للناس أحيانا كسبا لقلوبهم . وهو أول من اتخذ الحرس والحجاب والقصور وحول الخلافة إلى ملك . وجعل ولاية العهد مشروعة من غير انتخاب وأخذ البيعة قسراً لابنه يزيد .

وصفه عمر بقوله : فتى من قريش يضحك في الغضب . ولا ينال ما عنده إلا على الرضا ، ولا يأخذ ما فوق رأسه إلا من تحت قدميه .

كان جميل الصورة . حلو الحديث ، هادىء السمت ، أنيقا . لا يضع سيفه حيث يكفيه سوطه ولا يضع سوطه حيث يكفيه لسانه . وقد اتخذ كل وسيلة إلى توطيد ملكه وسلطانه ، وكانت شربة العسل التي يقدمها قضاءاً على خصمه إحدى وسائله حتى عرف عنه قوله (إن لله جنوداً من العسل) .

ارتفع بالدولة في أيامه ، حكم أربعين عاما ، عشرون واليا وعشرون خليفة ، فأنشأ الأسطول العربي لأول مره في ألف وستمائة سفينة ورتب الشواتي والصوائف في حصار القسطنطينية وخرج مرة على رأس قيادتها . ورتب الغزو فبعث عبد الله بن سوار إلى السند والمهلب بن أبي صفرة إلى لاهور وجدد شباب الدولة الإسلامية .

وقد انتصر معاوية على (علي) لأنه آمن بسياسة الواقع وأسلوب المداوره وقال إني أعنت على (علي) بالكتمان . والمفاجأة .

المنصور

ما ذكر المنصور إلا ذكر حرصه حتى كان يطلق عليه لقب (أبو الدوانيق) وقد ضرب المثل بحكمته وحرصه على المال ، حتى أنه رأى فى داره قنديلا معلقاً وكان الموضع بين الضوء والظلمة ، فأمر بأن يطفأ . وقال : لايعاد هذا المصباح إلى هذا الموضع .عرف بضبط النفس والقدرة على مواجهة خصومه حتى أنه وقف يخطب مرة فقام رجل وقال يا أمير المؤمنين : أذكر من أنت فى ذكره فقال له مرحبا : لقد ذكرت قليلا وخوفت عظيما . وأعوذ بالله أن أكون ممن إذا قيل له أتق الله أخذته العزة بالاثم والموعظة منا بدت ومن عندنا خرجت ، وأنت يا قائلها فأحلف بالله وما الله أردت . إنما أردت أن يقال قام فقال فعوقب . وقد كان شغوفا بالبناء ، يرى بناء الدولة فى بناء العمارة وله فى ذلك ذوق رفيع عرف فى تفاصيل نظام بناء بغداد وقصر الخلد والقبة الخضراء : وقد كان يقف بنفسه من الصباح الباكر إلى المساء المتأخر لا يجهد ولا يضيق بالملاحظة والأمر . وقد وقف شهوراً على هذا الحال ، وقد أعانه على ذلك انقطاعه عن الشهوات وقوة إرادته وصلابة بنيانه وقد كان ورعا يقوم الليل ويسبغ الوضوء وهو الحاكم الأول الحقيقى لدولة العباسيين وإن كان ثانى خلفائهم . وكان أسمر اللون نحيفا خفيف العارضين ، وقوراً ، يلبس الخشن من الثياب . حسن الخلق فى الخلوة . ومن أشد الناس احتمالا لما يكون من عبث أو مزاح ، فإذا لبس ثيابه وخرج إلى المجلس العام تغير لونه وأحمرت عيناه وتغيرت جميع أوصافه حتى لقد روى عنه قوله لبنيه (إذا رأيتمونى قد لبست ثيابى وخرجت إلى المجلس فلا يدنون أحد منى مخافة أن أصيبه بشىء) وكان يؤمن بأن من قل ماله قل رجاله ومن قل رجاله قوى عليه عدوه ولم يتورع عن قتل أبى مسلم الخراسانى قائد الثورة العباسية عندما رآه ينافسه سلطانه وقال كلمته الحاسمة : إن الدولة لا يقوم فيها سلطانان . توفى ٧٧٥ م .

موسى بن نصير

القائد الذى لم يهزم له جيش قط . والرجل الذى كان يطمع فى أن يطوق أوربا فيندفع فاتحا لها من الأندلس حتى يصل إلى مقر الخلافة فى دمشق بعد أن يمر بفرنسا وإيطاليا والدولة الرومانية الشرقية . ولكن هذا الحلم لم يتحقق لأن الخليفة الوليد توفى ولم يكن موسى مرضيا عنه من الخليفة الذى تلاه . عندما ولى الوليد الخلافة اختاره واليا على افريقيا عام (٨٩ هـ) فاستولى على طنجة وولى عليها (طارق بن زياد) وأنشأ أسطولا بحريا فصار فى استطاعته رد اعتداء الروم ، بل صار له التفوق البحرى . وبعث قوة استكشافية فى ٥٠٠ مقاتل تحت أمرة (طريف بن مالك) فعبروا من سبتة على سفن . واستطاع موسى أن يعد للغزو جيشا كبيرا أغلبه من البربر ، وجعل قيادته لجندى باسل هو (طارق بن زياد) الذى أخذ فى حشد قواته التى ١٢ ألف مقاتل ، وعبر من (سبتة) إلى الأرض الخضراء . وقـــد انتصر طارق فى المعركة الأولى الفاصلة فى خلال سبعة أيام وقتل (لذريق) وانتصرت القوة المعنوية الاسلامية على القوة العددية الفرنجة وبقى موسى يوالى النجدات والامدادات ويسيطر على الموقف ويتابع المعركة ، ومضى طارق فى الغزو وفض المدن والقلاع واستكمل الفتح وعندما قسم طارق جيشه وقصد على رأس فرقة منه إلى طليطلة عاصمة القوط وبعث منعث بن الحارث إلى قرطبة ودفع الجيش الثالث إلى غرناطة والرابع إلى مالقة ، وأحس موسى أن الساعة الحاسمة أقبلت فاستخلف ولده على القيروان ، وعبر أسبانيا على رأس ثمانية عشر ألفا من العرب والبربر حتى وصل إلى أشبيليه عاصمة الرومان فاستولى عليها والتقيا معا وانطلقا لاستكمال غزو الأندلس حتى بلغا جبـــال البرانس وقضينا على دولة القوط فى أيبريا وصارت بيد وخضعت بلاد الأندلس لحكم المسلمين . توفى ٧١٦ م .

المهدى بن تومرت

رأس الموحدين وقائدهم وإمامهم : الزاهد الورع معظم العامة المنتسب إلى آل البيت ولد فى بلاد السوس الأدنى جنوب مراكش عام ١٠٩٢ ، ثم رحل إلى الأندلس فى حداثته لطلب العلم . ثم يمم شطر الشرق ، ومر بمصر ودرس بها حينا ثم سافر إلى مكة وأدى الفريضة ، ورحل إلى العراق والتقى الغزالى ودرس عليه . وحصل بها كثيرا من علوم الدين واللغة وعاد إلى مصر ولقى فى الاسكندرية أبا بكر الطرطوشى الأندلسى ، وعاد إلى تونس وتنقل فى مدن المغرب داعيا إلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وقد زار فى جولة واسعة طويلة قسطنطينة وبجاية وتلمسان وفاس ومكناسة ومراكش وأغمات حيث كانت تلتف حوله الجماهير وتبايعه وقد استأثر بمشاعر الناس لأنه كان خطيبا فصيحا وداعية ورعا . وقد تم طوافه عام ٥١٤ هـ بعد أن أثار العواطف فى إحياء السنة وإثارة السخط على العهد ورمى حكومة المرابطين بكل نقيصة مما دعا إلى تحريض رجال الحكم عليه وعقد المناظرات مع فقهاء الدولة فكان ينتصر عليهم فى كل مرة . وقد نفاه على بن تاشفين إلى مراكش فاستقر حينا بين مقابر المدينة فلما حاولوا القبض عليه فر إلى أغمات وأطلق على أنصاره الموحدين عام ٥١٥ هـ والتقى فى رحلته هذه الرجل الذى اختاره لقيادة حركته : (عبد المؤمن بن على) الذى يعد من أخلص تلاميذه ومؤسس دولة الموحدين الحقيقى وقد بدأ ثورته على حكومة المرابطين عندما بعث جيشا إلى الانحاء ونشبت بينه وبين المرابطين عدة مواقع . وقد اتخذ مدينة (تينملل) قاعدة لحكومته . وفى عام ١١٢٥ هاجم مراكش عاصمة المجاهدين فى معركة هائلة انهزم فيها الموحدون ثم لم يلبث خمس سنوات أن واصل الحرب مرة أخرى حيث قضى على الموحدين نهائياً . وقد توفى المهدى فى سبتمبر ١١٣٠ م .

موسى الخازن

عندما بدأ أبو عبد الله جهاده ضد فرديناند وقف البطل موسى بن أبي الخازن وقال بلهجة حازمة : علينا أن نثق بقواتنا إذا تولينا أمرها بحكمة وحزم . لدينا عدا المشاة والفرسان والمجربين الذين اعتادوا خوض المعارك عشرون ألف فتى يغلي دم الشباب في عروقهم ، ويندفعون إلى القتال اندفاع أولئك المجربين. كانت ثقة أهل غرناطة محصورة في البطل موسى بن أبي الخازن فهو معقد آمالهم في إنقاذ المدينة من السقوط في يد العدو ، ولكن لم يكن يستطيع أن يفعل البطل شيئا مع ملك ضعيف متردد ، ولكنه كان يلهب الصدور بخطبه الحماسية ويذرب أسى على ملك يراه يتدهور سريعا في هوة العدم وفي أحد الأيام أراد موسى أن يهجم هجمة صادقة تزحزح العدو عن مواقفه ، فجمع فرسانه ولكنه ما كاد يصل إلى مقربة من صفوفهم حتى رأى المشاة يولون الأدبار عائدين إلى غرناطة فاضطر إلى التقهقر فلحق بهم الأسبان حتى أسوار المدينة . وبعد حصار دام سبعة أشهر بدأ التذمر والشكوى فقد أخذ الجوع يعض بناب أهل غرناطة فاجتمع الوزراء وأهل الشورى للتشاور في الأمر فمال أكثرهم إلى التسليم إلا البطل موسى الخازن فقد أبى عليهم هذه الهزيمة المنكرة وقال (لم نصل بعد إلى درجة اليأس لكي نسلم فلا تزال لدينا وسائل عديدة للدفاع . أن الشعب لم يضح بعد بشيء فعلام تزمره ؟ أليس الجوع أفضل من الاستعباد . أليس الموت خيرا من حياة الذل والهوان الذي تنتظره .

وعندما أرغموا على مفاوضة فرديناند طفقوا يبكون ملكهم الضائع إلا موسى ابن أبي الخازن فإنه وقف وقفة الرجل الصلب الذي لا توهن عزمه الشدائد وقال : دعوا البكاء للأطفال والنساء فنحن رجال - لقنا للقتال وعلينا أن نجاهد حتى الموت. وهو خير لنا من أن نعرض جباهنا للذل والعار ، وإني لأفضل ألف مرة استقبال الموت الشريف في ساحة الوغى على قبول هذه الشروط التي فيها القضاء على أمتنا إلى الأبد

« المثنى »

كان من قادة العرب فى معركة (ذى قار) وقد أبدى فيها من ضروب البسالة ما عجل بهزيمة العجم . وقد جمع العرب لقتال العجم عندما طالبوا بنساء النعمان بعد قتلهم إياه بطريقة غادرة . كما وحد صفوف قبائل ربيعة إزاء خطر الهجوم عليهم . جاء النبى فى أعقاب معركة أحد بمنزل أبى أيوب الانصارى وأعلن إسلامه وبراءته من عبادة الاصنام . ورجع المثنى إلى قومه يعلمهم بالبشرى ويثلج صدورهم بأنه أسلم وأصبح من أنصار محمد . وقد استطاع أن يضم إليه عدداً من الانصار والاعوان . والمثنى واحد من أبطال شيبان ، وكان يطلق عليه فارس ربيعة . وقد وجه نظر العرب إلى غزو فارس ، وكان أحد أبطالها ، وقد انتصرت جيوش العرب وهو أحد قوادها على جيوش كسرى صاحب الإيوان وقد حضر المثنى معارك الفرس مع خالد بن الوليد ، فلما انتدب خالد لفتح الشام ، تمكن المثنى من مواصلة تقدمه داخل أرض فارس ثم تابع توغله فى معاقلهم الدفاعية رغم احتدام القتال ، إذ اخترق صفوف العجم ، وسحق جموعهم الهائلة من الرجال الذين حشدوا لصد المسلمين ، ووقف غزوهم السريع . وفى معركة نهر جوبر خرج المثنى وكان يحرس الجسر عند تراجع القوات الإسلامية بعد مصرع أبى عبد الله مسعود الثقفى وكادت تحيق الهزيمة بالمسلمين لولا أن المثنى وقف على الجسر فى عدة من فرسان العرب يحمون مؤخرة الجيش فى ارتداده وأثناء عبور النهر أمام هجمات الجيوش الفارسية الساحقة . وقد أصيب فى هذه المعركة ومات متأثراً بجراحه ، وفى إبان إصابته اهتبل الفرصة فكتب تقريراً إلى سعد بن أبى وقاص يكشف له فيه من حقائق الموقف ما يعينه على الانتصار على الفرس ، وقد تزوج سعد زوجته فلما كان يوم القادسية ورأت ميمنة المسلمين تميل : هتفت تقول وأمثناه ولا مثنى للخيل اليوم . استشهد عام ٦٣٥ م .

المهلب بن أبي صفرة

قال عبد الله بن الزبير عنه : (إنه بطل العراق . وسيد الأزد) وقد كان يخلو به ويشاوره في أشد أزماته وأدق مشاكله ويقول (ليس أرجح منه عقلا وأعلى همة) وقد ولاه خراسان فتوجه نحوها عن طريق العراق، ووصل البصرة فرآها تلتهب بنيران الحرب القائمة بين قوات ابن الزبير والخوارج .

وقيل كان فاتكا جبارا أغار على الحج ثلاث مرات . واستقر في أعالي اليمن . وقد ولاه عبد الله بن الزبير القيادة لحرب الخوارج ثم كان موضع ثقة عبد الله بن مروان الذي عهد إليه بجباية الأهواز . ثم موضع ثقة الحجاج ابن يوسف الذي ولاه خراسان وكان من قبل ذلك غازيا في جيش معاوية ابن أبي سفيان .

وقد أثبت براعته الحربية التي صورها في عبارته الواضحة :عليكم في الحرب الأناة والمكيدة فإنها أنفع في الحرب من الشجاعة . وإذا كان اللقاء نزل القضاء فإن أخذ بالحزم فظهر على عدوه قيل أتى الأمر من وجهه ثم ظفر فحمد وإن لم يظفر بعد الأناة قيل ما فرط ولا ضيع ولكن القضاء غالب .

وعندما أحس بدنو الموت جمع أولاده وأخذ يوصيهم ويوعيهم فقال : اعرفوا لمن يغشاكم حقه ، فكفى بغدو الرجل ورواحه إليكم تذكرة له . وآثروا الجود على البخل ، وأحبوا العرب واصطنعوا العرب) .

وقد توفي عام ١١٦٤ .

منذر بن سعيد

كان عبد الرحمن الناصر قد انفق ٣٠٠ ألف دينار كل عام على بناء مدينة الزهراء وظل على ذلك خمسة وعشرين عاما رحلت لها زخارف الدنيا وبدائعها. وغضب (منذر بن سعيد) فقيه الأندلس ومضى ينصح لعبد الرحمن ويتناوله بالنقد جاهراً غير مبال . فأراد الناصر أن يرضى الناس فبنى مسجد الزهراء وحشد له ألف عامل . وفرشه بالرخام المرمرى . وجعل فى وسطه فوارة يجرى فيها الماء. وعندما وقف منذر على المنبر بعد ثلاث أسابيع انقطعت فيها الصلاة الجامعة قرع المنصور وقال إنه انصرف إلى الزخرفة والبناء عن غزو الأعداء ومقاتلة الفرنجة وبدأ بالآية الكريمة (أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون وإذا بطشتم بطشتم جبارين فاتقوا الله وأطيعون) وظل منذر يردد معانى الإيغال فى الترف وحب البناء والإقامة والاعراض عن الجهاد حتى دمعت عينا الناصر ، وإن كان قد عتب على منذر تقريعه . ولكن الناصر كان يقدر الإمام قدره ، ويرى له مكانته وعداله فقد ذهب المنافقون يغرونه بعزل منذر فرفض وقال (أمثل منذر فى فضله وورعه وعلمه يعزل عن إرضاء نفس ناكبة عن الرشد : (وانى لاستحى من الله الا أجعل بينى وبينه فى صلاة الجمعة شفيعا مثل منذر فى ورعه وصدقه . فقد كان منذر قاضى قضاة عصره ، إماما فقيها ، وخطيبا شاعرا ، ولى القضاء بقرطبة أيام عبد الرحمن واستمر إلى أن مات الناصر وولى ابنه الحكم فأراد أن يستعفى فلم يعرف ، وقد سجل المؤرخون له الفضل والإعجاب والثناء ، وقيل أنه لم تؤخذ عليه مدة ولايته قضية جور واحدة وعرف بالاجتهاد وكان يفتى على مذهب مالك وقد أفسح الناس فى الرأى وبسط وجوه الشريعة .

وله كتب فى القرآن والسنة والرد على أهل الأهواء توفى بقرطبة عام ٩٤٦ م.

المقرى

كل مفكر يعرف بعمل واحد من أعماله فينسب إليه ويذكر به. وكذلك أحمد بن محمد (أبو العباس المقرى التلمسانى المولد المالكى الأشعرى نزيل فاس ثم القاهرة) كما وصفته كتب التراجم يعرف بكتابه الخالد (نفح الطيب فى غصن الأندلس الرطيب) كان آية باهرة فى علم الكلام والتفسير والحديث. وفى الأدب والمحاضرات والمؤلفات. ولد فى تلمسان ونشأ بها وقرأ وحصل علمه على عمه الشيخ أبى عثمان مفتى تلمسان، رحل إلى فاس مرتين وكانت دار الخلافة فى المغرب ثم ارتحل قاصداً مكة فبيت المقدس، ورجع القاهرة، ثم كرر الذهاب إلى مكة وأملى بها دروسا عديدة ثم ورد منها إلى دمشق فأقام بها أربعين يوما وأملى صحيح البخارى ثم رحل منها إلى مصر وعاد إلى دمشق مرة ثانية وهكذا حتى أكمل خمس مرات فى الحج وله من المؤلفات غير نفح الطيب عدد من المؤلفات فى مقدمته أزهار الرياض من أخبار القاضى عياض : وقد استقر بالقاهرة فترة درس خلالها فى الأزهر وأحبه أهل مصر وعرفوا له قدره كما ألقى بعض دروسه فى المسجد الأموى . وقالوا كان يبكى السامعين بخطبه ومواعظه فيلسا وق الناس إليها وقد تحدث فى حلقاته هذه عن الأندلس ومحاسنها وتاريخها وذكرياتها، ووزيرها ابن الخطيب . وكتابه نفح الطيب الذى عرف به جدير بأن ينسب لاسمه لأنه موسوعه ضخمة عن جغرافية الأندلس وتاريخها وآدابها . فى أربع مجلدات ضخمة حشد بها المقرى كل الشذور والوثائق والرسائل والمختارات بحيث يعد مرجعا لكل سائل عن شأن من شئون الأندلس . ويرى بعض المؤرخين أن المقرى ليس مؤرخا بالمعنى الحقيقى وإنما هو أديب مصنف وكتابه هذا بما حشد فيه من الألوان المختلفة آية ذلك وحجتهم عليه — وقد توفى المقرى بمصر فى يناير ١٦٣٢ ودفن بقرافة المجاورين بالقاهرة .

محمود الفلكى

أول خريطة فلكية عن مصر كان واضعها هو محمود حمدى الفلكى العالم المصرى كان قد سافر إلى أوربا بين ١٨٥٠ — ١٨٥٩ واتصل بكبار العلماء المشتغلين بالفلك والمباحث الرياضية وقد استطاع صنع المجال المغناطيسى للأرض فى بلجيكا وألمانيا وفرنسا يقارن بين العلماء الأوربيين. وقد درس الهجرة وميلاد النبى استناداً إلى بعض الظواهر الفلكية كما رصد الكسوف الكلى للشمس الذى وقع فى ١٨ يولية ١٨٨٦ حيث سافر إلى دنقلة لهذا الغرض. وطبع رسالة عن مدينة الاسكندرية القديمة وكنوزها وضواحيها سنة ١٨٧٠ وجمع بيانات عن فيضانات النيل وتجاربه كانت أساساً لتقديرات الري ورسم عدة جداول شمسية. ورصد مرور كوكب الزهرة على قرص الشمس يوم ٩ ديسمبر ١٨٧٤. ووضع مدفع الظهر فى خط الزوال عند القلعة وكان يطلق تركيز أشعة الشمس على الفتيل عندما تكون على خط الزوال. وأنشأ على سطح بيته مزولة على جسم القطع الزائد تبين ساعات النهار وأنصاف وأرباع الساعات ووقتى الظهر والعصر. وقد أثبت فى أبحاثه أن العرب قبل الإسلام كانوا يعملون بالحساب القمرى الصرف ووضع رسالة عن الظواهر الفلكية المتصلة ببناء الهرم قادته إلى معرفة أنه بنى عام ٣٣٠٠ ق م وأنه بنى لغرض فلكى وله مباحث علمية: إنه محمود حمدى الفلكى المولود فى بلدة الحصة غربية مصر عام ١٧١٥ والذى تخرج فى مدرسة المهندسخانة المصرية وعين مدرسا بها وكان على مبارك من تلاميذه وقد عرف بمتانة الخلق والاستمساك بالدين والاعتزاز بالقومية وقد مثل مصر فى عدد من المؤتمرات الجغرافية وحضر المجمع الجغرافى فى أوربا. وعين ناظرا للأشغال العمومية فوكيلا لوزارة المعارف فناظراً للمعارف وله رسالة التقاويم الإسلامية والإسرائيلية والتنبؤ عن ارتفاع النيل عاش سبعين عاما وتوفى ١٨٨٥

الشيخ محمد رفعت

نشأ الفتى الضرير الذى كان يذهب كل أسبوع إلى حديقة الحيوان بالجيزة ليسمع صوت الأسد ويروض طبقات صوته ونغماته على (القرار) الذى يعرفه الفقهاء . والذى يمثله فى أقوى صوره «الأسد» نشأ فى حى البغالة بالسيدة زينب .

وهو واحد من أولئك الأبرار الذين لم يعرف قدرهم خلال حياتهم فعاشوا حياة التقشف والفقر والحرمان . فلما ماتوا ذكرهم الناس .

لقد راح الشيخ محمد رفعت ينهل من الفن الكلاسيكى الرفيع . وكان يحصل دائما على أسطوانات جديدة لباخ وموزارت وبتهوفن وليست، ويقضى أمسيات طويلة فى الاستماع إلى النغم الرائع

وليس أدل على عظمة صوت الشيخ رفعت من قصة الضابط الكندى الذى انتهز فرصة وجوده فى مصر خلال الحرب العالمية الثانية ، وطلب إلى مدير الإذاعة أن يسجل له مقابلة الشيخ وعندما التقى به بكى الضابط الكندى وقال : لم أكن أعلم أنه أعمى والآن عرفت سر الألم العظيم الذى يفيض به صوته الرائع

ولقد كان الشيخ رفعت بالغم من فقره عزيزاً غالى النفس عزوفا عن المادة وإلا لما رفض دعوة حيدر أباد لدى طلب منه السفر إلى الهند مع عطاء قدره مائة جنيه فى اليوم الواحد، وفضل على هذه الدعوة إحياء ليالى الفقراء بالمجان .

وكان رفعت يقرأ فى جامع فاضل باشا وهو من أوائل قراء القرآن بالإذاعة . ثم حيل بينه وبينها فترة طويلة . وقد ترك مدرسة تدين له بالفضل وتراه مذهبا جديدا فى تلاوة القرآن وفق أصوله صورة تهز القلوب وتملؤها إيمانا ورقة ومهما يكن قد قضى حياته مريضا لا يجد ثمن الدواء فإن صوته الخالد فرض نفسه بعد مماته توفى فى ٥ مايو ١٩٥٠ .

مصطفى لطفى المنفلوطى

عندما بلغ المنفلوطى الاربعين كتب يقول « الآن وصلت إلى قمة هرم الحياة. والآن بدأت انحدر إلى جانبه الآخر. ولا أعلم هل أستطيع أن أهبط بهدوء وسكون حتى أصل إلى السفح بسلام أو أعثر فى طريقى عثرة تهوى إلى المصرع الأخير هويا وما أنا بآسف على الموت يأتينى. فالموت غاية كل حى، ولكن أرى أمامى عالما مجهولا. لا أعلم ما يكون حظى منه واترك ورائى أطفالا صغاراً، أما من ورائى فالله يتولى السائمة فى مرتعها. والقطا فى أفحوصتها والعصفور فى عشه والفرخ فى وكره. » هكذا كان ينظر المنفلوطى إلى الحياة نظرة الخائف والتوجس من الموت. وقد فتن أسلوبه الشباب فى مطلع هذا القرن ويعد الزيات وطه حسين والرافعى والبشرى من تلاميذه مع فوارق لها مصدرها الآخر. والمنفلوطى علم على رأس مرحلة من مراحل الإنشاء الادبى وعلى قمة طريقة فى الأدب، وأسلوب فى التعبير ومدرسة فى البؤس والحزن والحرمان فقد خرج المنفلوطى عن الاسلوب التقليدى وأدخل إلى الادب المعانى والصور بعد أن كان الزخرف هو كل شيء. وهو وإن كان قد عاصر المدرسة المهجرية إلا أنه تحرر منها وظل محتفظا بطابعه الخاص. بدأ حياته الادبية عام ١٩٠٨ ناثراً وكاتبا. وقد نظم الشعر، وكانت له قصائد شهر فيها بالاحتلال أبرزها قصيدته فى هجاء الخديو وقد سجن من اجلها وهو من المنشئين وان لم يكن من أصحاب المذاهب الفكرية فهو من كتاب المعانى. وإن كان قد أخفق فى دراسته الازهرية فقد فتح بابا القراءة متصلة فى الادب العربى القديم ما أتاح له القدرة على أن يكون مجددا فى الأدب. واتصل المنفلوطى بالشيخ على يوسف. وكتب فى المؤيد فصول النظارات التى اشتهر بها. كما اتصل بسعد زغلول وكان صديقا لحافظ إبراهيم وإمام العبد واحمد نسيم وأحمد فؤاد وساهرهم فى قهوة افندية. واتصل بالشيخ محمد عبده توفى فى ١٢ يوليه ١٩٢٤.

مصطفى صادق الرافعى

« وأنا على كل أحوالى إنما أنظر إلى الجمال كما استنشى العطر يكون متضوعاً فى الهواء ، لا أنا أستطيع أن أمسه ولا أحد يستطيع أن يقول أخذه منى . ثم لا يدفعنى إليه إلا فطرة الشعر والإحساس الروحانى ، دون فطرة الشر والحيوانية . ومتى أحسست حال المرأة ، أحسست فيه بمعنى أكبر من المرأة ، أكبر منها غير أنه هو منها » هذه هى نفسية الرافعى فى جوهرها نفسية الشاعر الذى بدأ حياته بقول الشعر ثم تحول إلى النثر ، ولكنه ظل على عاطفته الشعرية المتصلة بالسماء وأسلوب الرافعى يدل عليه ولو أخفى اسمه . وقد تأتى هذا الأسلوب البليغ العميق الجزل بالغموض من بيئة العلم والفقه والدين التى نشأ فيها حين استمدت حياته على كتب الأدب القديم إذا أتاحت له آفته « صمم أذنيه » أن يعتكف ، فقرأ متوناً فى مدرسة الفرير . لقد كان الرافعى يحس بالنقص الطبيعى فى حاسة سمعه فعوضه بالصبر فى ميدان الحياة الحب وفى ميدان الأدب بالصراع . وهو يؤمن « بأن ذا نفس لا فيد من الحب فائدته الصحيحة إلا إذا جعله تحت عقله ليكون فى حبه عاقلا بجنون لطيف ويترك العاطفة تدخل فى التفكير وتضع فيه جمالها وثورتها وقوتها » . قرأ الرافعى فى فجر شبابه جمال الدين ومحمد عبده وصروف وغيرهم سالف لوبون وتأثر بهم . وعرف بالقدرة البالغة فى ميدان النقد حينما يتصل ذلك بأدبه . عرف ذلك فى موقفه من العقاد وطه حسين وزكى مبارك وله كتابه « على السفود » الذى تناول فيه الكتاب بقسوة ، وقد رفض الرافعى أن يعمل فى الصحف وعاش حياته موظفاً بسيطاً فى محكمة طنطا حمل لواء المعارضة للتيارات الوافدة التى دعا إليها طه حسين والعقاد وقاومها فى عنف وكان يؤمن بأنه يدافع عن العروبة والعربية والقرآن والإسلام . توفى ١٠ مايو ١٩٣٧

أبو محجن الثقفي

من الشجعان الأبطال في الجاهلية والإسلام، أولي البأس والنجدة. وهو من سراة ثقيف، درج في الطائف، وكان محارباً وفارساً وشاعراً، يحب الشراب، فلما قدم على عمر مقبوضاً عليه قال له عمر: أشربتم الخمر بعد أن حرمها الله، قال أبو محجن: كيف حرمها الله بأمره الذي نهى وجادله، وانتهى القول بأنه لن يترك الخمر رغم ما فيها من العقوبة، فكان شربه يجلد، فأمر الخليفة بنفيه من المدينة. ولما وفد أبو محجن على سعد بن أبي وقاص في العراق، من الكتائب في القادسية أمر بحبسه. فلما دارت رحى الحرب بين الفرس والعرب وأبو محجن ينظر من قصر القائد وردد قوله:

كفى حزناً أن تطعن الخيل بالقنا ... وأترك مشدوداً على وثاقيا
إذا قمت عناني الحديد وغلقت ... مصاريع دوني قد تصم المناديا
هلم سلاحي لا أبالك إنني ... أرى الحرب لا تزداد إلا تماديا
ولله عهد لا أخيس بعهده ... لئن فرجت ألا أزور الحوانيا

(والحوانيا هي حوانيت الخمر) ولم يلبث أن طلب إلى سلمى زوج سعد أن تخلي عنه وعاهدها أن يعود بعد المعركة طليقاً، ولما كان سعد مريضاً يقود المعركة من فوق سطح مرتفع، فقد ركب البلقاء فرس سعد ونزل إلى المعركة، وكان ذلك يوم (أرماث) وقد انحرفت ميسرة المسلمين فلم يلبث أن حمل على العدو حملة صادقة حتى انخلعت القلوب وتضعضع جند الفرس ودهش سعد وهو يرى ضرب أبي محجن، وردد قوله: الطعن طعن أبي محجن والضبر ضبر البلقاء ولولا محبسه لقلت أنه هو، وانتصف الليل وتحاجز العسكران ودخل أبو محجن القصر ووضع رجله في القيد، ودخلت سلمى على سعد وأخبرته بخبر أبي محجن وسألته أن يطلقه، فلما دعاه سعد قال له: والله لا أحبس بعد اليوم رجلاً نصر الله المسلمين على يديه هذا النصر ولا أعاقبه إذ شرب. قال أبو محجن: وأنا والله لا أذوقها بعد الساعة لقد كنت أشربها أنفة من أن يقولوا خاف الحد. فأنا اليوم أتركها رغبة في أن يقولوا: خاف الله.

موسى كاظم الحسيني

أول من حمل لواء فلسطين لمقاومة الاحتلال اليهودي البريطاني .
كان يسير في مقدمة المظاهرات وهو فوق الثمانين من رجال الإدارة البارزين في عهد الحكم العثماني ، عمل قائمقاماً ومتصرفاً في الأناضول . كان رئيساً لبلدية القدس عند دخول الانجليز إلى فلسطين فلما توفي أخذ مكانه ثم انتخب رئيساً للجنة التنفيذية العربية وانغمس في الحركة الوطنية وهو في عمله الرسمي دون أن يبالي شيئاً ، ذلك أن السياسة الصهيونية لم تلبث أن كشفت عن وجهها في صورة أعمال الموظفين البريطانيين في فلسطين ، هنالك تقدم يدق الأجراس ويجمع الناس ويحمل اللواء في مقاومة الاتجاه اليهودي البريطاني إلى الاعتداء على العرب وفلسطين وتهديدها نهائياً .

ومنذ ذلك اليوم حمل المسئولية كاملة فاشترك في المؤتمر السوري الفلسطيني الذي عقد في جنيف وأعلن الوحدة السورية الفلسطينية ورأس المؤتمر العربي الفلسطيني عام ١٩٣١ في مدينة حيفا ، ورأس الوفد العربي الأول إلى لندن ، ورأس كل المؤتمرات العربية الوطنية في فلسطين ، وكان له دوره الفعال في ثورات فلسطين المتعددة التي نفى لها أمراء وملوك العرب لحساب بريطانيا ؛ وفي خلال أربعة عشر عاماً من شئون الحركة الوطنية في فلسطين وإلى يوم وفاته (١٩٣٤/٣/١٦) وهو يحمل اللواء وقد نظرت إليه الهيئات المختلفة على أنه الشخصية الأولى في فلسطين لم ينتم إلى أي حزب كان يمقت الطائفية وكانت دعوته إلى توحيد الصفوف لمقاومة الخطر ، وكان مثال الإقدام والتضحية والجرأة والنزاهة . ولد في مدينة القدس ١٨٤ ودرس علوم مدارسها ثم قصد إلى أستانبول حيث أتم دروسه في المدرسة الشاهانية التي تخرج الولاة والحكام وتقلد عدة مناصب في فلسطين والعراق وكردستان ومتصرفية حوران — عاش ٨٧ عاماً.

مكحول

قال ابن جابر : أقبل يزيد بن عبد الملك إلى مكحول في أصحابه ، فهممنا بالتوسعة له فقال مكحول : مكانكم ، دعوه يجلس أدرك .

وقال الزهري : العلماء أربعة : سعيد بن المسيب بالمدينة ، والشعبي بالكوفة، والحسن البصري بالبصرة ومكحول بالشام .

هو أبو عبد الله مكحول بن عبد الله الشامي، ولد بكابل وسبي عندما ترعرع. قيل كان مولى لامرأة من هذيل ، واعتق ثم وقع إلى سعيد ابن العاص فوهبه لامرأة من هذيل فاعتقته ، لم يكن في زمنه أبصر منه بالفتيا وكان لا يفتي حتى يقول : « لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، هذا رأي والرأي يخطيء ويصيب ، وقد وصفه الزهري بأنه لم يكن في زمنه أبصر منه بالفتيا - سمع عن أنس بن مالك وواثلة بن الاشقع وأبا هند الرازي ، وكان في لسانه عجمة ظاهرة ويبدل بعض الحروف ويجعل القاف كافا والحاء هاء . كان يقول بالقدر ورجع عنه

وقد كان الاوزاعي علم الشام وفقيهها تلميذاً من تلاميذ مكحول وقد زاد عنه حتى قال أمية بن زيد : عندما سأل ابن الاوزاعي عن مكحول قال: أنه عندنا أرفع من مكحول لانه جمع العبادة والعلم والقول الحق — وإذا كان الاوزاعي قد عرف بالتمسك بالحق أمام الخلفاء والامراء فان أستاذه مكحول هو الذي ترك يزيد بن عبد الملك يجلس حيث انتهى به المجلس دون أن يميزه .

وقد لاحظ صاحب العقد الفريد أنه في وقت واحد كان الموالي هم أئمة المسلمين ابن سيرين في مكة وطاووس في اليمن وعطاء بن عبد الله في خراسان ومكحول في الشام — وهذا لا شك من تقدير الاسلام للعلم (توفى ٧٣٠ م) .

أبناء موسى بن شاكر

ظهر فى عصر « المأمون » ولمع فى سماء العلم والهندسة : ونبغ أولاده الثلاثة: محمد وأحمد وحسن فى الرياضيات وعلم الهيئة والفلسفة ، وقد ربام المأمون وكلف بهم أسحق بن إبراهيم المصعبى فبرع محمد أبو جعفر فى الهندسة والنجوم والمجسطى وقد بلغ دخله السنوى أربعمائة ألف دينار وعمل تقويمات لمواضع الكواكب السيارة . وتعمق أحمد فى صناعة الحيل . وكلف حسن بعلم الهندسة وقرأ ست مقالات من كتب أقليدس فى الاصول وقسم الزاوية إلى ثلاثة اقسام متساويه وقد قاموا بأعمال جليلة وأجروا قياس درجة من خط نصف النهار لايجاد محيط الارض وأكملوا الزيج المصحح ، وحسبوا الحركة المتوسطة للشمس فى السنة الفارسية ، وتحديد ميل وسط منطقة البروج . وعرفوا فروق حساب العرض الاكبر من عروض القمر ، وكان لهم مرصد فوق جسر بغداد يجرون فيه أعمالهم .

قال قدرى حافظ طوقان: أنه قد غلب عليهم التفوق فى العلوم الهندسية والحيل والحركات والموسيقى والنجوم ، وكان لهم فى الحيل كتاب عجيب نادر يشتمل على كل غريبة وقال أنه لما أمر المأمون لقياس درجة من خط نصف النهار لايجاد محيط الارض كانوا هم السابقين إلى هذا العمل وقد توافق حسابهم مع حساب القدماء

وقد شهد علماء الغرب لموسى بن شاكر وأولاده الثلاثة بالأثر الواضح فى علوم الرياضات والهيئة والفلسفة خلال العصر الذهبى الذى حمل فيه العرب لواء العلم فترجموه وراجعوه وزادوا فيه حتى أسلموه إلى الغرب وقد حقق إضافات كانت بعيدة المدى فى الانتصارات والكشوف العلمية التى أحرزها فى عصر النهضة توفى محمد ٢٥٩ هـ .

معن بن زائدة

مضرب المثل في الكرم والنجدة والوفاء . كان من مشاهير القادة في عهد بني أمية ، آزر «ابن هبيرة الفزاري» أمير العراق عندما حاصر المنصور مدينة واسط ونصره على الخليفة وكانت له مواقف بارعة جلبت عليه نقمة أبي جعفر المنصور ، ولم يجد معن بدأ من الاستتار والتخفي حتى لا ينكل به المنصور وينتقم منه .

وكانت شهرته بالكرم والنجدة وإغاثة الملهوف تسهل له الأفلات من الذين سمعوا بجائزة المنصور وبرغم تنكره أمسك به من يريد أن يسلمه ، وحاول معن إغراءه بمال كان يحمله فأثار ذلك في نفس الرجل أباءاً دفعه أن يتخلى عنه .

فلما كان يوم الهاشمية وثارت الراوندية بجعفر المنصور ، وخرجوا من السجن وساروا يحاربونه ، وقد خرج إليهم يريد قتالهم فتكاثروا عليه وكادوا يفتكون به ، برز «معن» وقد رأى الخطر محدقا بالخليفة ، وكان ملثما متنكراً لا يعرفه أحد ، فقاتل بين يدى الخليفة ودافع حتى أجلاهم عنه ، فلما انهزمت الراوندية أقبل أبو جعفر على الرجل الملثم وقال من أنت : فحسر اللثام عن وجهه وقال :

أنا طلبتك يا أمير المؤمنين ، أنا «معن» فأمنه المنصور وأكرمه ـ قال له مرة : كبرت يا معن ، قال في طاعتك ، وقال وأنك لجلد : قال على أعدائك . قال وفيك بقية : قال : هي لك يا أمير المؤمنين .

قال الجاحظ أن بعض العرب كانت تقول : حدث عن البحر ولا حرج وحدث عن معن ولا حرج ـ وقال الرشيد كان «معن» حصننا نلوذ به العرب وركنا شديداً نركن إليه . تربص به جماعة من أهل سجستان بفارس فقتلوه غيلة . (أبو الوليد معن بن زائدة الشيباني) ٧٦٩ م .

المقريزى

قال أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى : أن المقريزى أعظم من رأيناه فى علم التاريخ وضروبه مع معرفتى لمن عاصره من علماء المؤرخين والفرق بينه وبينهم ظاهر. هو تقى الدين أبو العباس ولد بحارة برجوان بالجمالية بالقاهرة تتلمذ على ابن خلدون فى حلقاته الدراسية التى كان يعقدها فى الأزهر، وهو بعلبكى الأصل . عمل بديوان الانشا بالقلعة ، ثم عين قاضيا شافعيا ثم انتقل إلى التدريس فالحسبة ثم تولى القضاء فى دمشق ١٤٠٨ . وفى عاصمة الأمويين كتب سيرة الرسول (إمتاع الأسماع) وكتابه « النزاع والتخاصم فيما بين أمية وبنى هاشم » وعاد من دمشق إلى القاهرة بعد عشر سنوات وزار مكة حيث أقام خمس سنوات ألف بها عدد من الكتب منها : (الكلام ببناء الكعبة) و (ضوء السارى فى معرفة تميم الدارى) . و (التبر المسبوك فى ذكر من حج من الخلفاء والملوك) . و « الاعلام بمن فى أرض الحبشة من ملوك الإسلام .

وفى القاهرة وضع كتابه الأشهر « المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار » سجل فيه كل ما فى القاهرة من أسواق ومدارس وخوانق ومستشفيات وشوارع وحارات ودروب وقياسر — وله ايقاظ الحنفاء فى أخبار الخلفاء. وله « السلوك لمعرفة دول الملوك » وله « المواعظ والاعتبار » ـ وقيل أن مؤلفاته بلغت مائة.

وقد اشتهر المقريزى بمنهجه الفريد وهو نظام الحوليات الشاملة لعهد كل سلطان من السلاطين وتدوين أحداث كل عام فى فصل مستقل ثم يختم بذكر الوفيات والترجمة لأصحابها، ويتخلل ذلك ذكر أسعار المحاصيل وفيض النيل وهبوب الرياح وتعديلات أنظمة الحكم — قال السخاوى : أنه كان قليل المعرفة بالمتقدمين عاش من (٧٦٦ — ٨٤٥) هـ .

نور الدين الشهيد

إذا ذكر الإيمان المقرون بالجهاد. والتصوف المرتبط بالعلم والاستشهاد. فأن أبرز اسم يمكن أن يرد إلى الذهن هو نور الدين الشهيد. عزف عن الدنيا وأحب الله. وصدقت عزمته في سحق الفرنجة. حتى أنه قضى حياته كلها في حروب دائمة. وبلغ به الورع أن حرم على نفسه الابتسام والفرح. وقال أنه يخشى أن يحاسبه الله عليه وفي أرض الأوطان جندي من جنود الفرنجة. فقد روى له حديث مسلسل بالتبسم وطلب منه أن يبتسم لتتم السلسلة على ما عرف من عادة أهل الحديث فغضب لذلك وقال إني لأستحي من الله أن يراني مبتسما والمسلمون محاصرون من الفرنج. عاش مرابطا للعدو وقال أن حب الجهاد ينسيني طيب دمشق ورقة هوائها. وجمال أزهارها. وكان من أصبر الناس على الحرب وأبلغهم مكيدة حتى وصف بأنه أبرع من ركب فرساً وأثبت وأشجع. ولما فاتته الشهادة مرة ومرة ضاق بأنها تأخرت عنه حتى مات شهيداً..

وكان قائداً للجيوش يتقدم أصحابه ويتعرض للموت. ويضرب في صلابة وثبات قدم وفي كل خطوة والمعركة على أشدها يسأل الله أن يحشره في بطون السباع وحواصل الطير. ولعل أبرز مواقع صراعه مع الفرنجة. موقعة «إينب» التي حشد الصليبيون فيها حشدا فقصد إليهم في ستة آلاف فارس وصرع أميرهم وأسر قائدهم. وبلغ من ورعه أنه عاش على سهمه في غنيمة الحرب ورفض كل مال أرسل إليه. وكان في الحرب ثابت القدم حسن الرمي وأمضى أيامه غازيا وكان إلى ذلك بسيط الملبس خشن المأكل. وقد أعاد سيرة العمرين ابن الخطاب وعبد العزيز.

يعقد مجالس الخلافات ليصلح بين الناس دون القضاء حتى تعلق به الناس وأحبوه وكان قواما ينزل المسجد بغلس ولا يزال يركع ويسجد حتى يصلي الصبح ولما اختلف مع بعض الناس في أمر من أموره ذهب إلى القاضي ووقف إلى جوار خصمه في موقف القضاء فلما حكم القاضي له على صاحبه وهب خصمه ما كان يحاكمه عليه.

الناصر

شخصية باهرة بجوانبها المتعددة وطبيعتها الواسعة الأفــق . . ونفسيتها العميقة الغور . . عرف بالوسامة والطلاقة وحسن السمت وكرم الخلق وقوة الإدراك.

ولى الحكم فى سن الحادية والعشرين فأعاد مجد الأندلس بعد أن أوشك أن ينقض ودعا شبابه وفروسيته وشجاعته الجيش إلى حبه والتعلق به وقد كان مقداماً شجاعاً مفعم النفس بالحماسة لاستعادة مجد العرب وعظمة المسلمين .

وقد سار فى مقدمة جيشه يلهب أعصابه ويملأ روحه بالحماس والإيمان ومضت مدن الأندلس تفتح له أبوابها . فأذعنت له قرطبة وأشبيلية وأطاعته البربر ورفض الشقاق والخصومة ودعا إلى الوحدة والإخاء ومسح بالحزم والحكمة على القلوب وكان فى خلال فتوحه رفيقاً رحيما بالناس . . لم يدع لجنده فرصة للأئمة من مآثم الفتح وقد مكن له ذلك فى الأرض فاستطاع أن ينفذ إلى مرسيه وأن يهاجم طليطلة . .

وأعجب بعبد الرحمن كل من عرفه واتصل به . . وكان الناصر إلى هذا الطابع الجاد والفروسية فى الحرب والحكمة فى الإدارة والبراعة فى الحكم والمرونة فى السياسة إنساناً يحب . له قلب يخفق وعاطفة رقيقة تصطرم بالحنان والأشواق وقصة حبه لزوجته « الزهراء » رمز على هذه النفس التى أحبت فاستجابت لمن تحب فقد طلبت إليه الزهراء أن يبنى باسمها مدينة فبنى هذه المدينة التى كان لها خمسة عشر باب مابين ملبسا بالحديد أو النحاس المموه . وكان سقف بهو الخليفة وحيطانه من الرخام والذهب . وبنافورته تمثال عجيب أهداه إليه ملك الروم وفى وسط البهو حوض ملىء بالزئبق الرجراج. وإلى جانب كل منه ثمانية أبواب من العاج والأبنوس قد رصعت بالجواهر فإذا دخلت أشعة الشمس من هذه الأبواب ولامست اهتزاز الزئبق ملأت البهو ببريق لمعان البروق .

ولم يصنع عبد الرحمن كل هذا إلا تحت ضغط عاطفة حب عميق . .

نظام الملك

« كنت فى مطلع شبابى أتمنى أن تكون لى قرية أو مسجد أعبد الله فيه .
ثم تمنيت أن تكون لى قطعة أرض انتفع بريعها . ومسجد أعبـــد الله فيه .
ثم تمنيت أن يكون لى رغيف كل يوم » ذلك هو أبو الحسن بن اسحق بن العباس
الطوسى « نظام الملك » العالم البارع . والحاكم الحازم . والمصلح القوى
العارضة والعصامى الذى كون نفسه . . لقد قرأ تواريخ الوزراء فى الإسلام
وفهم الأحداث وأحب أهل الزهد ونأى عن الترف . وأحب مطارحة
العلماء وصاحب القشيرى والجوينى والغزالى والقزوينى . ولى باالوزارة فى خلافة
المقتدى بالله العباسى . وفى ظل سلطنه آل أرسلان ، وملكشاه السلجوقى ،
ووجه همه لشئون الغزو الإسلامى ، فلما أغار الروم على أملاك الدولة العباسية
وزحفوا على آسيا الصغرى سارت جنوده فأوقعت الهزيمة الساحقة بالروم وغنمت
مغانم كثيرة وقد مضت هذه الغزوات حتى بلغت حدود القسطنطينية . . وقد
عمل نظام الملك فى مختلف الميادين ، أعد الجيش ، وأنشأ المدارس فى العراق
وإيران وأفغانستان وقدم لها العلماء والفقهاء ودعا إلى نبذ الخلافات بين العراق،
وضرب المثل بنفسه فقصد إلى بغداد وزار مشهد الإمام موسى الكاظمى
بن جعفر الصادق ، وزار الإمام ابن حنبل وأبا حنيفة . وقبر معروف الكرخى
ودخل مدرسة النظامية وأبطل لعن الرافضة والأشاعرة من فوق المنابر .

وقد ظهر فى ظل مدرسته الجامعة : أبو اسحق الشيرازى . وأبو حامد الغزالى
وأبو نصر بن الصباغ .

ولكن نبوغ نظام الملك لم يمنع الأحقاد التى ثارت من حوله . وكان أبلغها
حقد صديق صباه الحسن الصباح الذى بعث من فدائى الاسماعيلية الحشاشين
من قتله بخنجر مسموم . توفى ١٠٩٢ .

النعمان بن مقرن

عندما قاد المسلمين فى معركة فاصلة مع الفرس ، هى معركة « نهاوند » الشهيرة حمل رايته وكبر تكبيراته الثلاث واندفع فى قوة فوق فرسه وقال « أنكم بين خيرين تنتظرون إحدى الحسنيين ، من بين شهيد حى مرزوق أو فتح قريب وظفر يسير وإذا مضيت أمرى فاستعدوا فإنى مكبر ثلاثا فإذا كبرت الاولى فليتهيأ من لم يكن قد تهيأ وإذا كبرت الثانية فليشد عليه سلاحه وليتهيأ للنهوض . وإذا كبرت الثالثة فإنى حامل إن شاء الله فاحملوا معى ثم رفع يديه وقال : اللهم أعز دينك وانصر عبادك واجعل النعمان أول شهيد فى هذه المعركة » وقد صدق الله دعوته فانه ما كاد يندفع مقاتلا يطيح الرقاب بسيفه البتار ، ويخوض فى موج دافق من الدماء حتى انزلق زلقة انتهزها أحد الأعداء بسيفه فهوى صريعا وقد أسرع أخوه « نعيم » فحمل الراية ورفعها وأوصاه النعمان أن يكتم الامر حتى لا يفت ذلك فى عضد المسلمين وقد كان إن انتصر المسلمون فى المعركة الهائلة . وأدرك المجوس الرعب والفزع وتساقطوا فى الخندق المشتعل حتى بلغ صرعى الخندق مائة ألف . والنعمان بن مقرن من قبيلة « مزينة » هاجر إلى المدينة عند بزوغ الدعوة وانتظم فى صفوف الفرسان فى غزوات النبى وقد جاءت مزينه كلها فى فتح مكة محاربة وكان النعمان ميمنة أبى بكر فى مهاجمة المرتدين حيث خاضه أبو بكر على رأس الموقعة فانتصر وظفر وكان فصيحا خطيبا يدفع الجند إلى حومة القتال بصيحة الفداء . وقد حفظت له كتب الادب نماذج من البيان سار تحت لواء سعد بن أبي وقاص فى فتح فارس . وهو الذى أرسل ليزدجر بخطبه فى صراحة وقوة وكسرى يستمع إليه مأخوذا وأراد كسرى أن يذله فحمله التراب فرجع به إلى سعد فرحا وهو يقول « لقد جئتك بأرضهم » وقد صدق الله حدثه واشترك فى القادسية وتولى خراج « كسكر » ولكنه ضاق بالولاية واندفع يحارب حتى استشهد .

النويرى

« كنت ممن عدل عن مباديه إلى الإلمام بناديه — أى فن الأدب — جعلت صناعة الكتابة فئة الذى يستظل بوارقه ». وفنه الذى جمع له فيه بين تليده وطارفه ، فعرفت جليها وكشفت خفيها . وبسطت الجرائد ونظمت منها الارتفاع وكنت فيها كموقد نار على يفاع ، واستوفيت القوانين ووضعت الموازين ، وعاينت المقترحات ، واعتمدت على المقايسات وفذلكت على الأصل » .

هو شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب النويرى صاحب (نهاية الأرب فى فنون الأدب) عالم بحاث غزير الاطلاع . نسبته إلى نويرة من قرى بنى سويف بمصر ، ولد ونشأ فى قوص ، تلقى الفقه على مذهب مالك . وعنى فى صباه بفن الخط فجوده أولع بنسخ الكتب ودر عليه النسخ رزقا حسنا . قيل أنه كتب من صحيح البخارى تسع نسخ قابل كل منها بسائر الروايات ودونها عليه وكان يبيع كل نسخة منها بألف درهم ، اتصل بالسلطان الملك الناصر محمد ابن قلاوون وولاه بعض أموره ، وتقلب فى الخدمة الديوانية وباشر نظر الجيش إلى طرابلس .

وكان زكى الفطرة حسن الشكل فيه أريحية وود لأصحابه — وكتابه «نهاية الأرب » موسوعه فى ٣٠ مجلداً ، باعه مخطوطاً بالفى درهم وقال : ما أوردت فيه إلا ما غلب على ظنى أن النفوس تميل إليه وأن الخواطر تشتمل عليه » وقال « حين رغبت فى صناعة الآداب وتعلقت بأهدابها وانتظمت فى سلك أربابها أمتطيت جواد المطالعة وركضت فى ميدان المراجعة » وللنويرى نظم يسير ونثر جيد .

٦٦٧ هـ وتوفى ٧٣٢ هـ (١٣٣٣ م) .

ابن الهيثم

لم يجتمع لعالم ما اجتمع لابن الهيثم : كان بارعا فى الفلسفة والطب والهندسة والرياضة والفلك فألف الاثة وأربعين سفرا فى الفلسفة والعلم الطبيعى وخمسة وعشرين كتابا فى الرياضيات وأنشأ فى الطب كتابا بلغ ثلاثين جزءاً وظل كتابه « الذخيرة » المرجع الأول لكل علماء الطبيعة فى أوربا حتى القرن السابع عشر الميلادى وقد نقل من اليونانية إلى العربية كتب الفلسفه والعلم من هندسة ومخروطات وجبر وأرطماطيقى وفلك

أتيح له أن يدرس كتب الأقدمين فى الطب والفلسفة والمنطق وقال أنه جعل من ذلك أفادة من يطلب الحق ويؤثره فى حياته وبعد مماته « ارتياضاً بهذه الأمور فى إثبات ما تصوره واتقنه فكرى من تلك العلوم . والثالث إلى صيرته ذخيرة وعدة لزمان الشيخوخة وأوان الهرم .

وقد بدأ ابن الهيثم يكتب فى سن الثالثة والستين . بعد أن امتزجت فى نفسه المعانى والمراجع القديمة وتبلورت فى طابعه الشخصى وحضر ابن الهيثم إلى مصر وذهب فى رحلة إلى مدينة أسوان ثم تجاوزها إلى موضع يعرف بالجنادل وأقام فى حى الأزهر وهو أول من دعا الى بناء السد العالى وقد سجل هـــذا فى عبارات واضحة فقال « لو كنت بمصر عملت بنيلها عملا يحصل به نفع فى كل حاله من حالاته من زيادة ونقص فقد بلغنى أنه ينحدر من وضع عالى وهو فى الاقليم المصرى . . . » .

أبو هريرة

قالوا : كان « أبو هريرة بن اميمة » من أكثرنا ملازمة لرسول الله ووعينا عنه . عرف رسول الله حين قدم عليه فى خيبر وهو فى الثلاثين وظل ملازماً إياه حتى اختار الرفيق الأعلى . يدخل بيوت زوجاته ويقوم على خدمته . وقد رافق رسول الله سنوات لا يكاد يتركه . وبلغ ما رواه من أحاديث خمسة آلاف وثلاثين وأربعة وستين حديثا . وهو أحد الرواة الأربعة : عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وأنس بن مالك وأبو هريرة

وكان زاهداً فى متاع الحياة متواضعاً ، يعيش مع أهل الصفة ولى الإمارة وولى رواية الحديث، وأرسله عمر بن الخطاب إلى البحرين فعاد بمال وفير ، فقال عمر : استأثرت بهذه الأموال يا عدو الله . فقال لست بعدو لله ولكنى عدو من عاداهما، إنما هى خيل تناتجت وأعطية تتابعت ثم دعا عمر فدعا ليوليه الإمارة بعد فرفض وقال عمر : يكره العمل قال لأخشى أن يضرب ظهرى وينزع مالى ويشتم عرضى.

دخل رسول الله على زيد بن ثابت وبعض صحبه وهم يدعون الله بعد الصلاة فقال لهم النبى : عودوا إلى ماقلتم فعادوا الدعاء والرسول يؤمن ثم دعا أبو هريرة فقال : اللهم إنى أسألك إيماناً مثل ما سألاك وأسألك علماً لا ينسى. فقال الرسول: سبقكما الغلام الدوسى .

وكان لأبى هريرة الرأى القاطع كلما اختلف المسلمون ، وعرف بالشجاعة وكان مضرب المثل . وقف بجوار عثمان وهو محاصر ، ووقف فى وجه مروان ابن الحكم حين رفض أن يدفن الحسن بن على وأعلن تعسف مروان فى الحكم ولكنيته قصة يرويها فقد كان يرعى الغنم وكانت « هريرة » صغيرة تصاحبه اينما ذهب ، فكان إذا جن الليل يضعها فى شجرة ، وألفه الناس بغنمه وهرته قال لأصحابه لا تكنونى أبا هريرة فقد كنانى رسول الله أبا هر ولما جاء أجله وأحس بنهايته قال: اللهم فى أحب لقاءك فأحبب لقائى . توفى عن ٧٨ سنة .

الهمداني

أول مؤرخ اليمن وصاحب الاكليل : الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني:
من أروع كتاباته تصور الفرق بين سرعة الضوء وسرعة الصوت :

« إذا تكاثف السحاب وقع فيه لامعة البرق وتبعها صوت الرعد عجلا على قدر بعد العين من البرق . ومثل ذلك أنك إذا كنت في بعض السهول كان منك على مدى البصر من يضرب بصاقور في حجر أو شجر فنظرت إلى وقعة الفأس لم يؤد إليك صوتها إلا عند وقوع الضربة الثانية وصوت الضربة الثانية عند وقوع الضربة الثالثة . وربما كان أبطأ على قدر البعد وكذلك البرق ربما لمع ثلاث لمعات متتابعات فلم تسمع رعدة الأولى إلا بعد تقضي اللمعة الثالثة » (نشأ في اليمن في عصر الخلافات والفتن . وكان صاحبا لأحمد بن محمد بن الضحاك سيد همدان في عصره ، مدحه وصور أيامه وشهد الحروب التي قامت بها ، وصف بلاد اليمن وصفا دقيقا مسهبا بقراها وبواديها . ولم يكن يعتمد على النقل بل كان ينتقل يجمع ملاحظاته ويدرس الآثار ويسجل كل شيء في دقة ويقظة . وقد كان عالما بالنجوم والطب والفلك . وألف زيجا (جدولا فلكيا) كان عليه اعتماد أهل اليمن .

وله شعر قليل منه قصيدته الشهيرة (الدامغة) في فضل قحطان وهي ما تزال مخطوطة في متحف برلين . وقد رحل فترة إلى مكة فأقام فيها ثم عاد ، وطوف بأرجاء كثيرة من جزيرة العرب ، ودخل السجن مرتين .

وكتابه « الاكليل » هو أبرز مؤلفاته : في عشرة أجزاء وقد فقدت ولم يبق منه إلا الثامن والعاشر وله كتاب صفة الجزيرة العربية .

وقد كان إلى وقت طويل المرجع الأوحد في تاريخ اليمن وأخذ عنه المؤرخون وفي مقدمتهم ياقوت الحموي في معجم البلدان (توفي في السجن ٣٢٤)

أبو الوفا البوزجانى

تكشف أبحاث أبى الوفا عن أن العرب هم أول من عرف أصول الرسم على سطح الكرة وبرعوا فى هذا الفن . وقد أتيح له أن يحل معادلات الدرجة الرابعة . وألف فى الحساب متبعاً طريقة اليونانية وساهم فى تقدم حساب المثلثات فقد استعاض فى حساب المثلثات الكرية عن الشكل القائم الزاوية من الرباعى التام بنظرية منلوس مستعيناً بما يسمى قاعدة المقادير الأربعة

وأبو الوفا محمد البوزجانى واحد من أكبر حاسبى العرب ، ولد ببوزجان إحدى أعمال خراسان ٣٢٨ هـ ٩٤٠ م قرأ على عمه المغازلى وخاله ابن عنبسة من العدديات والحسابيات وقرأ الهندسة على الماوردى . وانتقل إلى بغداد فى سن العشرين حيث بدأ التأليف وأصبح واحداً من الأئمة المعدودين فى علمى الفلك والرياضيات وقد اعترف له علماء الغرب بأنه من أشهر من برعوا فى الهندسة وسجلوا له فيها استخراجات غريبة لم يسبق إليها ، وله فى استخراج الأوتار بحث جيد ، وقد قضى البوزجانى حياته فى الرصد والتأليف والتدريس ، وكان واحداً من أعضاء المرصد الذى أنشأه شرف الدولة فى سراية ٣٧٧ هـ وهو أول من أدخل المماس فى عداد النسب المثلثية واخترع طريقة لعمل الجداول الرياضية للجيب وتمكن من إيجاد قيمة (جيب) زاوية نصف درجة مقرباً إلى تسعة أرقام عشرية صحيحة وله فى الرسم مقالة عن البناء الهندسى لم يعثر على أصلها العربى ذكرها (كاجورى) فى كتابه تاريخ الرياضيات .

وله مؤلفات متعددة منها : (المنازل فى الحساب) من النسبه والمساحات وأعمال الخراج وله تفسير على كتاب (ديوفنطس) فى الجبر ، وله كتاب فيما يحتاج إليه الصناع فى أعمال الهندسة . وكتاب الكامل فى علوم الفلك والكواكب .

توفى فى يولية ٩٩٨ م)

الوليد بن عبد الملك

قال ابن أبي عبلة « رحم الله الوليد وأين مثل الوليد ؟ افتتح الهند والأندلس وبنى مسجد دمشق . وكان يعطيني قطع الفضة أقسمها على قراء مسجد بيت المقدس » .

لقد كان الوليد بناء . وبنى وشاد وفتح . كان مصلحا اجتماعيا ، أصلح الطرق وحفر الآبار . وهو أول من استحدث المصحات في الإسلام . جعل لكل مكفوف قائداً ، تقاضى نفقاته من بيت المال . منع المجذومين من مخالطة الناس وأجرى عليهم الأرزاق . وأقام لهم مقعد حاما خاصا . بنى منازل للغرباء . وكتب إلى البلدان جميعا بحفر الآبار وإصلاح الطرق .

بنى المسجد الأقصى . ومسجد دمشق الكبير . ومسجد المدينة . وصفح الكعبة والميزاب والأساطين وصرف في ذلك كله أحد عشر مليون دينار .

وعنى بتعريب الدواوين ونقل ديوان مصر من اليونانية والقبطية إلى العربية . جمل دمشق بالمباني . حتى قيل أن السجلات التي اشتملت على نفقات البناء نقلت إلى قصر الوليد على ثمانية عشر بعيرا . وكان الناس في عهده يتحدثون عن البناء .

وجه القواد لفتح البلاد وقد امتدت فتوحه إلى بلاد الهند وتركستان وأطراف الصين . ويندمج في تاريخه ثلاثة من الأبطال قتيبة بن مسلم الباهلي فاتح ما وراء النهر . ومحمد بن القاسم بن محمد الثقفي فاتح بلاد السند . وموسى بن نصير فاتح الأندلس .

وكان يحب الشعر ويقرضه ويحب سماعه . وكانت زوجته أم البنين مشهورة بالفصاحة والبلاغة وبعد النظر . وقد بلغ من حبه للخير أنه كان يختن الأيتام ويرتب لهم المؤدبين وقد حرم في عصره السؤال على الفقراء بعد أن أعطاهم ما يكفيهم . وقد استمر حكمه احد عشر عاما وامتدت الدولة الإسلامية في تلك أطراف الصين مسيرة شهرين المشرق والمغرب

توفى عام ٧١٤ م .

يوسف العظمة

فى ٢٤ يوليو ١٩٢٠ استشهد هذا الرجل العظيم، فى يوم ميسلون. كان يعرف أنه سيموت فى ذلك اليوم وأنه يقتحم معركة لا سبيل إلى النصر فيها فقد كان الجيش الفرنسى قوياً .. ولكنه صمم على أنه يستشهد فذهب إلى صديقه ساطع الحصرى، وقال له إنى ذاهب، هل لى أن اترك ابنتى ليلى أمانة لديكم أرجو ألا تنسوها ..

ومع أنه كان يؤمن بأنه سيموت. وأن الجيش الذى سرح لن يستطيع رد قوات فرنسا الجائحة، فإنه فضل أن يذهب ويستشهد. ويقف ليقاوم حتى آخر لحظة من حياته

لقد كان بطلا شهد له معاصروه بالرجولة والكفاية وكان قد تخرج فى المدرسة الحربية بالآستانة ومدرسة أركان الحرب فى ألمانيا وكان أركان حرب الجيش السورى عندما فرض الانتداب على سوريا بقوة الحديد والنار

وقد كان خلال حياته متحمسا متفائلا يثق بنفسه. وكان قوى الشخصية نفاذ البصيرة، أحبه رجال جيشه، واندفعوا معه بقوة واستبسلوا ما وسعتهم البسالة والتضحية. وماتوا فى الميدان. ومات يوسف وسلاحه فى يده. وقد آثر أن لا يرى المعتدين وهم يدخلون عاصمة وطنه دمشق.

وكلما مر عيد الاستقلال بسوريا يذكر الناس يوسف العظمة وبسالته التى رفضت أن يقبل تنفيذ اتفاقية سكس بيكو وفضل أن يستشهد فى معركة مجيدة.

وكان السوريون قد حققوا اقامة حكومة وطنية برعاية فيصل بن الشريف حسين ولكن الفرنسيين اقتحموا سوريا بتنفيذاً لمعاهدة سرية. وكان فيصل قد سرح الجيش ولكن يوسف العظمة لم يقبل واقعية التراجع واقتحم معركة كبد فيها الفرنسيين خسارة ضخمة ..

يوسف بن تاشفين

كان من الرجال الذين ينشئون الدول ، و الذين خلقوا الزعامة . فيه ذكاء وفطنة وبعد نظر وقد عرف فى التاريخ قائداً عظيما . وسياسيا جبارا متقشفا زاهداً . يعيش عيشة بسيطة وقد استطالت حياته إلى مائة عام وتوفى عام ١٩٠٦ بعد ان حكم أكثر من خمسين عاما وأنشأ امبراطورية المرابطين وقد حان . فى الاناقة . هو فى الثمانين ينتمى إلى قبيلة لمتونة من بطون صنهاجة إحدى قبائل البرانس الشاسعة وبرز أول ما برز قائداً لمقدمة جيش أبو بكر بن عمر وسار نحو الجنوب مفتتحا بلاد السوس ، ولما سار أبو بكر بن عمر اللمتونى فتوغل فى بلاد السودان مما يلى جنوب المغرب الأقصى ، استخلفه فى الحكم ، فاختط مدينة مراكش لتكون قاعدة ومعقلا وبينما كان أبو بكر مشغولا بحروبه فى الصحراء ، كان يوسف يفتتح مدن المغرب واحدة بعد أخرى . فسار إلى فاس واخترق مفازة ورشق غمارة وغازيا حتى طنجة ، واستمر فتح القواعد والثغور وخضعت له زناته ومصمودة بعد حروب شديدة ثم استولى على طنجة وزحف على المغرب الأوسط ففتح تلمسان ووهران ، واستمر فى فتوحه حتى بلغ الجزائر وتونس وقد قضى يوسف على السلطان المحلى وبسط حكمه على جميع أقطار المغرب من تونس شرق المحيط الأطلسى غربا ولم يلبث عمه أبو بكر أن توفى وهو يجاهد فى غزواته فى الصحراء . وهكذا أقام يوسف دولة المرابطين الكبرى ولقب بأمير المسلمين . ورأى ما فى الأندلس من متاعب المسلمين هناك فى صراعهم مع الفرنجة وانقسامهم وتوثبهم إلى إقامة عروش متضاربة مما أجج الحرب الأهلية بلا انقطاع حتى سقطت طليطلة أول قاعدة إسلامية فى أيدى الفرنجة ١٠٨٥ وكان لسقوطها أثر أليم فى العالم الإسلامى كله . ولم تمض ثلاث سنوات (١٩٠٤) حتى كانت الأندلس فى قبضته .

ياقوت الحموى

هذا هو الموالى ، الذى استطاع أن يتحرر من العبودية ، وأن يشتغل بنسخ الكتب عند الوراقين ثم يصل إلى أرقى درجة من العلم ويبلغ الهمة العالية فى تحصيل المعارف فيترك للتراث العربى هذين الكتابين العظيمين: معجم الأدباء ومعجم البلدان :

إنه أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومى الجنس الحموى المولد البغدادى الدار الملقب بشهاب الدين ، ولد ببلاد الروم وأسر فى بلاده صغيرا وابتاعه ببغداد رجل تاجر يعرف بعسكر بن أبى نصر الحموى . ولما كبر ياقوت قرأ شيئا من النحو واللغة وشغله مولاه بالأسفار فكان يتردد فى بعض النواحى ويعود إلى الشام ثم استطاع بعد أن يترك مولاه ويشتغل بالنسخ ويحصل بالمطالعة على عديد من الفوائد ثم سافر وجعل بعض تجارته كتبا ، وكان على مذهب الخوارج فتوجه إلى دمشق ٦١٣ وقعد فى بعض أسواقها يناظر بعض المتعصبين لعلى فثار الناس عليه ثورة اضطرته إلى الخروج من دمشق فقد ظل يطوف سنوات طويلة من حلب إلى أربل إلى خوارزم إلى خراسان إلى مرو وتردد بين عمان والشام واستوطن كلا من هذه البلاد فترة من الوقت ودخل دور كتبها واستفاد منها وصادفه فى خوارزم خروج التتار وقد كتب رسالة تاريخية يصف فيها هروبه من التتار تصور هذا الإعصار الجبار الذى اجتاح بلاد العرب والعالم الإسلامى . ثم لم يلبث بعد هذه الجولة الطويلة أن عاد إلى حلب وأقام بظاهرها إلى أن توفى سنة ٦٢٦ م وفى خلال هذه الفترة جمع معلومات كثيرة ويقول المؤرخون إنه جمع أغلبها فى مرو ثم ضمنها كتابيه معجم البلدان ومعجم الأدباء وقد وضع كتابه الأول بمساعدة الوزير جمال الدين القفطى وأهداه إليه وقد تضمن معلومات ضخمة عن المدن والقرى والجبال والأنهار والسهل والوعر فى كل مكان . تتبع ياقوت التواريخ وله مؤلفات فى التاريخ وأنساب العرب وأخبار المتنبى .

ابن يونس المصرى

كشف تاريخ الحضارة العربيه عن مجموعة من أعلام البحث والفكر فى تلك الفترة التى ترجمت فيها كتب اليونان والرومان ، هؤلاء الذين حموا تلك البذور فاضافوا إليها، ودفعوها إلى الإمام فكشفوا كثيراً من الجوانب التى حققت اتساع للمعرفة فى الفلك والطب والفلسفة والجراحة . وهذا ينفى ما أدعاه المتعصبون من مؤرخى الحضارة الاوربيه من أن العرب ترجموا التراث اليونانى والرومانى ولم يضيفوا إليه . . ومن هؤلاء ابن يونس المصرى ألف فى (رصد خانته) بجبل المقطم (الزيج الحاكى) واخترع الربع ذى الثقب، وبندول الساعة الدقاقة . وبذلك سجل سبق العرب لغاليلو فى اختراع الرقاص وفى استعماله فى الساعة الدقاقة . وصفه ابن صبيه فى (طبقات الأطباء) بأنه علامة زمانه وواحد أوانه وسيد الحكماء . . كما وصفه آخر بأنه أعظم فلكى ظهر فى مصر .

وقد بنى مرصداً فى أيام الفاطميين فى جبل المقطم قرب الفسطاط . وقد رصد كشوف وخسوف القمر - حوالى عام ٩٧٨ - وأثبت تزايد حركة القمر . وحسب ميل البروج . واتفق حسابه مع آلات الرصد الحديثة . وبرع فى المثلثات . وحل المثلثات الكروية واستعان فى حلها بالمسقط العمودى للكرة السماوية على كل من المستوى الأفقى ومستوى الزوال . كما استعمل أظلال الإماسة حسب بها جداول عدة تعرف بالجداول الستينية واخترع حساب الأقواس التى تسهل قوانين التقويم وتريح من كثرة استخراج الجذور المربعة . واخترع الربع ذى الثقب .

وابن يونس هو أبو سعيد عبد الرحمن (غير كمال الدين بن يونس) ولد عام ١١٥٦ وتوفى عام ١٢٤٢ م قيل كان يضع رداءه فوق عمامته . فاذا ركب ضحك الناس لسوء حاله وشذوذ لباسه وقد أتقن علوما كثيرة وكان يضرب على العود . وله شعر فى الغزل وكان واحده من المحدثين المؤرخين .

فهرس